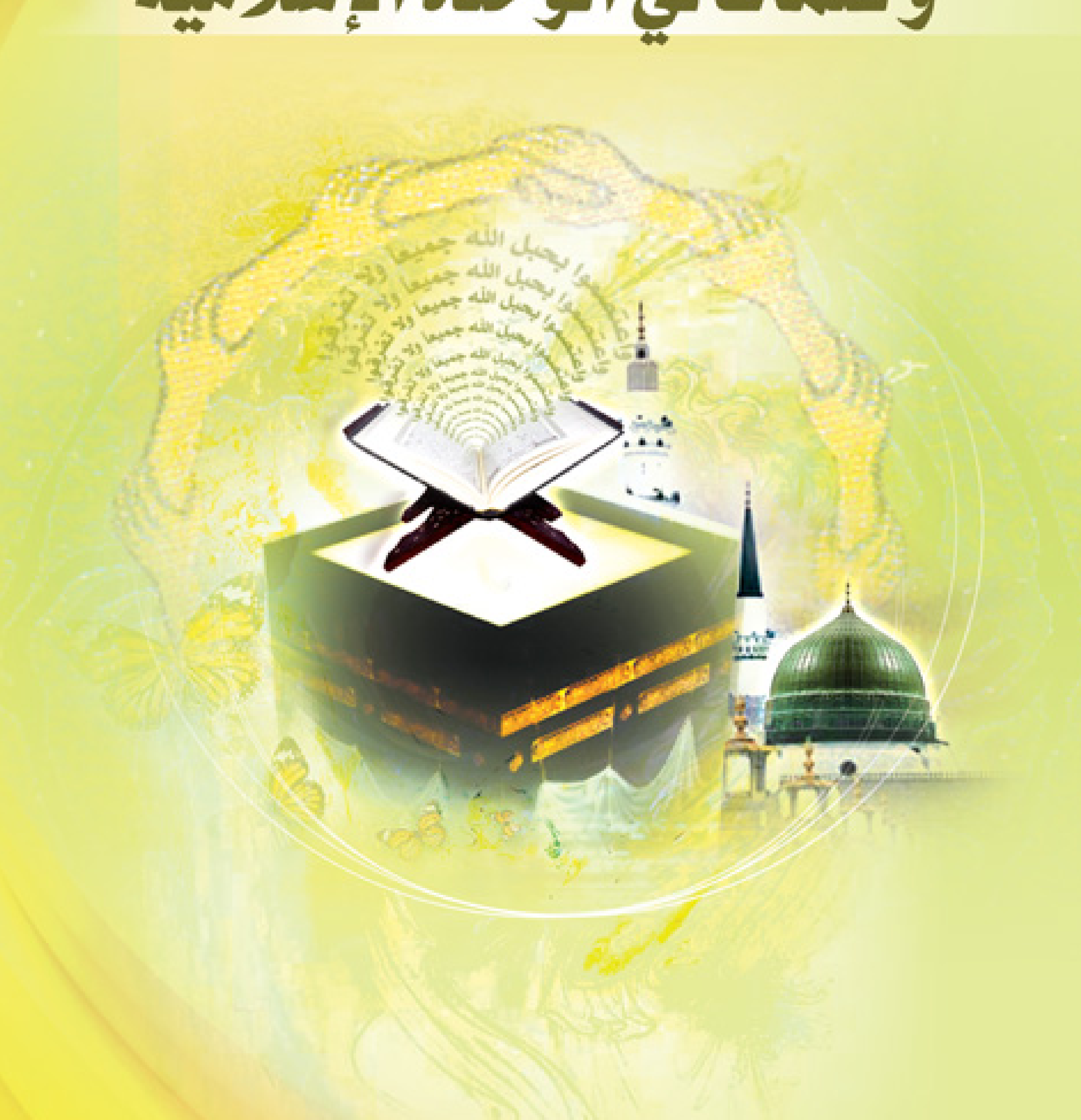
المناسبات النبوية

وكلمات في الوحدة الإسلامية



المناسبات النبوية

وكلمات في الوحدة الإسلامية

تحقيق وإعداد: أيوب الحائري

الكتـــــــاب: المناسبات النبوية وكلمات في الوحدة الإسلامية

تحقيق وإعداد: أيوب الحائري

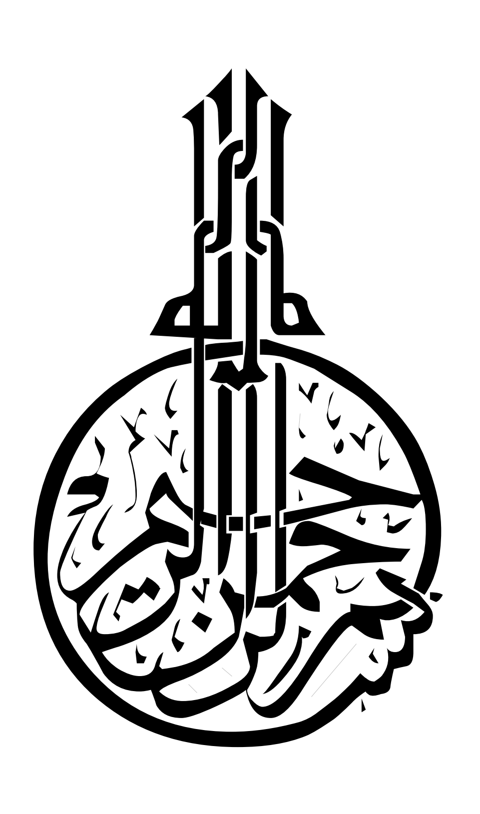
تقـــــــديم: المركز الدولي للتبليغ - المنطقة العربية

الناشـــــــر: ....

سنة الطبـــع: ربيع الأول ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م

المناسبات النبوية

وكلمات في الوحدة الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب: ٢١

في ذكرى ولادة سيد الكائنات النبي الأكرم ﷺ في كل عام من شهر ربيع الأول، يحتفل العالم الإسلامي، ويقيم المهرجانات الكبرى في هذه المناسبة الشريفة التي كانت مبدأ الخير والبركة ومنشأ السعادة والكرامة للبشر جمعاء.

لقد ولد سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله في السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل في مكة المكرمة بحسب المشهور عند الإمامية والمشهور عند السنة أن ولادته كانت في الثاني عشر من ربيع الأول، وقد اغتنمت جمهورية إيران الإسلامية هذه المناسبة العظيمة وأعلنت الأيام الفاصلة بين القولين بأنها أيام أسبوع الوحدة بين المسلمين، يحتفل فيها المسلمون وعلمائهم من مختلف المذاهب ويدعون إلى الوحدة والتقارب ورصِّ الصفوف مقابل أعداء الإسلام، فحري بشخصية هذه المناسبة أن تكون محور الوحدة وأساسها بين المسلمين، فهو رسولهم جميعاً وكلهم متفقون على أنه ﷺ ذو شخصية فذة وفريدة لا يقاس به أحد، وهو الذي دعاهم إلى أن يكونوا يداً واحدةً في مواجهة أعدائهم.

ومن هذا المنطلق ارتأينا أن نعرض مجموعة تحتوي على أهم الحوادث التي تتعلق بالنبي الأكرم ﷺ وأسبوع الوحدة وما يدور حولهما بهدف التعرف على صاحب هذه المناسبة والتعرف على معنى الوحدة وسبلها ودعائمها، وذلك من خلال البحث في القرآن والسنة الشريفة وتاريخ الإسلام وأقوال العلماء، فجاء هذا

الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم والذي يحتوي على قسمين:

القسم الأول: المناسبات النبوية والذي فيه أهم أدوار النبي صلى الله عليه وآله في تاريخ الإسلام وذكر قبس من أخلاقه وتراثه الخالد.

القسم الثاني: كلمات في الوحدة الإسلامية، تتضمن مقتطفات من كلمات مفجر الثورة الإسلامية، والداعي الكبير إلى اليقظة والوحدة الإسلامية الإمام الخميني قدس سره ومقتطفات من كلمات خلفه الصالح الإمام الخامنئي دام ظله حول الوحدة الإسلامية وثلاث كلمات في صميم الموضوع لممثله في سورية آية الله السيد مجتبى الحسيني، ثم مقتطفات من كلمات سائر علماء المسلمين حول الموضوع وجوانبه المختلفة، ويسرنا أن نقدِّم هذا الكتاب إلى أبناء الأمة الإسلامية بمناسبة ذكرى ولادة النبي صلى الله عليه وآله وحفيده الإمام الصادق عليه السلام وأسبوع الوحدة الإسلامية وندعو الله تعالى أن ينفع به جميع المسلمين وأن يأخذ بأيديهم إلى ما فيه الخير والصلاح.

وأخيراً نشكر سماحة آية الله السيد مجتبى الحسيني ممثل الإمام الخامنئي في سورية حيث أبدى استعداداً لإصدار هذه المجموعة القيمة من قبل مركزنا الدولي لتعم الفائدة لنشر الثقافة المحمدية والأفكار الوحدوية في جميع أقطار العالم الإسلامية.

سائلين المولى حسن القبول واستمرار التوفيق لخدمة الإسلام والمسلمين وشريعة سيد المرسلين والاقتداء بسنته وإتباع أهل بيته عليهم السلام الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين.

المركز الدولي للتبليغ الديني

المنطقة العربية

ربيع الأول/ ١٤٢٨هـ

القسم الأول:

المناسبات النبوية

ويليه

قبس من أخلاق رسول الله ﷺ وتراثه

تمهيد

لمحة من السيرة النبوية

لقد ولد خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب صلى الله عليه وآله في السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل بعد أن فقد أباه، ثم استرضع في بني سعد ، ورُدّ إلى أُمّه آمنة وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره.

وقد توفّيت أُمّه حين بلغ السادسة من عمره الشريف صلى الله عليه وآله فكفله جدّه واختص به وبقي معه سنتين ثمّ ودّع الحياة بعد أن أوكل أمر رعايته إلى عمّه الحنون أبي طالب عليه السلام حيث بقي مع عمّه إلى حين زواجه؛

وسافر مع عمّه إلى الشام وهو في الثانية عشرة من عمره والتقى ببحيرا الراهب في الطريق فعرفه بحيرى وحذّر أبا طالب من التفريط به وكشف له عن تربص اليهود به الدوائر؛

وحضر النبيّ صلى الله عليه وآله حلف الفضول بعد العشرين من عمره وكان يفتخر بذلك فيما بعد، وسافر إلى الشام مضارباً بأموال خديجة عليها السلام وتزوجها وهو في الخامسة والعشرين وفي ريعان شبابه، بعد أن كان قد عُرف بالصادق الأمين، وقد ارتضته القبائل المتنازعة لنصب الحجر الأسود لحل نزاعها فأبدى حنكةً وإبداعاً رائعاً أرضى به جميع المتنازعين؛

وبُعث وهو في الأربعين وأخذ يدعو إلى الله وهو على بصيرة من أمره ويجمع

الأتباع والأنصار من المؤمنين السابقين؛

وبعد مضي ثلاث أو خمس سنوات من بداية الدعوة إلى الله، أمره الله بإنذار عشيرته الأقربين ثم أمره بأن يصدع بالرسالة ويدعو إلى الإسلام علانية ليدخل من أحبّ الإسلام في سلك المسلمين والمؤمنين؛

وفي الثالث أو الرابع للبعثة رجّح بعض المؤرّخين تحقق حادثة الإسراء والمعراج والنبيّ في أوج هذا الحزن والضغط النفسي على النبيّ ﷺ وهو يرى صدود قريش ووقوفها بكل ثقلها أمام رسالته ففتح الله له آفاق المستقبل بما أراه من آياته الكبرى فكانت بركات المعراج عظيمة للنبي ﷺ وللمؤمنين جميعاً؛

وبعد إعلان الدعوة أخذت قريش تزرع الموانع أمام حركة الرسول ﷺ وتحاول أن تمنع من انتشار الرسالة صادّة بذلك عن سبيل الله، وعمل النبي ﷺ إلى فتح نافذة جديدة للدعوة خارج مكة فأرسل عدّة مجاميع من المسلمين إلى الحبشة بعد أن حظوا باستقبال مَلِكها (النجاشي) وترحيبه بقدومهم فاستقروا فيها بقيادة جعفر بن أبي طالب ولم يتركها جعفر إلاّ في السنة السابعة بعد الهجرة.

ولم تفلح قريش في تأليب النجاشي على المسلمين ، فبدأت بخطّة جديدة تمثّلت في فرض الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والذي استمرّ لمدة ثلاث سنين في شعب أبي طالب عليه السلام – فلمّا أيست من إخضاع النبيّ ﷺ وأبي طالب وسائر بني هاشم لأغراضها فكّت الحصار ولكن النبيّ ﷺ وعشيرته بعد أن خرجوا من الحصار منتصرين اصيبوا بوفاة أبي طالب وخديجة – سلام الله عليهما– في السنة العاشرة من البعثة وكان وقع الحادثين ثقيلاً على النبي ﷺ لأنّه فَقَد بذلك أقوى ناصريه في عام واحد اشتهر بعام الحزن.

وبعد الخروج من الحصار هاجر الرسول ﷺ إلى الطائف ليبحث عن قاعدة

جديدة ولكنه لم يكسب فتحاً جديداً من هذه البلدة المجاورة لمكة والمتأثرة بأجوائها، فرجع إلى مكة بعد أن اختار جوار مطعم بن عدي فدخلها، وبدأ نشاطاً جديداً لنشر الرسالة وفي مواسم الحج حيث أخذ يعرض نفسه على القبائل القاصدة للبيت الحرام لأداء مناسك الحج وللاتجار في سوق «عكاظ» ففتح الله له أبواب النصر بعد التقائه بأهل يثرب، واستمرّت دعوته إلى الله وانتشر الإسلام في يثرب حتى قرّر الهجرة إليها بنفسه بعد أن أخبره الله تعالى بكيد قريش حين أجمعت بطونها على قتله والتخلّص منه نهائيّاً، فأمر عليّاًعليه السلام بالمبيت في فراشه وهاجر هو إلى يثرب بكل حيطة وحذر، في أول من شهر ربيع الأول في سنة ١٣ بعد البعثة ودخلها وأهل يثرب على أتمّ الاستعداد لاستقباله، فوصل (قبا) في غرّة ربيع الأول وأصبحت هجرته المباركة مبدأ للتأريخ الإسلامي بأمر منه صلى الله عليه وآله.

وأسّس النبيّ الخاتمصلى الله عليه وآله أوّل دولة إسلامية فأرسى قواعدها طيلة السنة الأولى بعد الهجرة فبنى المسجد النبوي الذي أعدّه مركزاً لنشاطه ودعوته وحكومته وبالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ليقيم بذلك قاعدة شعبية صلبة يقوم عليها بناء الدولة الجديدة، هذا مضافاً إلى كتابة الصحيفة التي نظم فيها علاقة القبائل بعضها مع بعض والمعاهدة التي أمضاها مع بطون اليهود.

لقد استهدفت قريش النبيصلى الله عليه وآله ودولته من خارج المدينة، واستهدف اليهود هذه الدولة من داخل المدينة فرصد النبيّ تحركاتهم جميعاً، وتتابعت ثمان غزوات وسريّتان طيلة العام الثاني بما فيها غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان المبارك حيث افترضت فريضة الصيام وتمّ تحويل القبلة الذي أعطى لاستقلال الأمّة المسلمة والدولة الإسلامية بُعداً جديداً.

واستمرت محاولات قريش العسكريّة ضد الإسلام والمسلمين من خارج المدينة ونكثت قبائل اليهود عهودها مع النبيّصلى الله عليه وآله عدّة مرّات خلال ثلاث سنوات

متتابعة، فكانت خمس غزوات - وهي: أُحد وبني النضير والأحزاب وبني قريظة وبني المصطلق - ذات ثقل باهض على عاتق النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين جميعاً خلال هذه السنين الثلاث.

وردّ الله كيد الأحزاب واليهود معاً في العام الخامس في غزوة الخندق، وانطلق النبيّ صلى الله عليه وآله بعد صلح الحديبية يتحالف مع القبائل المحيطة به ويستقطبها ليجعل منها قوة واحدة أمام قوى الشرك والإلحاد جميعاً حتى فتح الله له مكّة في العام الثامن ومكّنه من تصفية قواعد الشرك في شبه الجزيرة وكان ذلك فتحاً مبيناً.

ثمّ كانت السنة التاسعة وفيها دفعت غزوة تبوك وكانت هذه السنة عامرة بوفود القبائل التي أخذت تدخل في دين الله أفواجاً، منها وفد نصارى نجران وقصة المباهلة معهم.

وكان العام العاشر عام حجة الوداع وآخر سنة قضاها النبيّ صلى الله عليه وآله مع أمته وهو يمهّد لدولته العالمية ولأُمّته الشاهدة على سائر الأمم، حيث عيّن لها القيادة الحكيمة التي تخلفه وتترسّم خطاه متمثّلة في شخص علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك الإنسان الكامل الذي ربّاه الرسول الكريم بيديه الكريمتين منذ أن ولد ورعاه أحسن رعاية طيلة حياته، وجسّد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كل قيم الإسلام في فكره وسلوكه وخلقه وضرب مثلاً أعلى في الانقياد لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأوامره ونواهيه فكان جديراً بوسام الولاية الكبرى والوصاية النبوية.

وتوفي النبي القائد صلى الله عليه وآله في الثامن والعشرين من صفر المظفر سنة إحدى عشرة هجرية بعد أن أحكم دعائم دولته الإسلامية.

وقد لبّى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله نداء ربّه في الثامن والعشرين من صفر المظفر سنة إحدى عشرة هجرية بعد أن أتمَّ تبليغ الرسالة على الرغم من حراجة الظروف وصعوبتها وأحكم دعائم دولته الإسلامية. وهكذا ضرب الرسول صلى الله عليه وآله المثل الأعلى لطاعة الله والانقياد لأوامره حيث بلّغ أمر الله أحسن تبليغ وأتمّ الحجة بأبلغ بيان.

وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيرت مسار التاريخ البشري وفتحت أمـام الإنسانية صفحات جديدة ومشرقة من الحضارة والمدنية.

تلك نظرة سريعة إلى شخصية وحياة خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله ﷺ وهلمّ معنا بعد هذه النظرة إلى الوقوف على أهمّ الحوادث والمناسـبات التـي كانـت فـي سيرته الشريفة نعرضها باختصار بثوب جديد.

١

ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

شهر ربيع الأول/ عام الفيل = ٥٧٠ م

لقد اتفق عامة كتاب السيرة على أن ولادة النبي صلى الله عليه وآله كانت في عام الفيل في شهر ربيع الأول، ولكنهم اختلفوا في يومه، فذهب المشهور من العلماء إلى أنه في يوم الجمعة السابع عشر منه، وقد نقله الأثبات من الأعلام كالمفيد، والطبرسي، وابن طاووس، والمجلسي الأول قال: اعلم أنه اتفقت الإمامية – إلا من شذّ منهم – على أن ولادته صلى الله عليه وآله كانت في السابع عشر من ربيع الأول عام الفيل في مكة المكرمة في شعب أبي طالب أو شعب بني هاشم.

وذهب المشهور من علماء السنة إلى أن ولادته كانت في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، واختار هذا القول الشيخ الكليني والشيخ المفيد[١]، وقد أعلنت الجمهورية الإسلامية هذه الأيام الفاصلة بين التقديرين أسبوع الوحدة الإسلامية، يحتفل فيها المسلمون وعلمائهم من مختلف المذاهب الإسلامية.

قال المحدث القمي: «قالت آمنة بنت وهب: إن النبي – والله – سقط فاتقى

---

(١) قد ذكر المقريزي في كتابه الإمتاع صفحة ٣ جميع الأقوال المذكورة في يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وشهره وعامه فراجع.

الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضاء كل شيء، فسمعت في الضوء قائلاً يقول، إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً»[١]، وفي (الخرائج) كما عن (البحار): «أنه ولد صلى الله عليه وآله مختوناً مقطوع السرة»[٢].

إن جميع الأدوار، والفترات في حياة العظماء، والنوابغ وقادة المجتمعات البشرية، وروّاد الحضارات الإنسانية وبُناتها تنطوي في الأغلب على نقاط مثيرة حساسة وعلى مواطن توجب الإعجاب.

إن صفحات تاريخهم وحياتهم منذ اللحظة التي تنعقد فيها نطفتهم في أرحام الأمهات، وحتى آخر لحظة من أعمارهم مليئة بالأسرار، زاخرة بالعجائب.

فنحن كثيراً ما نقرأ عن أولئك العظماء في أدوار طفولتهم أنها كانت تقارن سلسلة من الأمور العجيبة، والمعجزة.

الحوادث العجيبة يوم ولادته صلى الله عليه وآله

وترافق مع ولادته المباركة حوادث كانت غريبة وعجيبة على قريش والعالم بأسره، منها: انكباب الأصنام جميعاً على وجوهها حول الكعبة، واضطراب إيوان كسرى، وسقوط أربعة عشر شرفة منه، وانخماد نار فارس التي لم تخمد منذ ألف سنة، ولم يبق سرير لملك من ملوك الأرض إلا نكس، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولما حل الليل سمع هذا النداء من السماء: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وأشرقت الدنيا كلها في هذه الليلة، وضحك الحجر والمدر، وسُبح الله في السماوات والأرضين، وبكى إبليس وقال:**

---

(١) منتهى الآمال ١: ٥٨، وتاريخ الطبري ٢: ١٥٦.

(٢) بحار الأنوار ١٥: ٣٦٩، والمنتظم ٢: ٢٢٧ – ٢٤٩.

خير الأمة وأفضل الخلائق، وأكرم العباد وأعظم العالمين؛ محمد»[١].

إن هذه الحوادث الخارقة والعجيبة كانت تهدف إلى أمرين:

الأول: أن تدفع بالجبابرة، والوثنيين وعبدة الأصنام إلى التفكير فيما هم فيه.

ولو كانوا يفكرون في تلك الحوادث لعرفوا أن تلك الحوادث كانت تبشر بعصر جديد... عصر انتهاء فترة الوثنية وزوال مظاهر السلطة الشيطانية واندحارها؟

الثاني: أن هذه الحوادث جاءت لتبرهن على شأن الوليد العظيم، وإنه ليس وليداً عادياً، فهو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقت مواليدهم أمثال تلك الحوادث العجيبة، والوقائع الغربية، كما يخبر بذلك القرآن الكريم فيما يحدثه عن حياة الأنبياء وتخبر بها تواريخ الشعوب والملل المسيحية واليهودية.

الاحتفال بذكرى المولد النبوي:

وينبغي أن يحتفل المسلمون جميعاً بمولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ويقيموا المهرجانات الكبرى في هذه المناسبة الشريفة التي كانت مبدأ الخير والبركة، ومنشأ السعادة والكرامة للبشرية جمعاء، وأية مناسبة أحرى بالاحتفال والاحتفاء من هذه المناسبة؟

على أن إقامة مثل هذه الاحتفالات هو نوع من تكريم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أمر مطلوب ومحبوب في الشريعة المقدسة.

فقد قال الله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٢].

وعزّر بمعنى كرَّم وبجل كما في اللغة وهو لا يختص بزمان دون زمان، فعلى

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨، ومنتهى الآمال ١: ٥٩.

(٢) الأعراف: الآية ١٥٧.

المسلمين في كل وقت وزمان أن يعظّموا شأن رسول الله ﷺ، ويكرمونه، سواء في حياته أو بعد مماته، لما له من فضل عظيم على الناس، ولما له من منزلة عند الله تعالى.

كيف لا والاحتفال بميلاده لا يعني سوى ذكر أخلاقه العظيمة، وسجاياه النبيلة، والإشادة بشرفه وفضله وهي أمور مدحه القرآن الكريم بها إذ قال سبحانه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[١] وقال تعالى أيضاً: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾[٢] وغير ذلك من الآيات المادحة لرسول الله ﷺ.

فإن الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ الذي يتحقق بذكر صفاته وأخلاقه والإشادة به خير مصداق لرفع ذكره، الذي فعله الله بنحو مّا.

إن الاحتفاء والاحتفال بمولد خاتم النبيين رسول الله ﷺ إنما هو تكريم لمن كرّمه الله تعالى، وأمر بتكريمه، وحث على احترامه وحبه، ومودته، وإنه بالتالي أداء شكر لله تعالى على تلك الموهبة العظيمة، وتلك العطيّة المباركة حيث من سبحانه على البشرية عامة وعلى المسلمين خاصة بأن شرف الله بمولد عظيم نعمت الأرض ببركة شخصيته وخلقه، وأشرقت بنور رسالته ودعوته، فأية نعمة ترى أولى بالشكر من هذه، وأي شكر أجمل وأفضل من الاحتفاء بمولد هذا النبي العظيم ﷺ، وذكر فضائله، في يوم ميلاده، وطلب التوفيق الإلهي لمتابعته، والسير على نهجه، والدفاع عن رسالته، والذب دون دينه، بعد الشكر لله تعالى على موهبته هذه؟؟

هذا ولقد درج المسلمون في العصور الإسلامية الأولى على الاحتفال بذكرى المولد النبوي وأنشأوا القصائد الرائعة في مدحه، وذكر خصاله ومكارم أخلاقه،

---

(١) القلم: الآية ٤.

(٢) الانشراح: الآية ٤.

واظهروا السرور بمولده والشكر لله تعالى بلطفه، وتفضله به ﷺ على البشرية.

قال الإمام الديار بكري في تاريخ الخميس في هذا الصدد:

لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات ويعتنون بقرائة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم(١).

من أوصاف النبي ﷺ:

أن النبي الأكرم ﷺ كان قد كرّس جلّ حياته في سبيل دعوة الناس إلى الله تعالى وإلى تعاليمه، دون أن يستعين بأية وسيلة مادية كبيرة أو قوّة عسكرية هائلة.

فما الذي مكّن رسول الله ﷺ من إحراز ذلك النجاح الباهر في مجتمع الجاهلية مغرق في القسوة والجفاء، وغلظة الطبع وشكاسة الخلق؟!

كيف طوى خاتم الأنبياء ﷺ رحلة قرن ونصف من الزمان في ربع قرن؟ وكيف لم تحتج عملية الهداية المحمدية والتغيير الاجتماعي والفكري العميق إلى زمن طويل؟!

ويأتي الجواب القرآني واضحاً من خلال وصفه تعالى لرسوله الكريم بالخلق العظيم حيث وصف به نبيه تارة على نحو الإجمال، إذ قال عنه: ﴿**وَإِنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾(٣).

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس:

(٢) القلم: الآية ٤.

(٣) آل عمران: الآية ١٥٩.

وقوله تعالى: ﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ**﴾[١].

وسنجيب على هذا السؤال بالتفصيل في أخر هذا القسم تحت عنوان: قبس من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله فهو وصف موثق لأخلاق النبي الأكرم مما نطق وحدّث به أهل بيته عليهم السلام وصحابته الكرام وزوجاته، أمهات المؤمنين.

(١) التوبة: الآية ١٣٨.

٢

سفر النبي ﷺ إلى الشام مع عمه

٢٨ قبل البعثة

لقد كانت سفر النبي ﷺ هذه التي قام بها بصحبة عمّه وكافله (أبـي طالـب)[(١)] في الثانية عشرة من عمره إلى الشام، من أجمل وأطرف أسفاره ﷺ لأنـه ﷺ عبّـر فيها على: (مَدْيَنَ) و (وادي القرى) و (ديار ثمود) واطّلع على مشاهد الشام الطبيعية الجميلة.

ولم تكن قافلة قريش التجارية قد وصلت إلى مقصدها حتى حـدثت فـي منطقـة تدعى (بصرى) قضية غيرت برنامج (أبي طالب) وتسببت في عدوله عن المضي به في تلك الرحلة والقفول إلى مكة).

وإليك فيما يلي مجمل هذه القضية:

كان يسكن في (بصرى) من نواحي الشام رهبٌ مسيحي يدعى (بحيرا) يتعبّـد في صومعته، يحترمه النصارى في تلك الديار.

وكانت القوافل التجارية إذا مرت على صومعته توقفت عنـدها بعـض الوقـت

---

(١) ويذكر (أبو طالب) في أبيات له قصّة هذه السفرة وما جرى فيها من البدء إلى الختـام نقتطـف منهـا هذا البيت: إنَّ ابنَ آمِنة النبي محمَّداً عندي يفوقُ منازل الأولاد

وتبركت بالحضور عنده.

وقد اتفق أن التقى هذا الراهبُ قافلة قريش التي كان فيها رسول الله ﷺ، فلفت نظره شخصيةُ (محمد)، وراح يحدق في ملامحه، وكانت نظراته هـذه تحمـل سـراً عميقاً ينطوي عليه قلبه منذ زمن بعيد وبعد دقائق من النظرات الفاحصة، والتحديث في وجه النبي ﷺ خرج عن صمته وانبرى سائلاً: أُنشدكم بالله أيّكم وليّه؟

فأشار جماعة منهم إلى (أبي طالب) وقالوا: هذا وليّه.

فقال (أبو طالب): إنه ابن أخي، سلني عمّات بدالك.

فقال (بحيرا): إنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيمٌ، نجده في كتبنا ومـا روينـا عن آبائنا، هذا سيّدُ العالمين، هذا رسولُ رب العالمين، يبعثه رحمة للعالمين، إحذرْ عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليقصدنَ قتله[1].

هذا وقد اتفق أكثر المؤرخين على أنَّ النبي ﷺ لم يتعدَّ تلك المنطقـة، ولـيس من الواضح أن عمه (أبا طالب) بعثه إلى مكة مع أحد، (ويُستبعد أن يكون عمه قـد رضي بمفارقته منذ أن سمع تلك التحذيرات من الراهب بحيـرا)، أم أنـه اصـطحبه بنفسه إلى مكة، وانثنى عن مواصلة سفره إلى الشام)[2].

وربمـا قيـل أنـه تـابع - بحـذر شـديد - سـفرهُ إلـى الـشام مـع ابـن أخيـه (محمد ﷺ).

(١) روى تاريخ الطبري ٢: ٣٢ و٣٣، والسيرة النبويـة ١: ١٨٠ ـ ١٨٣ هـذه القـصّة بتفـصيل أكبـر وقـد اختصرناها هنا تمشياً مع حجم هذا الكتاب.

(٢) السيرة النبوية ١: ١٨٢ و ١٨٣.

٣

النبي محمد صلى الله عليه وآله في حلف الفضول

٢٠ قبل البعثة

لقد كان في ما مضى ميثاقٌ وحلف بين الجرهميين يدعى بحلف (الفضول)، وكان هذا الحلف يهدف إلى الدفاع عن حقوق المظلومين، وكان المؤسسون لهذا الحلف هم جماعة كانت أسماؤهم برمتها مشتقة من لفظة الفضل، وأسماؤهم ـ كما نقلها المؤرخ المعروف (عماد الدين ابن كثير)، هي عبارة عن: (فضل بن فضالة)، و (فضل بن الحارث)، و (فضل بن وداعة)[١]، وحيث أن الحلف الذي عقدته جماعة من قريش فيما بينها كان متحداً في الهدف (وهو الدفاع عن حقوق المظلومين) مع حلف (الفضول) لذلك سمّي هذا الاتفاق وهذا الحلف بحلف (الفضول) أيضاً.

فقبل البعثة النبوية الشريفة بعشرين عاماً دخل رجلٌ من (زبيد) في مكة في شهر ذي القعدة، وعرض بضاعة له للبيع فاشتراها منه (العاص بن وائل)، وحبس عنه حقه)، فاستعدى عليه الزبيدي قريشاً، وطلب منهم أن ينصروه على العاص، وقريش آنذاك في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يا آل فِهر لمظلوم بضاعتُه ... بِبطن مكة نائي الدار والنَفَر

(١) البداية والنهاية ١: ٢٩٠.

ومُحرمٌ أشعثٌ لم يَقض عُمْرَتَه   يا للرِّجال وبَيْن الحجر والحَجَر

إن الحرامَ لِمَن تمَّت كرامتُه   ولا حَرام لِثوب الفاجر القذر

فأثارت هذه الأبيات العاطفية مشاعر رجال من قريش، وهيّجت غيرتهم، فقام (الزُبير بن عبد المطلب) وعزم على نصرته، وأيّده في ذلك آخرون، فاجتمعوا في دار (عبد الله بن جَدعان) وتحالفوا وتعاهدوا بالله ليكونَنّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدّى إليه حقه ما أمكنهم ذلك ثم مشوا إلى (العاص بن وائل) فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

وقد أنشد الزبير بن عبد المطلب في ذلك شعراً فقال:

إن الفُضُولَ تعاقَدُوا وتحالفوا   ألاّ يقيمَ بِبطن مَكَّة ظالم

أمرٌ عليْهِ تَعاقَدُوا وتواثقُوا   فالجارُ والمُعترُّ فيهم سالمُ

وقد شارك رسول الله ﷺ في هذا الحلف الذي ضمن حقوق المظلومين وحياتهم، وقد نُقلت عنه ﷺ عبارات كثيرة يشيد فيها بذلك الحلف ويعتزُّ فيها بمشاركته فيه وها نحن ننقل حديثين منها في قال ﷺ: «**لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبتُ**».

كما أن ابن هشام نقل في سيرته أن النبي ﷺ كان يقول في ما بعد عن هذا الحلف: «**ما أُحبُّ أنَّ لي بِه حُمُرَ النعَم**».

ولقد بقي هذا الحلف يحظى بمكانة واحترام قويّين في المجتمع العربي والإسلامي حتى أن الأجيال القادمة كانت ترى من واجبها الحفاظ عليه والعمل بموجبه، ويدل على هذا قضيةٌ وقعت في عهد إمارة (الوليد بن عتبة) الأموي[1] على المدينة.

---

(١) من قبل عمّه معاوية.

فقد وقعت بين الإمام الحسين بن علي عليه السلام وبين أمير المدينة هذا منازعة في مال متعلّق بالحسين عليه السلام، ويبدو أن (الوليد) تحامل على الحسين في حقه لسلطانه، فقال له الإمام السبط الذي لم يرضخ لحيف قط، ولم يسكت على ظلم أبداً: «**أحلِفُ بالله لتَنْصِفَني مِنْ حقّي، أوْ لآخُذَنَّ سَيْفيْ ثمَّ لأقُومَنّ في مسجد رَسُول الله صلى الله عليه وآله ثمّ لأدْعُونَّ بِحلف الفُضُل**»[(١)].

فاستجاب للحسين فريقٌ من الناس منهم (عبد الله بن الزبير)، وكرّر هذه العبارة وأضاف قائلاً: وأنا أحلِفُ بالله لئن دعا به لآخُذنَّ سيفي ثُمَّ لأقُومَنَّ معه حتَى يُنْصِفَ مِنْ حَقِّه أوْ نَمُوتَ جَميعاً.

وبلغت كلمة الحسين السبط عليه السلام هذه إلى رجال آخرين كالمسورة بن محرمة بن نوفل الزُهري) و (عبد الرحمن بن عثمان) فقالا مثل ما قال (ابن الزبير)، فلما بلغ ذلك (الوليد بن عتبة) أنصف الحسين عليه السلام من حقه حتى رضي[(٢)].

(١) السيرة الحلبية ١: ١٣٢.

(٢) البداية والنهاية ٢: ٢٩٣.

٤

زواج النبي صلى الله عليه وآله بالسيدة خديجة

١٠ / ربيع الأول / السنة ١٥ قبل البعثة

لما تاجر رسول الله صلى الله عليه وآله مضاربة في أموال خديجة، وخرج بقوافلها إلى الشام رجع وفير الربح سريع القدوم، فأخذ – ميسرة – خادمها يخبرها عما رآه بعينه من كرامة محمد ونبله وخلقه وسموه، ولأجل ما كانت تعرفه عنه وما شاع في الأوساط من أخلاقه في قومه رغبت في الزواج منه. قال ابن هشام في (سيرته): «فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له: يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك ووسطتك (عراقتك) في قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت نفسها عليه»[1].

رجع النبي صلى الله عليه وآله إلى أعمامه وأخبرهم بذلك، وطلب منهم أن يخطبوها له، فخرج جمع من بني هاشم يرأسهم أبو طالب إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وقيل: إلى عمها عمرو ابن أسد ليخطبوا خديجة لمحمد صلى الله عليه وآله، فلما استقرّ بهم المقام قام أبو طالب وقال: «الحمد لرب هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه..

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٣٧.

ثم إن ابن أخي هذا من لا يوزن برجل من قريش إلاّ رجح به، ولا يقاس به رجل إلاّ عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلاً في المال؛ فإن المال رفد جار وظل زائل، وله في خديجة رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليه برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله، وله ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل»[١].

قال القمي تَنَسَّتْ: «فلم يسعف عمها الرد فغالبت خديجة حياءها وقالت بلسان فصيح: أي عم، إنك وإن كنت الأولى بالكلام في هذا المقام غير أني بما أختاره الأولى، فقد زوجت نفسي منك يا محمد، وأما مهري فهو من مالي»[٢].

فقال أبو طالب: أيها الناس اشهدوا أن خديجة زوجت نفسها من محمد صلى الله عليه وآله، وأنها ضمنت مهرها، فقال بعضهم: عجباً أن تضمن النساء مهورهنّ للرجال!

فانتفض أبو طالب غاضباً وقال: لو كان الأزواج مثل ابن أخي لطلبتهم النساء بأغلى القيم، وأغلى المهور، ولو كان مثلكم لطلبن منهم مهراً غالياً[٣].

ثم إن أبا طالب عليه السلام نحر جزوراً لوليمة الزواج، وتم زفاف درة الأنبياء على جوهرة النساء، وأنشد عبد الله بن غنم، فقال:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت   لك الطير فما كان منك بأسعد
تزوجت من خير البرية كلها   فمن ذا الذي في الناس مثل محمد

---

(١) منتهى الآمال ١: ٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

إضاءة من سيرة السيدة خديجة عليها السلام:

كان عمر خديجة عند زواجها بالرسول صلى الله عليه وآله على القول المشهور أربعين سنة[1].

وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله عندما بنى بخديجة خمساً وعشرين سنة. وكانت خديجة آنذاك عذراء لم تتزوج كما يذكر ذلك السيد جعفر مرتضى العاملي المؤرخ المعاصر في كتابه (الصحيح من السيرة) استناداً ما روى عن أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما والسيد المرتضى في كتابه الشافي.

فقال السيد جعفر مرتضى: «خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كانت تعرف في قومها بـ(سيدة قريش) و(الطاهرة)، فقد كانت ذات حسب وشرف ومال وحزم، وكان رجال قومها حريصين على الزواج بها لو يقدرون، وقد خطبها عظماء قريش، وبذلوا لها الأموال ولم ترض.

وقد كانت جميلة الخلقة، وكريمة الصفات، يعرف الكل سجاياها وكرم خلقها، ومنزلتها في قومها، وكان لها قوافل تجارية تجوب ما حول مكة من البلاد، وكان الكل يرغب في الاتجار معها.

نعم هكذا كانت خديجة، ولما لم تجد من أوصاف النبي السامية في غيره عرضت عليه الزواج بها، فيا للعجب، خديجة ترفض العظماء - بلحاظ الحكم الجاهلي - رغم ما يقدمون من المهور الغالية، وتقبل بالنبي صلى الله عليه وآله وتضمن له مهرها من مالها، بل تهبه كل ما تملك وتضعه تحت تصرفه، كل ذلك لما وجدته فيه من صفات كانت غريبة جداً في مجتمع متردي الأطراف، وكذلك قبل النبي بها لا لشيء سوى سموها وحسن خلقها وطهارتها في قومها، وما كان المال يهمه، ولذا أنفقه بعد البعثة في نشر الإسلام.

---

(١) راجع موسوعة التاريخ الإسلامي ١: ٣٣٣.

٥

المبعث النبوي المبارك

٢٧ / رجب / لأربعين خلت من عام الفيل

اليوم ٢٧ من رجب كان بعثة النبي ﷺ وهبوط جبرئيل بالرسالة على أشهر الأقوال[١] ومن الأعمال الواردة في هذا اليوم العظيم، الغسل، الصيام،زيارة النبي وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وغيرها من الأعمال يمكنك مراجعة مفاتيح الجنان للإطلاع عليها.

وقد اختلف علماء المسلمين في اليوم والشهر الذي وقع فيه المبعث النبوي على أقوال خمسة ذكرها المجلسي في بحار الأنوار، ومنشأ الاختلاف، الخلط بين مبدأ حدث النبوة، ومبدأ نزول القرآن؛ إذ مما لا يمكن التشكيك فيه أن نزول القرآن على قلب النبي ﷺ كان في ليلة القدر في شهر رمضان، قال تعالى: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ**﴾[٢]، وقال: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾[٣]، وقال: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾[٤].

---

(١) راجع بحار الأنوار ١٨: ١٩٠.

(٢) الدخان: الآية ٣.

(٣) البقرة: الآية ١٨٥.

(٤) القدر: الآية ١.

ومع هذه البديهة، اتفقت كلمة الإمامية على أن مبعث النبي ﷺ في السابع والعشرين من رجب، مع أن النبي ﷺ إنما بُعث بالقرآن، إذ ترافق مع بعثته نزول بعض الآيات من سورة (اقرأ) كما هو المشهور بين المفسرين، وعليه فكيف يمكننا التوفيق بين ذينك الأمرين؟!

ذكر المحققون وجوهاً للتوفيق بين المبعث في رجب، وبدء نزول القرآن في شهر رمضان، ارتقت بعد ذلك إلى مستوى النظريات التي لها أصحابها ومتبنيها وإليك أشهرها:

نظرية النزولين:

ذهب جماعة من أرباب الحديث إلى أن القرآن الكريم نزل في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الرابعة، أي البيت المعمور - كما ورد في روايات الخاصة - أو إلى بيت العزة - كما ورد في روايات العامة - وبعد ذلك بدأ نزوله في (٢٧ رجب) على رسول الله ﷺ حسب المناسبات، طول عشرين أو ثلاثة وعشرين عاماً.

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور، في السماء الرابعة، ثم نزل من البيت المعمور في مدة عشرين سنة، وأن الله أعطى نبيه العلم جملة واحدة، ثم قال له: ﴿**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾[١][٢].

وقال المجلسي تعقيباً عليه: «قد دلت الآيات على نزول القرآن ليلة القدر، والظاهر نزوله جميعاً فيها، ودلت الآثار والأخبار على نزول القرآن في عشرين أو

---

(١) طه: الآية ١١٤.

(٢) الاعتقادات للصدوق: ١٠١.

ثلاث وعشرين سنة. وورد في بعض الروايات أن القرآن نزل في أول ليلة من شهر رمضان، ودلّ بعضها على أن ابتداء نزوله في المبعث، فيجمع بينها بأن في ليلة القدر نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الرابعة (البيت المعمور) لينزل من السماء الرابعة إلى الأرض تدريجاً. ونزل في أول ليلة من شهر رمضان جملة القرآن على النبي صلى الله عليه وآله ليعلمه هو، ولا يتلوه على الناس، ثم ابتدأ نزوله آية آية وسورة سورة في المبعث أو غيره ليتلوه على الناس[1].

واستدلّ على هذه النظرية بجملة من الروايات، منها – ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: «**يا مفضّل، إن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة، والله يقول: ﴿شهر رمضان الذي أُنْزِلَ فيه القُرآن﴾**[2]**، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَة مُبارَكَة إِنَّا كُنَّا مُنْذِرينَ فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْر حَكِيم﴾**[3]**، وقال: ﴿لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ﴾**[4].

قال المفضل: يا مولاي فهذا تنزيله الذي ذكره الله في كتابه، فكيف ظهر الوحي في ثلاث وعشرين سنة.

قال عليه السلام: «**نعم يا مفضّل، أعطاه الله القرآن في شهر رمضان، وكان لا يبلّغه إلاّ في وقت استحقاق الخطاب، ولا يؤديه إلاّ في وقت أمر ونهي، فهبط جبرئيل بالوحي، فبلّغ ما يؤمر به، وقوله: ﴿لا تُحَرِّكْ به لسانَكَ لتَعْجَلَ به﴾**[5].

ومنها ما رواه العياشي عن إبراهيم أنه سأل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**شهر**

---

(١) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٣–٢٥٤.

(٢) القيامة: الآية ١٦.

(٣) الدخان: الآيتين ٣–٤.

(٤) الفرقان: الآية ٣٢.

(٥) بحار الأنوار ٨٩: ٣٨.

رمضان الذي أُنْزِلَ فيهِ القُرآن﴾[١]، كيف أنزل فيه القران، وإنما أنزل القرآن في طول عشرين سنة من أوله إلى آخره؟! فقال عليه السلام: «**نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم أنزل من البيت المعمور في طول عشرين سنة**»[٢].

وهذه النظرية هي المشهورة بين المحققين وقد اختارها الصدوق والمجلسي والعلامة الطباطبائي في (الميزان)[٣]، والطبري في (تفسيره)[٤]، والسيوطي في (إتقانه)[٥]، كما هو مروي عن عطية الأسود عن ابن عباس، وأسند إلى جابر بن عبد الله الأنصاري[٦]، وغيرهم.

بماذا بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله[٧]

بعث الله تعالى نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل خاتماً للنبيين وناسخاً لشرائع من كان قبله من المرسلين إلى الناس كافة أسودهم وأبيضهم عربيهم وعجميهم وقد ملئت الأرض من مشرقها إلى مغربها بالخرافات والسخافات والبدع والقبائح وعبادة الأوثان.

فقام صلى الله عليه وآله في وجه العالم كافة ودعا إلى الإيمان بإله واحد خالق رازق مالك لكل أمر، بيده النفع والضر، لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل

---

(١) القيامة: الآية ١٦.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٨٤/٨٠.

(٣) راجع تفسير الميزان، تفسير سورة القدر.

(٤) تفسير الطبري ٢: ٨٤-٨٥.

(٥) الإتقان في علوم القرآن ١: ٣٩- ٤٠.

(٦) نقله عنهما الطبري ٢: ٨٤- ٨٥.

(٧) تجد هذا البحث في سيرة النبي صلى الله عليه وآله للسيد محسن الأمين العاملي في كتابه أعيان الشيعة.

ولم يتخذ صاحبة، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

بعثه آمراً بعبادته وحده لا شريك له مبطلاً عبادة الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تدفع عن أنفسها ولا عن غيرها ضراً ولا ضيماً، متمماً لمكارم الأخلاق حاثاً على محاسن الصفات آمراً بكل حسن ناهياً عن كل قبيح.

سهولة الشريعة الإسلامية وسماحتها

واكتفى من الناس بأن يقولوا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان ويحجوا البيت ويلتزموا بأحكام الاسلام. وكان قول هاتين الكلمتين (لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله) يكفي لأن يكون لقائله ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

سمو التعاليم الإسلامية

وبعث بالمساواة في الحقوق بين جميع الخلق، وأنّ أحداً ليس خيراً من أحد إلا بالتقوى. وبالأُخوّة بين جميع المؤمنين وبالكفاءة بينهم: تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وبالعفو العام عمن دخل في الاسلام.

وسنّ شريعة باهرة وقانوناً عادلاً تلقّاه عن الله تعالى فكان هذا القانون جامعاً لأحكام عباداتهم ومعاملاتهم وما يحتاجونه في معاشهم ومعادهم وكان عبادياً اجتماعياً سياسياً أخلاقياً لا يشذّ عنه شيء مما يمكن وقوعه في حياة البشر مستقبلاً ويحتاج اليه بنو آدم، فما من واقعة تقع ولا حادثة تحدث إلاّ ولها فى الشريعة الإسلامية أصل مسلّم عند المسلمين ترجع اليه.

على أن العبادات في الدين الاسلامي لا تتمحض لمجرد العبادة ففيها منافع

بدنية واجتماعية وسياسية فالطهارة تفيد النظافة، وفي الصلاة رياضة روحية وبدنية، وفي صلاة الجماعة والحج فوائد اجتماعية وسياسية ظاهرة، وفي الصوم فوائد صحية لا تنكر، والإحاطة بفوائد الأحكام الإسلامية الظاهرة فضلاً عن الخفية أمر متعذّر أو عسير.

ولما في هذا الدين من محاسن وموافقة أحكامه للعقول وسهولتها وسماحتها ورفع الحرج فيه والاكتفاء بإظهار الشهادتين ولما في تعاليمه من السمو والحزم والجد دخل الناس فيه أفواجاً وساد أهله على أعظم ممالك الأرض واخترق نوره شرق الأرض وغربها ودخل جميع أقاليمها وأقطارها تحت لوائه ودانت به الأمم على اختلاف عناصرها ولغاتها.

ولم يمض زمن قليل حتى أصبح ذلك الرجل الذي خرج من مكة مستخفياً وأصحابه يعذّبون ويستذلون ويفتنون عن دينهم ، يعتصمون تارة بالخروج إلى الحبشة مستخفين وأُخرى بالخروج إلى المدينة متسللين، يدخل مكة بأصحابه هؤلاء في عمرة القضاء ظاهراً لا يستطيعون دفعه ولا منعه ولم تمض إلاّ مدة قليلة حتى دخل مكة فاتحاً لها وسيطر على أهلها من دون أن تراق محجمة دم بل ولا قطرة دم فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً وتوافدت عليه رؤساء العرب ملقيةً إليه عنان طاعتها وكان من قبل هذا الفتح بلغ من القوة أن يبعث برسله وسفرائه إلى ملوك الأرض مثل كسرى وقيصر ومن دونهما ودعاهم إلى الإسلام وغزا بلاد قيصر مع بُعد الشقة وظهر دينه على الدين كله كما وعده ربه حسبما صرّح تعالى بذلك في سورة النصر، والفتح وغيرهما وكما تخبرنا بذلك كتب التاريخ.

ولم يقم هذا الدين بالسيف والقهر كما يصوّره من يريد الوقيعة فيه بل كما أمر الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِىَ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ**

أَحْسَنُ﴾[١] ولم يحارب أهل مكة وسائر العرب حتى حاربوه وأرادوا قتله وأخرجوه، وأقر أهل الأديان التي نزلت بها الكتب السماوية على أديانهم ولم يجبرهم على الدخول في الإسلام.

القرآن الكريم

وانزل الله تعالى على نبيّه حين بعثه بالنبوّة قرآناً عربيّاً مبيّناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أعجز النبي ﷺ به البلغاء وأخرس الفصحاء وتحدّاهم فيه فلم يستطيعوا معارضته وهم أفصح العرب بل واليهم تنتهي الفصاحة والبلاغة، وقد حوى هذا الكتاب العزيز المنزل من لدن حكيم عليم من أحكام الدين وأخبار الماضين وتهذيب الأخلاق والأمر بالعدل والنهي عن الظلم وتبيان كل شيء ما جعله يختلف عن كل الكتب حتّى المنزّلة منها وهو ما يزال يتلى على كر الدهور ومر الأيام وهو غض طري يحيّر ببيانه العقول ولا تملّه الطباع مهما تكررت تلاوته وتقادم عهده.

وقد كان القرآن الكريم معجزة فيما أبدع من ثورة علمية وثقافية في ظلمات الجاهلية الجهلاء وقد أرسى قواعد نهضته على منهج علمي قويم ، فحثّ على العلم وجعله العامل الأوّل لتسامي الإنسان نحو الكمال اللائق به وحثّ على التفكير والتعقّل والتجربة والبحث عن ظواهر الطبيعة والتعمق فيها لاكتشاف قوانينها وسننها وأوجب تعلّم كل علم تتوقف عليه الحياة الاجتماعية للإنسان واهتم بالعلوم النظرية من كلام وفلسفة وتاريخ وفقه وأخلاق، ونهى عن التقليد وإتباع الظن وأرسى قواعد التمسك بالبرهان.

وحثّ القرآن على السعي والجد والتسابق في الخيرات ونهى عن البطالة

---

(١) النحل: الآية ١٢٥.

والكسل ودعا إلى الوحدة ونبذ الفرقة. وشجب العنصرية والتعصبات القبلية الجاهلية.

وأقرّ الإسلام العدل كأساس في الخلق والتكوين والتشريع والمسؤولية وفي الجزاء والمكافأة ، وهو أوّل من نادى بحق المساواة بين أبناء الإنسان أمام قانون الله وشريعته وأدان الطبقية والتمييز العنصري وجعل ملاك التفاضل عند الله أمراً معنويّاً هو التقوى والاستباق إلى الخيرات، من دون أن يجعل هذا التفاضل سبباً للتمايز الطبقي بين أبناء المجتمع البشري.

وبالغ الإسلام في حفظ الأمن والمحافظة على الأموال والدماء والأعراض وفرض العقوبات الشديدة على سلب الأمن بعد أن شيّد الأرضية اللازمة لاستقرار الأمن والعدل وجعل العقوبة آخر دواء لعلاج هذه الأمراض الاجتماعية بنحو ينسجم مع الحرية التي شرّعها للإنسان. ومن هنا كان القضاء في الشريعة الإسلامية مرتكزاً على إقرار العدل والأمن وإحقاق الحقوق المشروعة مع كل الضمانات اللازمة لذلك.

واعتنى الإسلام بحفظ الصحة والسلامة البدنية والنفسية غاية الاعتناء وجعل تشريعاته كلها منسجمة مع هذا الأصل المهم في الحياة.

الواجبات والمحرمات في الإسلام:

وترتكز الواجبات والمحرّمات في الشريعة الإسلامية على أسس فطرية واقعية وأمور تستلزمها طبيعة الأهداف السامية للشريعة التي جاءت لإخراج هذا الإنسان من ظلمات الجاهلية وهدايته إلى نور الحق والكمال ، ولا تحتاج الإنسانية إلى شيء يرتكز عليه الكمال البشري إلاّ وأوجبته الشريعة الإسلامية على الإنسان وهيّأت له سبل الوصول إليه ، وحرّمت كل شيء يعيق الإنسان عن السعادة الحقيقية

المنشودة له وسدّت كل منافذ السقوط إلى هوّة الشقاء.

وأباحت الطيبات ولذائذ الحياة الدنيا وزينتها ممّا لا يخلّ بأصول الشريعة ومدارج الكمال البشري وحدّدت قنواتها حين حدّدت الأهداف السامية وحرّمت ما يضرّ وأوجبت ما ينبغي للإنسان امتثاله.

ومع ذلك كله فقد اعتبرت الشريعة مكارم الأخلاق أهدافاً أساسيّة ينبغي للإنسان الذكي اللبيب أن يحصل عليها في هذه الحياة الدنيا ليسعد بها في الدنيا ويحيا بها في الآخرة ذات الحياة الأبدية الدائمة.

واعتنى الإسلام بالمرأة اعتناءً بالغاً وجعلها ركن العائلة وأساس السعادة في الحياة الزوجية وشرّع لها من الحقوق والواجبات ما يضمن لها عزّتها وكرامتها وتحقيق سعادتها وسعادة أبنائها ومجتمعها الإنساني.

وصفوة القول أنّ الإسلام لم يغفل عن تشريع كل ما يحتاجه المجتمع البشري في تكامله وارتقائه.

٦

الإسراء والمعراج

٢٧ / رجب/ السنة ٣ للبعثة[١]

لا إشكال ولا خلاف في وقوع الإسراء، وأن الله تعالى أسرى بنبيه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ**﴾[٢]. وكذا معراجه ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، ويمكن الاستدلال على ثبوته بأحد الدليلين الآتيين أو بكليهما: الأول: بعض من آيات سورة النجم الثاني: كثرة الأخبار الواردة في المعراج.

الدليل الأول: الآيات من سورة النجم، قال تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذا هَوى ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى عَلَّمَهُ شَديدُ الْقُوى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً**

---

(١) وهُناك قولان آخران في المسألة، أحدهما أن الإسراء والمعراج كانا في ١٧ من شهر رمضان، والقول الثاني ١٧ من شهر ربيع الأول.

(٢) الإسراء: الآية ١.

أُخْرى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾[1].

فإنّ هذه الآيات تحكي رؤية النبي صلى الله عليه وآله لجبرئيل على هيئته الواقعية والأصلية، لأن جبرئيل كان يصغر كلما أراد الهبوط إلى النبي صلى الله عليه وآله[2]، ولكن هذه المرة رآه على صورته الأصلية بالأفق، ثم أخذ جبرئيل يقترب من النبي صلى الله عليه وآله ويدنو منه حتى كان بينهما ما بين قاب قوسين أو أدنى.

ولكي تدلّ هذه الآيات على المعراج، يلزم رجوع الضمير في قوله: ﴿**وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى**﴾ وفي سائر الآيات إلى النبي صلى الله عليه وآله ليصبح المعنى؛ أن النبي صلى الله عليه وآله عندما كان بالأفق رأى جبرئيل على صورته الأصلية. أما لو رجع الضمير إلى «ذو مرة» الذي هو جبرئيل - كما استظهره بعض المحققين وأدعى وجود رواية صحيحة الإسناد على ذلك - فلا دلالة فيها على المعراج أبداً.

الدليل الثاني: كثرة الأخبار الواردة في المعراج، والتي يمكن دعوى تواترها القطعي، بحيث لا تدع مجالاً للشك في وقوعه.

وما قد يقال: هناك تعارض بين آية الإسراء، وبين الروايات الدالة على المعراج، على اعتبار أن الآية تدل على أن انتهاء السريان كان إلى المسجد الأقصى، ولم يكن سير بعده.

والجواب: إن الآية بصدد بيان الرحلة الأولى بين المسجدين، ولم تنف وجود رحلة أخرى، فما تعطيه الروايات غير ما تعطيه الآية.

وبعد هذا فلا يبقى مجال للتشكيك في الإسراء والمعراج، وأن مجرد عدم

---

(١) النجم: الآيات ١- ١٨.

(٢) المعراج للسيد دستغيب رحمه الله: ٣٢.

تعقل خصوصياتهما من قلة الزمن الذي وقعا فيه، أو ما شاكل ذلك لا يذهب بحقانيتهما، بعدما عرضناه من أدلة.

نعم إن كان خلاف ففي أمرين:

الأمر الأول: في تاريخهما: حيث ذهب مشهور المؤرخين إلى أنهما وقعا قبل الهجرة بمدة وجيزة، كستة أشهر، كما عن بعضهم، أو بسنة كما عن بعض آخر، أو بسنتين كما عن ثالث، وهناك من قال بوقوعهما بعد الهجرة[١] ولكنه نادر جداً، ومخالف لكون الإسراء، من المسجد الحرام الذي دلت عليه الآية.

في قبال ذلك ما ذهب إليه جماعة منهم الزهري من أنهما في السنة الثانية من البعثة[٢]، وقيل في الخامسة، وقيل في الثالثة[٣].

والأرجح وقوعه في السنة الثالثة أو الرابعة للبعثة لوجوه، منها:

أولاً – ما روي عن علي عليه السلام قال: «إن الإسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه»[٤].

ثانياً – ما روي عن ابن عباس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، والإمام الصادق عليه السلام، وعمر بن الخطاب، وعائشة: من أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعائشة – حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته فاطمة عليها السلام –: نعم يا عائشة؛ لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة، فناولني منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلتُ واقعتُ خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء إنسية، وكلما اشتقت

---

(١) تاريخ الخميس ١: ٣٠٧.

(٢) بحار الأنوار ١٨: ٣١٩.

(٣) البداية والنهاية ٣: ١٠٨.

(٤) بحار الأنوار ١٨: ٣٧٩.

إلى الجنة قبّلتها[1].

وقد ثبت بالتحقيق أنّ فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، فلابد وأن يكون الإسراء والمعراج، على ضوء هذه الرواية - قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، فتكون حادثة الإسراء والمعراج في السنة الرابعة إن حملت خديجة بعدها مباشرةً، وإن احتمل - لأجل الرواية الأولى تأخر الحمل عن ذلك بسنتين.

الأمر الثاني - اختلفوا أيضاً في أن الإسراء والمعراج كانا جسمانيين، أم روحانيين، بمعنى هل فعلاً خرج النبي ﷺ بجسمه من مكة إلى المسجد الأقصى، ثم عرج بجسمه إلى السماء، فكان كلّ ما رآه بجسده، أو أنها كانت رؤيا رآها ﷺ في نومه؟

يرى البعض: أنهما كانا بالروح فقط في عالم الرؤيا، كما روي عن عائشة قولها: ما فقدت جسد رسول الله ﷺ[2]، وعن معاوية: أنها رؤيا صالحة[3]، وحكي مثله عن الحسن البصري[4].

لكن الصحيح - على ما ذهب إليه الإمامية والكم الساحق من جمهور علماء إخواننا أهل السنة - أنه إنما كان بالروح والجسد معاً، فلا ينظر بعد هذا لما روته عائشة؛ لأنها إذ ذاك لم تكن زوجة له ﷺ، إذ أن زواج النبي ﷺ بها كان في السنة الأولى أو الثانية من الهجرة، والإسراء والمعراج كانا في السنة الثالثة للبعثة وعلى ما ذكره أبعد الأقوال في السنة الثانية عشر من البعثة، وأما معاوية فلا يعتمد على قوله،

---

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٢٩٧، وتاريخ بغداد ٥: ٨٧.

(٢) تاريخ الخميس ١: ٣٠٨.

(٣) المصدر السابق ١: ٣٠٩.

(٤) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٣: ١٦.

بعد ما علم من محاربته للدين ورموزه.

أضف إلى ذلك، أن الآية تـذكر: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىَ بِعَبْـدِهِ**﴾[1] ولفـظ العبـد إنما يطلق على مجموع الروح والجسد، فلو كان مناماً، لكان حق الخطاب: (سبحان الذي أسرى بروح عبده)، وأيضاً لو كانـت مجـرد رؤيـة صـالحة ذكرهـا النبـي ﷺ للمشركين لما أنكروها عليه، ولما ضجّ الناس حتى أدى ذلك إلى ارتداد بعض مـن أسلم، خصوصاً أن الرؤيا الصالحة كثيراً ما كانت تحصل في مجتمـع مكـة، وأيـضاً رووا أن المشركين سألوا النبي ﷺ عن عدد أعمدة المسجد الأقـصى، وعـن علامـة صدق قوله، فأخبرهم بعددها بعد أن أظهر له جبرئيل المسجد نصب عينيـه، وذكـر لهم سقاء قافلتهم، وضياع جمل من جمالها، وهذا المطلب لا يتأتى مـنهم لـو كـان النبي ﷺ قد أدّعى مجرّد الرؤيا، بل يكشف عن أنّ وإسرائه كـان بروحـه وجـسده معاً، ومن هنا، ولعدم إيمان المشركين وتصديقهم به طلبوا منه ﷺ ما طلبوه، هـذا بالنسبة إلى إسراءه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأمّا معراجـه ﷺ مـن المسجد الأقصى إلى السماء فأيضاً المشهور عند الإمامية أنه كـان بروحـه وجـسده وإن كان هناك أقوال أخرى تشير إلى أنه كن بالروح فقط[2].

بعض ما رآه النبي ﷺ في المعراج:

قال رسول الله ﷺ - في حديثه عن معراجه لما رأى النار -: ثم مضيت، فـإذا أنا بقوم يريد أحدهم أن يقوم فلا يقـدر مـن عظـم بطنـه، فقلـت: مـن هـؤلاء يـا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربـا لا يقومـون إلاّ كمـا يقـوم الـذي يتخبطّـه

---

(١) الإسراء: الآية ١.

(٢) لمزيد الإطلاع راجع تفاسير آيات الإسراء والمعراج في كتب التفاسير لاسيما تفسير الميزان للعلامـة الطباطبائي قدس سره.

الشيطان من المس..

ثم مضيت، فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث، يأكلون اللحم الخبيث، ويدعون الطيب، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هـؤلاء يـأكلون الحرام ويدعون الحلال وهم من أمتك يا محمد[1].

وقال ﷺ لعلي وفاطمة عليهما السلام فيما رآه في معراجه:

رأيت امرأة معلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها.

ورأيت امرأة معلّقة بلسانها والحميم يصب في حلقها.

ورأيت امرأة معلّقة برجليها في تنور من نار.

ورأيت امرأة يُحرق وجهها ويداها، وهي تأكل أمعاءها.

ثم طلبت فاطمة عليها السلام منه ﷺ أن يبين لهما الذنوب التي اقترفتهـا كـل واحـدة فاستوجبت هذا العذاب، فقال:

أما المعلقة بشعرها، فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال.

وأما المعلقة بلسانها، فإنها كانت تؤذي زوجها.

وأما المعلقة برجليها، فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها.

وأما التي كانت تأكل لحم جسدها، فإنها كانت تزين بدنها للناس[2].

وهُناك أشياء أخرى متنوعة رآها النبي ﷺ في معراجه فمن أراد الإطلاع عليها فليراجع الكتب المدونة في هذا الموضوع ومنها المصدر المذكور.

---

(١) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١٨: ٣٢٣.

(٢) بحار الأنوار ١٨: ٣٥٢.

٧

النبي صلى الله عليه وآله في شعب أبي طالب

السنة ٨ – ٩ – ١٠ للبعثة

حين أسرع الإسلام ينتشر في مكة وأصبح كياناً يقض مضاجع المشركين وخطراً كبيراً يهدد مصالحهم؛ عمد المشركون إلى أسلوب الغدر والقهر لإسكات صوت الرسالة الإسلامية، فشهروا سيوف البغي ولم يتوان أبو طالب في إحكام الغطاء الأمين للرسول صلى الله عليه وآله، لما له من هيبة ومكانة شريفة في نفوس زعماء قريش الذين لم يجرؤا على النيل من النبي صلى الله عليه وآله لأن ذلك يعني مواجهة علنية مع أبي طالب وبني هاشم جميعاً، وقريش في غنىً عن هذه الخطوة الباهظة التكاليف.

فاتجهوا نحو المستضعفين من المسلمين من العبيد والفقراء فأذاقوهم ألوان التعذيب والقهر والمعاناة ليردوهم عن دينهم وتمسكهم بالنبي صلى الله عليه وآله، ولم تلق قريش غير الصمود والإصرار على الإسلام والالتزام بنهج الرسالة الإسلامية، فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل حل لتخليص المستضعفين من المسلمين هو الخروج من مكة إلى الحبشة[1].

ولما لم يبق في مكة من المسلمين إلا الوجهاء والشخصيات فقد كانت

---

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣٢١.

المواجهة الدموية هي أبعد ما يكون، وعندها سقطت كل الخيارات، ولم يبق أمام قريش إلا أن تلجأ إلى عمل يضعف الرسول ﷺ ويجنبها القتال، فكان قرارهم حصار بني هاشم ومن معهم اجتماعياً واقتصادياً باعتبارهم الحماية التي تقي الرسول من بطش قريش، فبدأت معركتها السلبية مع بني هاشم.

وتجمع المسلمون وبنو هاشم في شعب أبي طالب لتوفير سبل الحماية بصورة أفضل، حيث يمكن إيجاد خطوط دفاعية لمواجهة أي محاولة هجومية قد تقوم بها قريش[1].

وللمزيد من الاحتياط والحرص على سلامة حياة الرسول ﷺ كان أبو طالب يطلب من ولده علي أن يبيت في مكان الرسول ليلاً حرصاً على سلامته من الاغتيال والمباغتة من قبل الأعداء من خارج الشعب[2]، وكان علي عليه السلام يُسارع على الامتثال لأوامر والده ويضطجع في فراش النبي ﷺ فادياً نفسه من أجل الرسالة وحاملها.

ولم يكتف علي عليه السلام بهذا القدر من المخاطرة بنفسه، بل كان يخرج من الشعب إلى مكة سراً ليأتي بالطعام إلى المحاصرين[3]، إذ اضطروا في بعض الأيام أن يقتاتوا على حشاش الأرض.

لم يكن لأحد أن يقوم بمثل هذه الأعمال في تلك الفترة العصبية إلا من ملك جناناً ثابتاً وقلباً شجاعاً ووعياً رسالياً وحباً متفانياً للرسول ﷺ، ذلك هو علي ابن أبي طالب عليه السلام الذي قضى في الشعب جزءً من زهرة شبابه.

---

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣٥٠، وإعلام الورى ١: ١٢٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٨٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٥٦.

٨

النبي صلى الله عليه وآله في عام الحزن

شهر رمضان / السنة ٣ قبل الهجرة

قال اليعقوبي: توفيت خديجة في العاشر من شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها من العمر ٦٥ سنة، وتوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله من العمر ٨٦ سنة، وقيل: تسعون سنة، فسمى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك العام بعام الحزن، وقال الراوندي في قصص الأنبياء: (٢: ١٢١) عكس ذلك، لقد توفي أبو طالب في السابع من شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام، كما أن هناك رواية تعتبر وفاة أبي طالب في شهر رجب، ولكن المشهور ما ذكرناه من وفاته في شهر رمضان[1].

أبو طالب كافل الرسول صلى الله عليه وآله وناصره:

أبو طالب: هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي لُقّب بأبي طالب، وسيد البطحاء، وشيخ قريش، رئيس مكة، و«أبو طالب» لقب غلب عليه، حتى لم يعد أحد يناديه باسمه الأصلي «عبد مناف».

كان أبو طالب يتمتع بشخصية قوية مُهابة في نفوس قومه، وكانت رئاسة

---

(١) راجع بحار الأنوار: ٤٢.

قريش وبني هاشم بعد عبد المطلب له، ولم يكن هو الابن الأكبر لعبد المطلب، ولم يكن غنياً، ولذا قيل: لم يكن أحد يسود قريشاً بلا مال سوى أبا طالب، وكانت لعبد المطلب علاقة خاصة بولده أبي طالب، لما كان يعرفه من علوّ منزلته، ولذا طلب عبد المطلب منه أن يتولّى كفالة النبي صلى الله عليه وآله من بعده، فكان أبو طالب عند حسن ظنّ أبيه، فرعاه وعطف عليه، وكان يقدمه على أبنائه أجمعين[1]، وكان يقول:

إنّ ابن آمنة النبي محمداً　　　عندي يفوق منازل

وكان يحبّه حباً شديداً، وكان لا ينام إلاّ إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وكان يخصّه بالطعام، فإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وآله شبعوا، فيقول أبو طالب: إنّك لمبارك.

وهكذا فاطمة بنت أسد، زوجة أبي طالب فإنّها كانت تفضّل الرّسول صلى الله عليه وآله على أولادها، وكانت له بمنزلة الأم الحنونة، فتربّى في حجرها، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله دائماً يذكرها بخير وكان شاكراً لبرِّها، وكان يُسميها «أمي»، ولما توفيت كفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله بقميصه، وأمر أن يحفر قبرها في البقيع، فلما بلغوا لحدها حفره بيده واضطجع فيه وقال: «**اللهم اغفر لأُمي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حجّتها ووسّع عليها مدخلها**».

وهكذا واصل أبو طالب رعايته ونصرته لرسول الله صلى الله عليه وآله طيلة الاثنين والأربعين عاماً التي قضاها معه، وأخذ يبلّغ النبي صلى الله عليه وآله دعوته كما أمره اللّه تعالى، ولم تشدّد قريش من مواجهتها للنبي صلى الله عليه وآله حتى بدأ رسول اللّه يهاجم آلهتهم، ولعلمها بأن وراء النبي محمد صلى الله عليه وآله قوة لا يمكن تجاوزها قد تمثلت في أبي طالب وبني هاشم الذين

---

(١) سيرة ابن هشام ١: ١٧٩ وتاريخ اليعقوبي ١: ٣٣٥.

(٢) ديوان أبي طالب: ٣٣، وتاريخ ابن عساكر ١: ٢٦٩.

أعلنوا بلسان أبي طالب أنهم حماة النبيﷺ، ولذا اجتمعت قريش عدة اجتماعات وقرّروا عدة قرارات، علّها تثني الرسول وعمّه، أو تساهم في عزل النبي محمدﷺ عن بني هاشم وعبد المطلب، ومن بين هذه القرارات، المحاصرة والمقاطعة الاقتصادية ثلاث سنوات في شعب أبي طالب.

إنّ أبا طالب لم يتخل عن حماية ونصرة الرّسول ﷺ حتى آخر لحظات عمره الشريف، بحيث أوصى أقاربه وأصحابه بأن يدافعوا عنه وينصروه، ولذا كان رسول الله ﷺ يحب أبا طالب ويثني عليه طيلة حياته، ولمّا سمع بموته حزن عليه حزناً شديداً، ثم قال لعليعليه السلام: **امضِ فتول غسله، فإذا رفعته على سريره فاعلمني**. ففعل فاعترضه رسول الله ﷺ وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال ﷺ: «**يا عم جزيت خيراً، فلقد ربّيت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً، أما واللّه لأستغفرنّ لك ولأشفعنَّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان**»[1]، ثم دفن في مقبرة الحجون.

هذا بعض ما جاء في حق أبي طالب عليه السلام عمّ النبي ﷺ وأمّا ما جاء في حق زوجته خديجة الكبرى عليها السلام فقد مرّ ذكر فضائلها ومواقفها مع رسول الله ﷺ في ذكر قصة زواجها به ﷺ في العاشر من ربيع الأول السنة ١٥ قبل البعثة.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٧٦ من كتاب له إلى معاوية، ذكر في إيمان أبى طالب، وتاريخ ابن كثير ٣: ١٢٥، وتاريخ اليعقوبي ١: ٣٥٥ باب وفاة خديجة وأبو طالب.

٩

هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى مدينة يثرب

١ ربيع الأول/ السنة ١٣ للبعثة

كان النبي صلى الله عليه وآله يعيش في مكة بمنعة عمه أبـي طالـب رضي الله عنه، وكانـت لا تجتـرئ عليه قريش، ولا يمكنهم النيل منه ما دام أبو طالب إلى جانبه، وخوفـاً مـن سـيوف بني هاشم، غير أنه بعد رحيل أبي طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله ناصره ومعينه، وانكشف أمام قريش، فبدأت بحياكة المؤامرات لاغتياله، وبدأ بذلك النبي صلى الله عليه وآله مرحلة جديـدة فـي مواجهة قريش، وهي الخروج من مكة ليدعو إلى دينـه بمعـزل عـن أولئـك الـذين كابدوه وعاندوه وأحاطوا به الدوائر، فاختار الرحيل إلى الطائف علّـه يجـد مناصـراً لدينه في بني ثقيف، غير أنهم قابلوه بأن سلطوا عليـه صـبيانهم وغلمـانهم يرمونـه بالحجارة والأشواك وغيرها، فبعد عشرة أيام من مكوثـه هنـاك لـم تتجـاوب معـه ثقيف، فأيس صلى الله عليه وآله منهم وأقفل عائداً إلى مكة يترقّب مواسم الحـج والعمـرة ليلتقـي بالقوافل فيعرض دينه عليها، لعلّه يجد من يدعو لنشره في بلادهم بعيداً عـن مكـة حيث لا أبو جهل ولا أبو سفيان ولا غيرهما من صناديد الشرك وفراعنته.

وبينما كان النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً في حِجر إسماعيل يذكر ربه ويناجيه؛ إذ مرّ به أسعد بن زرارة، وكان قد قدم من يثرب يطلب مـن قـريش مؤازرتـه وقومـه على الأوس، فتقدم من النبي صلى الله عليه وآله فقال له: إلى ما تدعو يا محمد؟!! فقـال صلى الله عليه وآله: إلـى

شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلى «ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً»[١]...

فلما سمع أسعد ذلك أسلم، وقال: بأبي أنت وأمي أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أحد أعزّ منك، والله يا رسول الله لقد كنّا نسمع من اليهود، خبرك، وكانوا يبشّروننا بخروجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن نكون دار هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقنا إليك، والله ما جئت إلاّ لأطلب الحلف على قومنا، وقد أتانا الله بأفضل مما أتيتُ له، ثم رجع إلى المدينة وأخبر بأمر النبي صلى الله عليه وآله، وشاع خبره فيها، ودخل في الإسلام عدد كبير[٢]، حتى إذا كان في العام المقبل وافى الموسم من أهل يثرب اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة وبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوه في معروف، وإنهم إن وفوا بذلك كان لهم الجنة، وإن غشوا في ذلك شيئاً، فأمرهم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر.

وقد طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث معهم من يعلمهم القرآن وأحكام الإسلام، ويفقههم في الدين، فأرسل معهم مصعب بن عمير[٣].

وكان مصعب حريصاً جداً على الدعوة إلى الإسلام، وعلى انتشاره في المدينة، فكان يدعو إلى الإسلام، ويعلّم من أسلم القرآن وأحكام الإسلام، حتى دخل في الإسلام خلق كثير، وفي العام المقبل أقبل مصعب في موسم الحج مع

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٣٥.

(٢) البداية والنهاية ٣: ١٥٨.

(٣) البداية والنهاية ٣: ١٥٨، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٧– ٣٨، وتاريخ الخميس ١: ٣٢١.

وفود المدينة تدعو رسول الله ﷺ ليهاجر إليهم، وبايعوه على النصرة، وعلى أن يمنعوه ما يمنعوا منه أولادهم وأهليهم، فقبل النبي ﷺ الهجرة إليهم[١].

وبعد ذلك أخذ النبي ﷺ يأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فأخذ الرجل والرجلان والثلاثة، يركبون سواد الليل مهاجرين إلى المدينة، وكان ينتظر رسول الله ﷺ الأمر الإلهي في هجرته.

قريش تتآمر لقتل النبي ﷺ:

لما علمت قريش أن المسلمين قد صاروا إلى يثرب، وقد دخل أهلها الإسلام، قالوا: هذا شر شاغل لا يطاق. فأجمعوا أمرهم على قتل رسول الله ﷺ في ليلة معينة، وكانوا قد انتخبوا من كل قبيلة فارساً حتى بلغ عددهم خمسة عشر رجلاً ينتظرون خروج النبي ﷺ لصلاة الصبح فيغيرون عليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين العرب، ولا تطلب بنو هاشم بثأره فيقبلون بالدية، ويروى أن من دبر لهم هذه الحيلة إبليس الذي اجتمع معهم في دار الندوة بصفة رجل نجدي[٢].

وأمره الله أن يأمر علياً عليه السلام بالمبيت في فراشه، فخرج النبي ﷺ في فحمة العشاء والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون، وقد قرأ عليهم قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾[٣]، وأخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم، ومرّ من بينهم، فما شعروا به، وأخذ طريقه إلى غار ثور[٤].

أدركت قريش الأمر، فركبوا في طلب النبي ﷺ، واقتفوا أثره، حتى وصل

---

(١) البداية والنهاية ٣: ١٥٨، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٧– ٣٨، وتاريخ الخميس ١: ٣٢١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٩.

(٣) يس: الآية ٩.

(٤) السيرة الحلبية ٢: ٢٨٠.

القافي إلى نقطة لحوق أبي بكر به، فأخبرهم أن من يطلبونه صار معه رجل آخر، فاستمروا يقتفون الأثر حتى وصلوا إلى باب الغار، فصرفهم الله عنه، حيث كانت العنكبوت قد نسجت على باب الغار وباضت في مدخله حمامة وحشية، فاستدلوا من ذلك على أن الغار مهجور ولم يدخله أحد، وإلا لتخرق النسج، وتكسّر البيض، ولم تستقر الحمامة الوحشية على بابه[١].

وبعد أن بقي النبي صلى الله عليه وآله وصاحبه أبي بكر في غار ثور ثلاثة أيام وقد أشار القرآن إلى ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنّ اللهَ مَعَنَا**﴾[٢] وفي هذه الأيام الثلاثة كان يتردد خلالها أمير المؤمنين عليه السلام عليهما، حتى إذا كانت ليلة اليوم الرابع هيأ علي عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه وآله ثلاث رواحل ودليلاً أميناً يدعى أريقط ليترحلوها إلى المدينة ويدلهم الدليل على طريقها[٣].

أوصى النبي صلى الله عليه وآله علياً في تلك الليلة بأن يؤدي أمانته على أعين الناس، وذلك بأن يقيم صارخاً بالأبطح غدوة وعشياً: «**ألا من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة فليأت فلنؤد إليه أمانته**»[٤].

ثم أوصاه صلى الله عليه وآله بالفواطم وهنّ: فاطمة الزهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد أم علي عليها السلام، وفاطمة بنت الزبير، وبكل من يريد الهجرة معه[٥]، وقال له عبارته المشهورة: «**إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم علي**»[٦].

ولما أمن النبي صلى الله عليه وآله الطلب خرج من غار ثور متوجهاً وصاحبه (أبي بكر) إلى

---

(١) تاريخ الخميس ١: ٣٢٨، والبداية والنهاية ٣: ١٨١– ١٨٢.

(٢) التوبة: الآية ٤٠.

(٣) راجع السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٨٨.

(٤) الكامل في التاريخ ٢: ٧٣.

(٥) سيد المرسلين ١: ٦٠٢– ٦٠٣.

(٦) المصدر السابق.

يثرب، سالكين إلى ذلك الخط الساحلي، وقد جاء ذكر المنازل التي مُّرا بها في (السيرة النبوية) لابن هشام، فراجع[١].

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بلغ خيمة أم معبد، فنزل بها، وطلبوا عندها قِرى، فقالت ما يحضرني شيء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى شاة في ناحية قد تخلفت من الغنم لضرها، فقال صلى الله عليه وآله: أتأذنين في حلبها؟ قالت: نعم، ولا خير فيها، فمسح يده على ظهرها، فصارت أسمن ما يكون من الغنم، ثم مسح يده على ضرعها، فأرخت ضرعاً عجيباً، ودرّت لبناً كثيراً، فطلب صلى الله عليه وآله العس، وحلب لهم فشربوا جميعاً حتى رووا.

ثم عرضت عليه أم معبد ولدها الذي كان كقطعة لحم، لا يتكلم ولا يقوم فأخذ تمرة فمضغها وجعلها في فيه، فنهض في الحال ومشى وتكلم، وجعل نواها في الأرض فصارت نخلة في الحال، وقد تهدّل الرطب منها، وأشار إلى جوانبها فصار مراعي.

ويروى أنه لما توفي صلى الله عليه وآله لم ترطّب، ولما قتل علي عليه السلام لم تخضر، ولما قتل الحسين عليه السلام سال منها الدم[٢].

فلما عاد أبو معبد، ورأى كل ذلك فسأل زوجته عن سببه قالت: مرّ بي رجل من قريش ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة (خلة)، ولم تزر به صحلة (صقلة)، وسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره عطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج، أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أكمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأعلاه من قريب، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن، ربعة لا تشنؤه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٩١.

(٢) تاريخ الخميس ١: ٣٣٥.

من طول، ولا تقتحمه العين من قصر، غصن بين غصنين، وهو أنظر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً... محفود محشود لا عابس ولا مفند..»[١]، وهذا الوصف مشهور ومعروف لأم معبد[٢].

وليس هذا بالشيء العجيب أو الكثير على رسول الله ﷺ فمريم العذراء أنبت الله لها من جذع النخلة رطباً جنياً يتساقط عليها، وأخرج لها الماء من تحت قدميها، فكيف به ﷺ وهو سيد الكائنات، وأشرف الخلق وأكرمهم على الله من الأولين والآخرين إلى يوم الدين، وقد ظهرت على يديه الكثير من المعجزات والكرامات مما ينوء عن حمل ما سجل منه العصبة أولوا القوة.

كما أن حصول هذه الكرامات بعد مصاعب الهجرة مباشرة إنما يؤكد أنه قد كان من الممكن أن تتم الهجرة بتدخل من العناية الإلهية، ولكن الله تعالى أبى أن تجري الأمور إلا بأسبابها، وليكون هذا الرسول هو الأسوة الحسنة، والقدوة لكل أحد في مواجهة مشاكل الحياة، وتحمل أعباء الدعوة إلى الله بكل ما فيها من متاعب، ومصاعب وأزمات، فإن للأزمات التي يمرّ بها الإنسان دور رئيس في صنع خصائصه وبلورتها، وتجعله جدياً في موقفه، فإنه إذا كان هدف الله سبحانه، وهو إعمار هذا الكون بالإنسان، فإن الإنسان الخامل الذي يعتمد على الخوارق والمعجزات لا يمكنه أن يقوم بمهمة الإعمار هذه، فهذا إذاً مما يساعد على تربية الإنسان وتكامله في عملية إعداده ليكون عنصراً فاعلاً وبانياً ومؤثّراً، لا منفعلاً ومتأثّراً فحسب[٣].

وقد نهج المسلمون - كسائر الأمم - أن يؤرخوا الحوادث والأيام وما في ذلك

---

(١) تاريخ الخميس ١: ٣٣٤، ودلائل النبوة للبيهقي ١: ٢٧٩، والسيرة الحلبية ٢: ٤٩ – ٥٠.

(٢) تاريخ الخميس ١: ٣٣٥.

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ٤: ٨٧ – ٨٨.

من مناسبات مهمة تشكّل الجزء الأكبر من حضارة المسلمين، فعمدوا إلى الهجرة المباركة للرسول الأعظمﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، في السنة الثالثة عشر من البعثة فجعلوها مبدءاً للتاريخ، لأنّها كانت بداية تشكيل الحكومة والخلافة الإسلامية الكبرى.

فإذا بنى هذا التاريخ وحسب على دوران القمر على الأرض يسمى التاريخ الهجري القمري وإذا بنى وحسب على دوران الأرض على الشمس يسمى التاريخ الهجري الشمسي.

١٠

بناء أول مسجد في الإسلام

١٢ / ربيع الأول / السنة ١٣ للبعثة

وصل النبي صلى الله عليه وآله بعد خروجه من الغار إلى قرية قباء[١] الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول، ونزل وصاحبه على كلثوم بن الهدم، وهو شيخ من بني عمرو، وقد خط رسول الله صلى الله عليه وآله مسجداً لقبيلته بني عمرو بن عوف، ونصب لهم قبلته[٢]، وكان أول مسجد بني في الإسلام، وقد عبّر عنه القرآن بأنه المسجد الذي أسس على التقوى.

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٣]، وقد ورد في الأحاديث أن الصلاة فيه تعدل عمرة مفردة.

---

(١) تقع قرية قباء على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، وكانت مساكن بني عمرو بن عوف.

(٢) تاريخ الخميس ١: ٣٣٣، بل نقل قوياً: أن المسجد بناه عمار قبل وصول الرسول صلى الله عليه وآله (موسوعة التاريخ الإسلامي: ج٣).

(٣) التوبة: الآية ١٠٨.

مكانة المسجد في الإسلام:

إن للمساجد مكانة عالية ومرموقة في الإسلام، وقد جعلها الله تعالى بيوته في الأرض، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**مكتوب في التوراة، أن بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي، ألا إن على المزور كرامة الزائر، ألا بشّر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة**»[(١)].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا يرجع صاحب المسجد بأقل من إحدى ثلاث: إما دعاء يدعو به يدخله الله به الجنة، وإما دعاء يدعو به ليصرف الله به عنه بلاء الدنيا، وإما أخ يستفيده في الله عز وجل**»[(٢)].

وقد اعتبر الإسلام المساجد مراكز للمسلمين، فمنها يستفيدون علوم دينهم، ويحيون نفوسهم، ويتأدبون بآداب نبيهم، فعن علي عليه السلام قال: «**من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستظرفاً، أو آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو كلمة ترده عن ردى، أو يسمع كلمة تدله على هدى، أو يترك ذنباً خشية أو حياء**»[(٣)].

الآداب المعنوية والسلوكية للمساجد:

قد جعل الإسلام لبيوت الله في الأرض آداباً قلبية وروحية وسلوكية، ينبغي على زائرها الالتفات إليها، وفيما يلي نشير إلى بعضها:

الأول: أن يتطهر زائرها في بيته ثم يأتيها، فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه مكتوب في التوراة: «أن بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في

---

(١) بحار الأنوار ٨٣: ٣٧٣.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٧ ح٥٧.

(٣) أمالي الصدوق: ٣١/١ ح ١٦.

بيتي»[١].

الثاني: صلاة ركعتين تحية المسجد، فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «**لا تجعلوا المساجد طرقاً حتى تصلّوا فيها ركعتين**»[٢].

الثالث: التطيّب والتنظّف لدخولها، قال تعالى: ﴿**خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوَاْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[٣].

الرابع: أن لا يصلي جار المسجد إلا في المسجد، فعن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «**لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد، إلا أن يكون له عذر أو به علة**»، فقيل: ومن جار المسجد يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: «**من سمع النداء**»[٤].

الخامس: إعمارها بالصلاة والذكر والدعاء، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[٥].

السادس: ترك ما لا ينفع من الأفعال والأقوال، والتحدث بحديث الدنيا والبيع والشراء ورفع الأصوات، فقد سأل أبو ذر رسول الله ﷺ عن كيفية عمارة المساجد، فقال ﷺ: «**لا ترفع فيها الأصوات، ولا يخاض فيها بالباطل، ولا يشترى فيها ولا يُباع، واترك اللغو ما دمت فيها، فإن لم تفعل فلا تلومنّ يوم القيامة إلا نفسك**»[٦].

وعنه ﷺ أنه قال: «**كل جلوس في المسجد لغو إلا ثلاثة: قراءة مصلّ، أو ذكر**

---

(١) بحار الأنوار ٨٣: ٣٧٣ ح٣٧.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٤٤ ح١.

(٣) الأعراف: الآية ٣١.

(٤) بحار الأنوار ٨٣: ٣٥٤ ح٧.

(٥) التوبة: الآية ١٨.

(٦) مكارم الأخلاق ٢: ٣٧٤ ح٢٦٦١.

الله، أو سائل عن علم»[١].

(١) بحار الأنوار ٧٧: ٨٦ ح٣.

١١

دخول النبي صلى الله عليه وآله المدينة المنورة

(١٥ / ربيع الأول / السنة ١٣ للبعثة)

لقد خرج النبي صلى الله عليه وآله مهاجراً من مكة المكرمة في الأول من ربيع الأول السنة ١٣ للبعثة وقد وصل إلى منطقه قباء من ضواحي يثرب في ١٢ من ربيع الأول من تلك السنة وانتظر ابن عمه علي بن أبي طالب والذين معه من الفواطم والأصحاب ولم يدخل المدينة، إلى أن التحقوا به صلى الله عليه وآله في ١٥ من ربيع الأول ودخلوا معه إلى مدينة يثرب التي سميت بعد ذلك بمدنية الرسول صلى الله عليه وآله، واشتهرت بالمدينة المنورة إلى يومنا هذا.

وكان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً عظيماً مشهوداً، فكم ترى ستكون عظيمة فرحة الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله منذ ثلاث سنين، وظلوا طوال هذه الأعوام يبعثون برسلهم ووكلائهم إليه، ويذكرون اسمه المقدّس، ويصلّون عليه في صلواتهم كل يوم، إذا سمعوا أن قائدهم ذلك الذي طال انتظارهم له، واشتد تشوقهم إليه قد حان لقاؤهم به، وقدومه عليهم.

حطّ قدمه على تراب يثرب استقبله الناس رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، استقبالاً عظيماً مهيباً، ورحّبوا به أعظم ترحيب. وكان في مقدمة المستقبلين أصحاب بيعة العقبة الثانية، وهم سبعون رجلاً وكذلك المهاجرون وفي مقدمتهم

مصعب بن عمير.

وكانت بنو عمرو بن عوف قد اجتمعت عنده، وأصرّت عليه بأن ينزل في قباء، وقالوا له: أقم عندنا يا رسول الله، فإنا أهل الجد والجلد والحلقة (أي السلاح) والمنعة، ولكن رسول الله ﷺ لم يقبل.

وبلغ الأوس والخزرج خروج رسول الله ﷺ، وقرب نزوله المدينة قلبوا السلاح وأقبلوا يعدون حول ناقته لا يمرّ بحيّ من أحياء الأنصار إلاّ وثبوا في وجهه، وأخذوا بزمام ناقته، وأصروا عليه أن ينزل عليهم، ورسول الله ﷺ يقول: خلّوا سبيل الناقة فإنها مأمورة.

وأخيراً لما انتهت ناقته إلى أرض واسعة كانت ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل وسهيل، وكانا في حجر أسعد بن زرارة، فبركت على باب أبي أيوب (خالد بن زيد الأنصاري) الذي كان على مقربة من تلك الأرض، فاغتنمت زوجة أبي أيوب الفرصة فبادرت إلى رحل رسول الله ﷺ فحلّته وأدخلته منزلها، بينما اجتمع عليه الناس يسألونه أن ينزل عليهم، فلما أكثروا عليه، وتنازعوا في أخذه، قال ﷺ: «**أين الرحل؟**» فقالوا: أم أيوب قد أدخلته في بيتها[1]، فقال ﷺ: «**المرء مع رحله**»، وكان أبو أيوب أفقر أهل المدينة، وبقي النبي ﷺ عنده حتى بُني مسجده.

---

(١) سيد المرسلين ١: ٦١٩ – ٦٢١.

١٢

النبي ﷺ وبناء المسجد في المدينة

١٨ / ربيع الأول/ السنة الأولى للهجرة

بعد وصول النبي ﷺ بأيام إلى المدينة ابتاع الأرض التي بركت فيها ناقته يوم قدومه إلى المدينة، والتي كانت ليتيمين هما (سهل وسهيل) من الخزرج، وكانا عند أسعد بن زرارة، وقد اشتراها بعشرة دنانير، وذلك لإقامة مسجده فيها[١].

وقد اشترك كافة المسلمين في تهيئة مواده وبنائه، كما أن رسول الله ﷺ عمل بنفسه في تشييده فكان ينقل معهم اللبن والحجارة، وبينما هو ﷺ ذات مرة ينقل حجراً على بطنه استقبله (أسيد بن حضير) فقال: يا رسول الله، أعطني أحمله عنك، فقال ﷺ: لا، اذهب فاحمل غيره[٢].

وبهذا الأسلوب العملي كشف رسول الله ﷺ عن جانب من خلقه وسلوكه القويم، إذ بيّن بعمله أنه رجل عمل، وليس رجل قول، وكان لهذا أثره الفعال في نفوس أتباعه، حتى أنشد بعضهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل ... فذاك منا العمل المضلل[٣]

---

(١) سيد المرسلين ٢: ١٢.

(٢) بحار الأنوار ١٩: ١١٢.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٩٦.

وفعلاً بنى المسلمون مسجدهم وبنى المهاجرون منازلهم حول المسجد، وفتح كل واحد منهم بابه على المسجد شراعاً، فكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد من تلك الأبواب، ولكن فيما بعد أمر الله نبيه أن يأمر المسلمين بسد أبوابهم المشرعة على المسجد عدا بابه ﷺ وباب علي عليه السلام.

فضل ومستحبات مسجد النبي ﷺ

إن مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة الذي بني على يد النبي ﷺ وأصحابه الكرام يُعد ثانى المساجد في الفضل بعد مسجد الحرام في مكة المكرمة، وقد ورد في الحديث الشريف: «**وصلاة في مسجدي تعدل (عشرة آلاف) صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام**»[1]، ولهذا المسجد مستحبات وآداب نذكرها باختصار:

١- الغسل لدخول المسجد وزيارة قبر رسول الله ﷺ.

٢- الاستئذان بالدخول والأفضل أن يكون من باب جبرائيل.

٣- الصلوات على النبي ﷺ عند الدخول وعند الخروج من المسجد وقراءة ذكر (**الله أكبر**) مائة مرة.

٤- صلاة ركعتين تحية المسجد النبوي الشريف.

٥- زيارة قبر النبي ﷺ وزيارة بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام التي يحتمل أن تكون مدفونة في بيتها أو في الروضة الشريفة بين قبر أبيها رسول الله ﷺ ومنبره، ثم صلاة الزيارة.

٦- الصلاة في الروضة الشريفة الواقعة بين قبر النبي ﷺ ومنبره وقد جاء في

---

(١) وسائل الشيعة ٥٧: ٢٨٠.

الحديث النبوي الـشريف «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[1]، والـصلاة عند اسطوانة التوبة والصلاة في مقام جبرئيل وإقامة الصلاة اليومية فيه ما أمكن.

٧- الإكثار من تلاوة القرآن الكريم في المسجد النبوي الشريف.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٧٣.

١٣

النبي صلى الله عليه وآله والمؤاخاة

(١٢/ رمضان/ السنة ١هـ)

اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك، من السنة الأولى للهجرة، آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وآخى بينه وبين علي بن أبي طالب عليه السلام.

عن محدوج ابن زيد: إن رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين المسلمين، ثم قال: **يا علي، أنت أخي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي**[١].

كان النبي صلى الله عليه وآله ومعه ٧٤٠ شخصاً من المسلمين في منطقة النخيلة، فنزل عليه جبرائيل عليه السلام وقال: لقد عقد رب العزة تبارك وتعالى عقد الأخوة بين الملائكة فأنت يا رسول الله، اجعل بين أصحابك عقد الأخوة الإيمانية. فكل شخص توجه إلى الشخص الآخر الذي كان يميل إليه ويحبه أكثر، فتآخى أبو بكر مع عمر، عثمان مع عبد الرحمن، وسلمان مع أبي ذر، وطلحة مع الزبير، ومصعب مع أبي أيوب الأنصاري، وحمزة مع زيد بن حارثة، وأبو الدرداء مع بلال، وجعفر الطيار مع معاذ بن جبل، والمقداد مع عمار، وعايشة مع حفصة، وأم سلمة مع صفية،

---

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٦٦٣ ح١١٣١، وتاريخ دمشق ٤٢: ٥٣ ح٨٣٨٩، والمناقب للخوارزمي ١٤٠ ح١٥٩، والمناقب لابن المغازلي ٤٢: ٦٥ عن أبي زيد الباهلي؛ والأمالي للصدوق ٤٠٢: ٥٢٠، والمناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨٦ نحوه وكلاهما عن مخدوج بن زيد الذهلي.

والنبي الأكرم ﷺ مع أمير المؤمنين علي عليه السلام[١].

وعن الإمام علي عليه السلام: **آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فقلت: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني فرداً لا أخ لي!! فقال: إنما اخترتك لنفسي؛ أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى. فقمت وأنا أبكي من الجذل[٢] والسرور[٣].**

أبعاد ونتائج التآخي بين المسلمين

لهذه القضية أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية يمكن أن نلخصها كالتالي:

١- إعالة المهجرين وإعادة تأهيلهم اقتصادياً للعودة لممارسة حياتهم الطبيعية، وإزالة الفوارق الطبقية في محاولة للقضاء على الفقر.

٢- القضاء على الأمراض الاجتماعية المتأصلة في المجتمع ومخلفات التناحر القبلي وإشاعة روح الحب والود والتآلف.

٣- تكوين نسيج مترابط من المسلمين يتحرك مستجيباً لأوامر الرسول والرسالة لتصبح أمة واحدة تشعر بالقوة في الدفاع عن نفسها.

نظرية الإسلام في التآخي

قد جاءت الأديان السماوية لتؤكد على نداء الفطرة الألهية والتآلف والتحابب بين أفراد الإنسان وتربط بين خلايا المجتمع، وتوطّد الروابط والعلاقات بين أبناء البشر، وقد جعلت له ركائز وأسس وقواعد، لكي يبني هذا الارتباط على أساسها

---

(١) بحار الأنوار ٣٨: ٣٣٥.

(٢) جذل – بالكسر – بالشيء يجذل جذلاً فهو جذل وجذلان: فرح (لسان العرب ١١: ١٠٧).

(٣) كنز الفوائد ٢: ١٨٠ عن سليمان بن جعفر الهاشمي، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، المعجم الكبير ١١: ٦٣ ح١١٠٩٢ عن ابن عباس نحوه. راجع: أحاديث الوراثة/ وارث علم النبي.

فتنتج وتؤثر في حياة الأفراد النتاج الصحيح.

لقد حثّ الإسلام كثيراً على أنه ينبغي للمؤمن أن يتخذ الأخ والصديق، ويسعى جاهداً لتكثير الأصدقاء، وأن سعادة المؤمن الظفر بأكثر عدد ممكن منهم، فعن الصادق عليه السلام: «**من لم يرغب في الاستكثار من الاخوان ابتلي بالخسران**»[١]. وعن الإمام علي عليه السلام: «**أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم**»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّما سمّوا إخواناً لنزاهتهم عن الخيانة، وسمّوا أصدقاء لأنّهم تصادقوا على حقوق المودة**»[٣].

فالصداقة منزلة أعمق من الأخوة، إذ جميع المؤمنين، ولأجل إيمانهم إخوة من تعارف منهم ومن لم يتعارف، القريب منهم والبعيد، ولكن الصداقة هي مع خصوص بعض المؤمنين ممن يسرّ إليهم وممن يتعارفون ويتوادون ويتصاحبون على مصائب الدهر الخؤون.

صفات الصديق: لا يكون الشخص أخاً لشخص حتى تتحقق فيه جملة من الأوصاف، ولهذا الأمر أهمية خاصة في الإسلام، لأن الإسلام نهى عن مصادقة من تدخل صداقته في الباطل، وتوصل بالمرء إلى الضلال والضياع، ولهذا فينبغي على المؤمن أن لا يتخذ صديقاً حتى يجد فيه صفات الصديق التي بيّنها الإسلام، ومنها:

أ- أن يكون عاقلاً: فعن الإمام علي عليه السلام: «**صاحب العاقل، وجالس العلماء،**

---

(١) تحف العقول: ٣١٩.

(٢) بحار الأنوار ٧٤: ٢٧٨ ح١٢.

(٣) تحف العقول: ٣٧٥.

وأغلب الهوى ترافق الملأ الأعلى»[١].

ب- أن يكون مؤمناً: ومما ينبغي أن يتوفّر في الصديق الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فإنّ هذه الأوصاف من شأنها أن تنعكس على صديقه بكثرة المخالطة والمجالسة، فإنّ من طبع الإنسان إذا أنس بشخص أنس بأفعاله وسيرته وأخلاقه وسجاياه، ومن هنا أكّدت الروايات على هذه الخصوصية.

وفي قبال ذلك نجد الروايات تؤكّد على ترك صحبة الفساق وأهل الذنوب والمعاصي، فإن هذا السلوك فيهم قد يحفز من يصادقهم إلى الفسق والعصيان وخلع زيّ العبودية لله.

ج- أن يكون ذا خلق حسن: كما ينبغي أن يكون الصديق مؤمناً تقياً، وينفع للآخرة، فلابد وأن يتحلى بخلق رفيع، وسجية كريمة، ونفس طرية، وروح هنيئة، فإنّ صاحب الخلق الحسن تميل النفس إليه ويطمئن إليه العقل، وترتاح إليه النفس، مع ما له من سمعة طيبة في المجتمع تنعكس على سمعة من يصاحبه، وما أحوج المجتمع، وخصوصاً الشباب إلى الأصدقاء الخلوقين لتنتشر الأخلاق الحسنة بين جميع طاقم الحياة البشرية، وقد ورد الكثير من الأخبار والأحاديث التي تؤكد على خلق الصديق وحسنه.

حقوق الإخوان:

ورد عن النبي الأكرمﷺ للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً، لا بد له من أدائها منها:

أن يعفو عنه، يكتم سره، يستر زلّته، أن يقبل عذره، أن يدافع عنه، أن يحب له

---

(١) غرار الحكم: ٥٨٣٧.

الخير والصلاح، أن يفي بوعده، يعوده إذا مرض، يشيّع جنازته، يقبل دعوته وهديته، أن يرد هديته بالأفضل، أن يشكر سعيه له، السعي في إيصال الخير له، يحفظ عرضه، أن يقضي حاجته، أن يحلّ مشاكله، أن يبحث عن ضالته، أن يدعو له عند عطاسه، أن يجيب سلامه، أن يحترم كلامه، أن يختار له أفضل هدية، أن يقبل قَسَمَهُ، أن يحب صديقه ولا يعاديه، لا يتركه عند المصائب، أن يحب له ما يحب لنفسه...[(١)].

أفضل الإخوان:

أفضل الأخوان من كان مخلصاً وطالباً للخير لك، ولو كان شديداً في دعوته لك إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ويكون لك عوناً في الشدائد، وأن يكون حبه لك لوجه الله (عز وجل)، والذي يزيدك في العلم مَنطِقُهُ ويقربك إلى الله عمله، وأن يغضّ طرفه عن أخطائك وعيوبك، وأن يحفظك من الوقوع في شراك الأهواء والرغبات الشيطانية، وإن رأى منك عيباً ذَكَّركَ، وأن يكون مواظباً على الصلوات الخمس، وأن يكون من أهل الحياء والأمانة والصدق، وأن لا ينساك في الضيق والرخاء[(٢)].

آثار الصداقة في الدنيا والآخرة:

لا شكّ في أنّ كل عمل يقوم به الإنسان له آثار تنعكس وتظهر في حياته الفردية والاجتماعية، فالصدق والتعقل والتدين إذا قام بها الإنسان تظهر آثارها الخيّرة والحسنة على حياته، والكذب والحمق والفسوق كذلك تظهر آثارها السيئة

---

(١) المصدر السابق ٧٤: ٢٣٦.

(٢) ميزان الحكمة ٢: ١٥٩١ نقلاً عن بحار الانوار ٧٤: ٧- ٨.

والوخيمة على حياة الإنسان إذا ما قام بها، والصداقة هي واحد من تلك العناوين التي تظهر آثارها على حياة الفرد والمجتمع سلباً وإيجاباً في الدنيا وفي الآخرة، وفيما يلي نذكر بعض الآثار المترتبة على صداقة المؤمنين بعضهم من بعض في عالم الآخرة: وهو كون الصديق يشفع لصديقه، وهذا الحق من أهم حقوق عوالم الآخرة حيث أعطى الله تعالى هذا الحق لبعض البشر ليشفع في عباده، فأعطاها للأنبياء والأئمة عليهم السلام وللشهداء وللمؤمنين، وأيضاً أعطي الصديق والخليل، ومن هنا فإن أهل النار يندمون أنه ليس لهم صديق حميم يشفع لهم، حيث قالوا كما أخبر عنهم الله تعالى بقوله: ﴿**فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾[1].

ومن أعظم مصاديق الصداقة، أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته لاسيما أصحاب الإمام الحسين الذين وقفوا معه في عرصات كربلاء، حيث يروى أن زينب عليها السلام خشيت خذلان الأصحاب عند ساعة العسرة، فقالت لأخيها الحسين عليه السلام: هل اختبرت أصحابك؟ فقال عليه السلام: «**لقد اختبرتهم فما وجدتُ فيهم إلاّ الأشوس الأقعس يستأنسون في المنية دوني**»[2]، وحقّاً سطّروا بدمائهم وقرابين نفوسهم أروع وأعظم روابط الحب والصداقة والولاء لإمامهم الحسين عليه السلام.

---

(١) الشعراء: الآيتين ١٠٠-١٠١.

(٢) مقتل الحسين للمقرم.

١٤

تحويل قبلة المسلمين

١٥/ رجب / السنة ٢ هـ

فقد ذكر المؤرخون والمفسرون، في سبب تحويل القبلة أن النبي ﷺ حين قدم المدينة كان يتوجه إلى بيت المقدس[١]، حين عبادته ما كان يفعل ذلك طوال وجوده في مكة فصار اليهود يعيّرونه، ويقولون: أنت تابع لنا، تصلي إلى قبلتنا، أو كانوا يقولون: تخالفنا يا محمد في ديننا وتتبع قبلتنا[٢].

فشق هذا الكلام على رسول الله ﷺ واغتم من ذلك غماً شديداً، وكان قد وعده الله تعالى سابقاً بتحويل القبلة، فخرج في جوف الليل يقلّب وجهه في السماء، ينتظر أمر الله تعالى في ذلك، وأن يكرمه بقبلة تختص به، فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر - وقيل العصر - وكان في مسجد بني سالم[٣]، صلى النبي

---

(١) إذن بيت المقدس أو مسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين ولازال يحظى بقداسة عندهم وهو ثالث المساجد الذي يستحب شد الرحال إليه وهو اليوم تحت احتلال واغتصاب الصهاينة المجرمين القادمين من أنحاء العالم ونسأل الله أن يأتي ذلك اليوم الذي يتحرر من أيدي الغاصبين ليستطيع المسلمون أن يزوروه ويتعبدوا فيه.

(٢) مجمع البيان ١: ٢٥٥.

(٣) وقد اشتهر هذا المسجد اليوم بمسجد ذي القبلتين وهو من المساجد العامرة التي يقصدها الزوار.

بأصحابه ركعتين، فنزل جبرئيل، فأخذ بعضديه فحوله إلى الكعبة، فاستدارت الصفوف خلفه، فأنزل الله عليه:

﴿قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[1].

فصلى ركعتين إلى الكعبة، فقالت اليهود - الذين شقّ عليهم ذلك - والسفهاء ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها[2] وإلى هذا أشار قوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىَ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[3].

وقد سئل الإمام العسكري عليه السلام عن سبب تحويل القبلة فأجاب: إن هوى أهل مكة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبين متبع محمد من مخالفه باتباع القبلة التي كرهها ومحمد يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة، ليبين من يتبع محمداً فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه..[4].

ولا يخفى أنّ ما ذكر في هذه الرواية ليس هو السبب الأول والأخير لتحويل القبلة، بل لا يعدو أن يكون بعضٍ من حِكَم تحويل القبلة وفوائده ويمكن الإشارة إلى بعض هذه الحكم مضافاً إلى ما ذكرناه:

أولاً: أن الكعبة التي رفعت قواعدها على يدي بطل التوحيد وناشر لوائه النبي

---

(١) البقرة: الآية ١٤٤.

(٢) بحار الأنوار ١٩: ١١٤، و١٩٥، و٢٠٢، وإعلام الورى: ٧١، وتفسير القمي ١: ٦٣.

(٣) البقرة: الآية ١٤٣.

(٤) بحار الأنوار ١٩: ١٩٧، وتفسير الميزان ١: ٣٣٣.

العظيم (إبراهيم الخليل عليه السلام) كانت موضع احترام وتقديس من المجتمع العربي، فقد كان العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم على ما هم عليه من الشرك والفساد، فكان اتخاذه قبلة من شأنه كسب رضا العرب، واستمالة قلوبهم، وترغيبهم في الإسلام تمهيداً لاعتناق دين التوحيد ونبذ الأوثان والأصنام.

ثانياً: أن الابتعاد عن اليهود الذين لم يكن يؤمل في إذعانهم للإسلام، وإيمانهم برسالة (محمّد) ذلك اليوم كان يبدو أمراً ضرورياً، لأنهم كانوا يقومون بأعمال إيذائية ضد الإسلام والمسلمين ويطلعون على رسول الله صلى الله عليه وآله بين الفينة والأخرى بأسئلة عويصة يشغلونه بها، يظهرون بها حسب تصورهم - أنهم يعرفون أموراً كثيرة وأنهم علماء، وبذلك يضيعون على رسول الله صلى الله عليه وآله الوقت، ويشغلونه عن مهامه الكبرى.

فكان تغيير القبلة واحداً من مظاهر الابتعاد عن اليهود واجتنابهم، تماماً مثل نسخ صوم يم عاشرواء الذي تم لنفس هذا الغرض.

فقد كانت اليهود تصوم يوم عاشوراء قبل الإسلام، فأمر النبي صلى الله عليه وآله المسلمون بأن يصوموا هذا اليوم أيضاً، ثم نسخ الأمر بصوم عاشوراء وفرض مكانه صوم شهر رمضان[1].

كرامة علمية لرسول الله صلى الله عليه وآله:

وما ينبغي الإشارة إليه هنا هو: أن العرض الجغرافي للمدينة - طبقاً لمحاسبات علماء الفلك القدامى - هو ٢٥ درجة، وطولها ٧٥ درجة و٢٠ دقيقة، ولهذا كانت قبلة المدينة لا توافق محراب رسول الله صلى الله عليه وآله الباقي على حالته السابقة إلى الآن في

---

(١) مجمع البيان ١: ٢٧٣.

مسجده الشريف، وقد سبب هذا الاختلاف حيرةً لدى بعض المتخصصين في هـذا العلم، وربما دفعهم إلى ارتكاب توجيهات وتبريرات لرفع هذا الاختلاف.

ولكن القائـد المعـروف بـسردار الكـابلي أثبـت فـي الآونـة الأخيـرة - طبقـاً للمقاييس المعروفة اليوم - أن خط المدينة الجغرافي علـى عـرض ٢٤ درجـة و٥٧ دقيقة وطول ٣٩ درجة و٥٩ دقيقة[1].

وتكون نتيجة هذه المحاسبة هي أن قبة المدينة تكون في نقطة الجنوب تمامـاً وتنحرف عن نقطة الجنوب بـ ٤٥ دقيقة فقط.

وهذا الاستخراج الفكلي للقبلة ينطبـق علـى محـراب رسـول الله ﷺ أفـضل تطبيق، ويُعد هذا من كرامات النبي الأكرم ﷺ حيث توجه فـي حالـة الـصلاة مـن بيت المقدس إلى الكعبة بـصورة دقيقـة ومـن دون أي انحـراف ولا جزئـي معتفـر وذلك من دون أية محاسبة فلكية، وعلمية.

---

(١) تحفة الأجلة في معرفة القبلة: ٧١.

١٥

غزوة بدر الكبرى

١٧ / رمضان / السنة ٢ هـ

في شهر رمضان المبارك، في السنة الثانية من الهجرة كانت واقعة بدر الكبرى، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قد أرسل قبلها بعدة سرايا، إلاّ أنه لم يقع فيها قتال، وكان سببها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قد أطلعه الغيب على خروج قافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان، فيها أموال كثيرة، قُدّرت بخمسين ألف دينار، فخرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ومن معه لأخذها عوض أموالهم التي سلبت في مكة، غير أنّ هذه القافلة سرعان ما أفلتت منهم إلى الشام، فأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه يترقب رجوعها حتى إذ أعلم به انتدب الناس للخروج إليها وسلبها، فخرج المسلمون يريدون العير، وقد علم أبو سفيان بالأمر فأرسل رجلاً إلى قريش يستنفرهم لنجاة العير[1]، فوصل بعد ثلاثة أيام وهو يناديهم: يا آل غالب... يا آل غالب.. اللطيمة اللطيمة[2]. فلما أخبرهم الخبر تجهّزت قريش لحرب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وما بقي أحد من عظمائها إلاّ أخرج ماله لتجهيز الجيش، فخرجت قريش بألف فارس ويزيدون، وأخرجوا معهم المغنيات والدفوف والطبول والخمر[3]، فلما وصل

(١) الكامل في التاريخ ٢: ١١٦.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ١٤٣- ١٤٤.

(٣) المصادر السابقة.

خبرهم إلى النبيﷺ استشار أصحابه بأمر حربهم، وكان قد قرب بدر، فقام المقداد، فقال يا رسول الله: إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون، ولكنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلنّ عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخضناه معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك.

فأشرق وجه النبيﷺ ودعا له وسرّ لذلك وضحك.

ثم أمر أصحابه بالمسير وأخبرهم بأنّ الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين، النفير أو العير، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ**﴾(١) وأن الله لن يخلف وعده.

فساروا حتى نزلوا بدراً، ولما أصبح يوم الواقعة ورأى المسلمون كثرة المشركين، خافوا وتضرّعوا إلى الله، ولمّا نظر النبيﷺ إلى كثرة المشركين، وقلّة المسلمين استقبل القبلة، وقال: **اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**(٢). فنزل قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**﴾(٣).

---

(١) آل عمران: الآية ١٢٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٢١- ٢٧٢.

(٣) الأنفال: الآية ٩- ١٠.

ثم ألقى الله النعاس على المسلمين فناموا ليهدّئ من روعهم وخوفهم، وليتمكنوا في الصباح من مواجهة المشركين بقوة وثبات، وحتى لا تتضخّم الأمور في الليلة البهيم فيأخذهم الاضطراب ويعصف بهم التخمين ويتملكهم الخوف. قال تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدامَ**﴾[١].

وفي مقابل ذلك فقد ألقى الله سبحانه في قلوب المشركين الرعب والخوف، قال تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ**﴾[٢].

المعركة ونتائجها:

كان أول من برز للقتال عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فنادى عتبة أو شيبة: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فندب إليهم عبيدة بن الحارث وحمزة وعلياً قائلاً: «**قم يا عبيدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم...**»[٣].

وبدأت المعركة بعد المبارزة الفردية، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله كفاً من الحصباء فرماها في وجوه المشركين فما بقي فرد منهم إلاّ امتلأت عينه منه، ثم أخذ المسلمون يقتلون ويأسرون، وقد قُتل زعماؤهم وقُتل أبو جهل وأمية وأضرابهما...

واستشهد من المسلمين تسعة، وقيل: أحد عشر. وقيل: أربعة عشر؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، كما أنه لم يؤسر من المسلمين أحد، كما أنهم قد

---

(١) الأنفال: الآية ١١.

(٢) الأنفال: الآية ١٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١١٩.

غنموا من المشركين مئة وخمسين بعيراً، وعشرة أفراس، وقيل ثلاثين، ومتاعاً وسلاحاً وأنطاعاً وثياباً وأدماً كثيراً[١].

وكان لعلي عليه السلام الدور الأساس في هذه المعركة، حيث كان نصف القتلى تقريباً بسيفه، وقد ذكر الواقدي أسماء تسعة وأربعين رجلاً ممن قتل في بدر من المشركين، ونصّ على أنّ من قتله منهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً[٢].

وأخيراً انتصر النبي والمسلمون في غزوة بدر الكبرى وأشار القرآن إلى هذا الانتصار بقوله: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٣].

دروس وعبر من غزوة بدر:

لقد حملت واقعة بدر الكثير من الدروس والعبر للمسلمين جميعاً على مرّ التاريخ، فكل من يقرأ صفحات بدر، وما بذله المسلمون، في سبيل الله تعالى، والقيادة الحكيمة للنبي صلى الله عليه وآله يستحصل حصيلة كبيرة من الفوائد والدروس، ومن أهم تلك الدروس الحصول على نتائج الاعتماد على الله تعالى والتمسك بالقيادة الإلهية الحكيمة للنبي صلى الله عليه وآله حيث كان من الواضح جداً أن المسلمين يشكلون في عددهم وعتادهم من الناحية العسكرية الجانب الضعيف في هذه المعركة، غير أنّ المسلمين وبسبب الاعتماد المطلق على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والعزم على إعلاء كلمة التوحيد، صغر كل ذلك في عيونهم، فكان النصر حليفهم.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ١١٨.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٥٢، وأنساب الأشراف ١: ٢٩٦.

(٣) آل عمران: الآية ١٢٣.

بين بدر وكربلاء:

لا شكّ في أنّ معركة كربلاء استمرار واضح لمعركة بدر بنظر الحسين عليه السلام وبنظر يزيد، فأراد يزيد من هذه المعركة أن ينتقم من النبي والإسلام، ويثأر لأجداده من بني أمية، ولذا فبعد قتل الحسين عليه السلام اعتبر نفسه منتصراً فقال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

كما أنّ معركة كربلاء كانت بنظر الحسين عليه السلام كذلك، أي استمراراً لمعركة بدر، ولكن باتجاه آخر، فإذا كان منظار يزيد الانتقام والأخذ بالثأر، فكان منظار الحسين عليه السلام الوقوف بوجه الظلم والفساد والانحراف الذي بعث جده المصطفى لمحوه واستئصال شوكته، ومن هنا كان الحسين عليه السلام استمراراً لرسول الله، وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: «**حسين مني وأنا من حسين**» حيث أحيى الحسين عليه السلام بثورته وشهادته دين جده رسول الله.

فلئن حارب النبي صلى الله عليه وآله قريشاً في بدر لأجل كسر فرعنة صناديدها، فقد قاتل الحسين في كربلاء لكسر كبرياء آل أمية وفرعنتهم وتسلطهم على رقاب المسلمين، ولئن حارب النبي صلى الله عليه وآله قريشاً في بدر لقمع الجاهلية الموروثة فقد حارب الحسين في كربلاء ليقمع الجاهلية الموروثة ما بعد الإسلام، وهكذا قدّم الحسين كل ما يملك، وكل غالٍ ونفيس في سبيل هذا المبدأ العظيم، حتى توّج تضحياته بتقديم نفسه، الّتي بقيت حية على الدهور تحيي الإسلام في النفوس بمنهج رباني رصين وحصين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

١٦

النبي صلى الله عليه وآله وزواج فاطمة عليها السلام

١/ ذي الحجة / السنة الثانية للهجرة

إن السيدة فاطمة الزهراء قد أكملت التاسعة من عمرها وقد تقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الكثير من الصحابة يطلبون يدها، إلا أن الرسول صلى الله عليه وآله امتنع عن ذلك وصرح بأنه ينتظر فيها قضاء الله[1]، إلى أن تقدم علي ابن أبي طالب عليه السلام، لخطبتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: «**يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك**»، فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة، وأخبرها بالأمر الذي جاء لأجله علي عليه السلام، سكتت ولم تولّ وجهها، ولم يرَ فيه الكراهية التي كان يراها في عرض غيره عليها، فقام وهو يقول: «**الله أكبر، سكوتها إقرارها**»، فخرج إلى علي وموافقة الزهراء بادية على قسائم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة[2]، فقال صلى الله عليه وآله: **يا علي هل معك ما أزوّجك به؟** فقال عليه السلام: **فداك أبي وأمي، والله لا يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحتي.** فقال صلى الله عليه وآله: **يا علي، أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به**

---

(١) أنساب الأشراف ٢: ٣٠.

(٢) وقد اشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله، قوله: «لولا علي ما كان لفاطمة كفؤ».

أعداء الله، وناضحتك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك، بع الدرع، وائتني بثمنه[١].

باع الإمام علي عليه السلام الدرع[٢] بأربعمئة وثمانين درهماً، وقيل بخمسمئة[٣]، وجاء بالدراهم وطرحها بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، فكان هذا فقط صداق أشرف وأعظم فتاة عرفتها دنيا الإنسان.

ثم إنّ النبي صلى الله عليه وآله قسّم المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء الطيب، وثلثاً تركه عند أم سلمة أمانة، ثم ردّه بعد ذلك إلى علي عليه السلام قُبيل الزفاف، إعانةً منه لوليمة الزفاف.

دفع النبي صلى الله عليه وآله الثلث لأبي بكر وسلمان وبلال ليشتروا لفاطمة عليها السلام متاع بيتها، فكان ما اشتروه متواضعاً غاية التواضع، بحيث لما طرح بين يدي النبي صلى الله عليه وآله أخذ يقلّبها بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: «**اللهم بارك لقوم جُلُّ آنيتهم الخزف**»[٤].

ومن السنن النبوية الوليمة عند الزواج، وقد روي عن ابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وآله دعا بلالاً فقال: **يا بلال، إني قد زوجت ابنتي ابن عمي، وأنا أحب أن يكون من سُنّة أمتي إطعام الطعام عند النكاح، فائت الغنم فخذ شاة وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة لعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت منها فآتني بها.**

فانطلق ففعل ما أمره، ثم أتاه بقصعة، فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الإصابة للعسقلاني ٤: ٣٦٥.

(٢) كانت تسمى هذه الدرع بـ (الحطيمة) لأنها كانت تحطم السيوف.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ١٤٤.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٠ حديث ٣٢.

في رأسها، ثم قال: **أدخل عليّ الناس زفة زفة، ولا تغادرن زفة إلى غيرها**[1]. فجعل الناس يردون كلما فرغت زفة وردت أخرى حتى فرغ الناس.

ومن خلال هذه النظرة السريعة لهذا الحدث الكبير في تاريخ الإسلام يمكن استقراء جملة من الدروس التربوية العظيمة التي جعلها النبي صلى الله عليه وآله معالم للأجيال، يمكن الإشارة إلى أهمها وهي:

أولاً: اختيار علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام - وإن كان من قبل السماء بقوله صلى الله عليه وآله:«**إن الله أمرني بأن أزوِّج فاطمة من علي**»[2]- لكنه كان وفق ضوابط الإيمان وأهلية كل طرف للطرف الآخر ويدلل ذلك بوضوح على أهمية هذه الضوابط واعتبارها هي الأساس الذي يجب أن تبني عليه أركان الأسرة المسلمة وكيانها.

ولعلّ في الكلام الذي روي عن النبي صلى الله عليه وآله: **يا فاطمة، أما إني ما آليت أن أنكحتك خير أهلي**[3] إشارة إلى لزوم انتخاب الأصلح.

ثانياً: السنن والدروس النبوية التي طبعت في معالم تشكيل هذه الأسرة المباركة من قلة المهر وإطعام الطعام وإقامة الفرح والسرور وتوصية الطرفين أحدهما بالآخر والبساطة في تجهيز أثاث البيت ومتطلباته.

عاش علي وفاطمة عليهما السلام على أحسن حال، فلم يشتك علي من فاطمة طيلة حياته معها، وكذلك فاطمة، بل كان كل منهما نِعم العون على طاعة الله للآخر، وهناك كثير من النصوص تؤكّد هذه الحقيقة، فقد قال علي عليه السلام في بيان العلاقة

---

(١) إذا فرغت زفة لم تعد ثانية.

(٢) ذخائر العقبى: ٧٠.

(٣) الطبقات الكبرى ٨: ٢٤.

بينهما: «**فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، لقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان**»[١].

وجاء في آخر كلام لها مع علي عليه السلام: «**يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني**»، فقال عليه السلام: «**معاذ الله أنت أعلم وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبخك بمخالفتي**»[٢].

لقد كان التناغم والتلاؤم بين الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام ما تعكسه هاتان العبارتان، وكيف لا يكونان كذلك وهما من البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بنص كتابه العزيز ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٣].

(١) مناقب الخوارزمي: ٢٥٦، وكشف الغمة ١: ٣٦٣، وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٤.

(٢) آمالي الشيخ الطوسي ١: ٣٨٤، وبلاغات النساء: لابن طيفور ٢٠، وروضة الواعظين: ١٥١.

(٣) الأحزاب: الآية ٣٣.

١٧

معركة أحد

٧/ شوال/ السنة ٣ هـ

كان سبب غزوة أحد: أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون. قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا النساء يبكين على قتلاكم فإنّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد ويشمت بنا هو وأصحابه[١].

فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف، وأخرجوا معهم النساء يذكّرنهم ويحثّنهم على حرب رسول الله ﷺ، وخرجت معهم هند بنت عتبة بن ربيعة.

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك جمع أصحابه وأخبرهم: أن الله قد أخبره: أنّ قريشاً قد تجمعت تريد المدينة[٢].

قال الطبرسي: واستشار أصحابه ونزل ﷺ الشعب من أحد في عدوة الوادي

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٠.

(٢) تفسير القمي ١: ١١١.

إلى الجبل[١].

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله فتهيأ للقتال، وجعل على راية المهاجرين علياً عليه السلام، وعلى راية الأنصار سعد بن عبادة، وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله في راية الأنصار[٢].

ووضع صلى الله عليه وآله عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشِّعب، وقال له ولأصحابه: **إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تخرجوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا منازلكم**[٣].

وقال صلى الله عليه وآله لهم: **اتقوا الله واصبروا، وإن رأيتمونا يخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم.**

وقال صلى الله عليه وآله: **لا تبرحوا مكانكم هذا وإن قتلنا عن آخرنا، فإنما نُؤتى من موضعكم هذا**[٤].

بدء البراز بأحد:

قال القمي في (تفسيره): كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدوي، فبرز ونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ.

فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

يا طلح إن كنت كما تقول   لنا خيول ولكم نصول

---

(١) تفسير القمي ١: ١١١.

(٢) إعلام الورى ١: ١٧٦.

(٣) تفسير القمي ١: ١١٢.

(٤) الإرشاد ١: ٨٠.

فاثبــت لننظــر أيّنــا المقتــول   وأيّنـــا أولـــى بمـــا تقـــول

فقــد أتــاك الأســد الـصؤول   بـــصارم لـــيس بـــه فلـــول

ينـــصره القـــاهر والرســـول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: **أنا علي بن أبي طالـب**. قـال طلحـة: قـد علمت أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك.

فشدّ عليه طلحة فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالترس، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره وسقطت الرايـة، فـذهب علـي عليه السلام ليجهز عليه فحلّفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليـه؟ قـال: **قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً**.

وأخذ الراية أبو سعيد فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مسافع فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض، إلـى أن قتـل أميـر المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبد الدار أرطاة فسقطت الراية إلى الأرض.

معصية الرُّماة:

فحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمـة قبيحـة، ووقـع أصـحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سوادهم، وانحطّ خالد بن الوليد في مئتي فارس فلقي عبد الله بن جبير وأصحابه فوق الجبل فاستقبلوهم بالسهام فردّوا.

ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ينهبون سواد القـوم، فقالوا لعبد الله: تقيمنا ههنا وقد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة؟! فقال لهم عبد الله: اتقوا الله فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد تقدم إلينا أن لا نبرح.

فلم يقبلوا منه وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتى أخلوا مراكـزهم، وبقـي عبـد الله

بن جبير في إثني عشر رجلاً[١].

وانحطّ خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فرّ أصحابه وبقي في نفر قليل، فقتلوهم على باب الشعب، واستعقبوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف[٢].

ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت، فلاذوا بها.

هزيمة المسلمين ووقوف بعض الصحابة:

وانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه. فلما رأى رسول الله ﷺ الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: «**إني أنا رسول الله فإلى أين تفرّون عن الله ورسوله**».

لم يبق مع الرسول ﷺ إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة، وكلما حملت طائفة على الرسول ﷺ استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام فيدفعهم عنه ويقتل فيهم حتى انقطع سيفه. فلما انقطع سيفه جاء إلى الرسول فقال: يا رسول الله إنّ الرجل يقاتل بالسلاح وقد انقطع سيفي. فدفع إليه الرسول سيفه «ذا الفقار» وقال: قاتل بهذا.

فلم يكن يحمل على رسول الله أحد إلاّ يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فإذا رأوه رجعوا، وانحاز الرسول ﷺ إلى ناحية أحد فوقف، فلم يزل علي عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة.

وسمعوا منادياً ينادي من السماء: «**لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي**». ونزل جبرئيل على الرسول وقال: هذه والله المواساة يا محمد.

فقال الرسول ﷺ: **لأني منه وهو مني**. فقال جبرئيل: وأنا منكما.

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٢.

(٢) المصدر السابق: ١١٣.

استشهاد حمزة رضي الله عنه:

وكان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له واحد منهم. وكان وحشي عبداً حبشياً لجبير بن مطعم. وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشياً عهداً: لئن قتلت محمداً أوعلياً أو حمزة لأعطينّك رضاك.

يقول وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيته يهدّ الناس هداً، فمرّ بي فوطأ على جرف نهر فسقط، فأخذت حربتي فهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت مغمّسة بالدم[1].

وجاءت هند فأمرت بشق بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأذنيه ومثّلوا به، ورسول الله مشغول عنه لا يعلم بما انتهى إليه أمره.

وقال القمي في (تفسيره): وجاءت إليه هند فقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه وجعلتهما خرصين (حلقتين) وشدّتهما في عنقها، وقطعت يديه ورجليه[2].

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٦.

(٢) المصدر السابق: ١١٧.

١٨

غزوة الخندق (الأحزاب)

٣/ شوال / السنة الخامسة للهجرة

إن جماعة من اليهود خرجوا من المدينة حتى قدموا مكة إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته لرسول الله ﷺ وتسرّعه إلى قتاله، فذكروا له ما نالهم (من وقعة بني النظير) وسألوه المعونة على قتاله، فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكّنكم الله من عدوّكم فهذه اليهود تقاتله معكم ولا تنفكّ عنكم حتى يؤتى على جميعها أو تستأصله ومن اتبعه، فقويت عزائمهم إذ ذاك في حرب النبي ﷺ، ثم خرج اليهود من مكة إلى غطفان وقيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وضمنوا لهم النصرة والمعونة، وأخبروهم باجتماع قريش لهم على ذلك[١].

وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عُيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مُرة، ووبرة بن طريف في قومه، واجتمعت قريش معهم[٢]، وذكرهم ابن شهر آشوب فقال: فكانوا ثمانية عشر ألف رجل، والمسلمون في ثلاثة آلاف[٣].

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فاستشار أصحابه، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إن

---

(١) الإرشاد ١: ٩٥، وإعلام الورى ١ :١٩٠، ومجمع البيان ٨ : ٥٣٣.

(٢) الإرشاد ١: ٩٥، وإعلام الورى: ١ :١٩.

(٣) المناقب ١ : ١٩٧.

القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المجالدة)، فنحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلّ وجه. فإنّا كنا – معاشر العجم في بلاد فارس – إذا دهمنا دهم من عدوّنا نحفر الخندق، فيكون الحرب من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أشار سلمان بصواب[1].

حفر الخندق

وقسَّم رسول الله صلى الله عليه وآله المهاجرين والأنصار جماعات جماعات، وأوكل إلى كل جماعة حفر موضع من الخندق وتنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي وأراد كلٌّ أن يضمّه إلى صفّه، فقال المهاجرون: سلمان منا وقالت الأنصار: سلمان منا ونحن أحق به!!

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله قولهم فقال قولته الخالدة في شأن سلمان يومذاك: «**سلمان منّا أهل البيت**»[2].

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله بحفر الخندق وقد فرغوا من حفره قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وقدمت قريش وكنانة وسليم وهلال فنزلوا الزغابة، ووادي العقيق، عددهم قال: فوافوا في عشرة آلاف[3].

وهم المعنيون بقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً**﴾[4] يعني يوم الأحزاب وهو يوم الخندق ﴿**إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ**﴾ وهم عيينة بن حصن في أهل نجد ﴿**وَمِنْ أَسْفَلَ**

---

(١) راجع تفسير القمي ٢: ١٧٧.

(٢) المغازي: ج٢ ص٤٤٦، الكامل في التاريخ: ج٢ص١٢٢.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٧٦– ١٧٧.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٩.

مِنكُمْ﴾[١] وهم أبو سفيان في قريش، وواجهتهم قريظة[٢].

قال الطبرسي: وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلْع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الحصون[٣].

برز الإيمان كله إلى الشرك كله

وجعل المشركون ينظرون إلى الخندق فيتهيّبون القدوم ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، فجعلوا يدورون ويدعون المسلمين: ألا هلمّوا للقتال والمبارزة، وأقاموا على ذلك شهراً لم يكن بينهم قتال إلا نضح بالنبل ورمي بالحجارة، فلما طال ذلك ندبوا من ينتدب منهم إلى اقتحام الخندق، وكان أشدّ من فيهم وأنجدهم عمرو بن عبد ودّ الذي طفر بفرسه الخندق إلى جانب رسول الله ﷺ، وركز رمحه إلى الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعكم: هل من مبارز

فقال رسول الله ﷺ: **من له؟** فلم يجبه أحد، فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **أنا له يا رسول الله**. فقال: **يا علي هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل**. فقال علي عليه السلام: **وأنا علي بن أبي طالب**.

فقال رسول الله ﷺ: **أُدن مني**، فدنا منه، فعممّه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال له: **اذهب وقاتل بهذا**. ثم دعا له فقال: **اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه،**

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

(٢) التبيان ٨: ٣٢٠.

(٣) مجمع البيان ٨: ٥٣٥.

وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته[١].

وذكر الكراجكي: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال ثلاث مرات: **أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة؟!** وفي كل مرّة يقوم علي عليه السلام والقوم ناكسوا رؤوسهم. فاستدعاه وعمّمه بيده، فلما برز قال صلى الله عليه وآله: «**برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه**».

فأخذ علي بن أبي طالب عليه السلام يهرول في مشيه، وهو يقول:

لا تعجلنّ، فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيّة وبصيرة، والصدق منجي كل فائز

فقال له عمرو: من أنت؟ قال عليه السلام: **أنا علي بن أبي طالب**. فقال عمرو: والله إن أباك كان لي صديقاً قديماً وإني أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حيّ ولا ميّت، فقال له علي عليه السلام: **قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنّة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة**، فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي؟ تلك إذاً قسمة ضيزى.

فقال علي عليه السلام: **دع هذا يا عمرو، وإني سمعت منك وأنت متعلّق بأستار الكعبة تقول: لا يعرضنّ عليّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلاّ أجبته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة.**

قال: هات يا علي، قال عليه السلام: **أحدها أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله** صلى الله عليه وآله. قال عمرو: نحّ عنّي هذه فاسأل الثانية. فقال: **أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.**

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٣ وتاريخ الخميس ١: ٤٨٦ وكنز الفوائد: ١٣.

فقال: لا تتحدّث نساء قريش بذلك، ولا تنشد الشعراء في أشعارها، أني جبنت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال علي عليه السلام: **فالثالثة أن تنزل إليّ، فإنك راكب وأنا راجل، حتى أنابذك.** فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أنّ أحداً من العرب يسومني عليها، فنزل عن فرسه، وضرب وجهه حتى نفر، وأقبل على علي عليه السلام مصلتاً سيفه، فتجادلا ساعة، ثم اختلفا بضربتين، فضرب عمرو علياً على أمّ رأسه - وعليه البيضة - فقدّها وأثر السيف في هامته، وضربه علي عليه السلام فوق طوق الدرع فرمى برأسه. وثارت لذلك عجاجة فما انكشف إلاّ وهم يرون علياً عليه السلام يمسح سيفه على ثياب عمرو وقد خرّ صريعاً[1].

وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون: قُتل علي بن أبي طالب. ثم انكشفت العجاجة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلم يضربه، فوقع المنافقون في علي عليه السلام، فردّ عنه حذيفة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **مه يا حذيفة فإن علياً سيذكر سبب وقفته**[2].

فسأله النبي صلى الله عليه وآله عن سبب وقفته؟ فقال عليه السلام: **قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظّ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله**[3].

ثم تلقّاه النبي صلى الله عليه وآله فمسح الغبار عن عينيه وقال له: «**لو وُزن اليوم عملك بعمل جميع أمة محمد لرجح عملك على عملهم**»[4] وقال صلى الله عليه وآله: «**لضربة علي يوم الخندق**

---

(١) شرح الأخبار ١: ٢٩٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٢٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧.

(٣) المصدر السابق ٢: ١١٥.

(٤) كنز الفوائد ١٣٨. وبحار الأنوار ٢٠: ٢١٥.

أفضل من عبادة الثقلين»[١].

العوامل التي فرقت كلمة (الأحزاب):

هناك عوامل عديدة تسببت في تفرق الجيش العربي الذي زحف إلى المدينة لاجتياحها، وانقسام الأحزاب على أنفسهم، وإليك أبرزها:

١- إن أول عامل من تلك العوامل هو تكلم مبعوثي رسول الله ﷺ مع سادة غطفان وفزارة، لأن هذه المعاهدة وإن لم توقع إلا أنها لم تُنقضْ، فتسبب ذلك في أن يختلفوا مع قريش في الرأي، أي اجتياح المدينة وبشكل من الأشكال وإن لا يقدموا على أي إجراء عسكريّ مع غيرهم انتظاراً للتوقيع على تلك المعاهدة، ولهذا كلّما طلبت القيادة القرشية منهم الهجوم الشامل اعتذروا ببعض الأعذار تملّصاً من ذلك الطلب.

٢- مصرع (عمرو بن عبدو) فارس العرب الأكبر الذي كان الأغلبية في ذلك الجيش يعلقون عليه آمالهم في الانتصار على المسلمين، فلما قتل تملّك الجميع رعبٌ غريبٌ وانهارت آمالهم، وبخاصة عندما هرب زملاؤه الشجعان من وجه عليّ عليه السلام خوفاً، ورهبة)[٢].

---

(١) الإقبال: ٤٦٧.

(٢) سيد المرسلين: ٢٧٢ ط دار البيان العربي.

١٩

النبي صلى الله عليه وآله وصلح الحديبية

شهر ذي القعدة/ السنة ٦ للهجرة

عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام أنه دخل البيت (الكعبة) وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرّف مع المعرفين، فقصّ صلى الله عليه وآله هذه الرؤيا على أصحابه وتفاءل به خيراً[1].

ولم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيّؤ للعمرة، ودعا القبائل المجاورة التي كانت لا تزال على شركها وكفرها إلى مرافقة المسلمين في هذه السفرة، ولهذا شاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية أن المسلمين سيتجهون في شهر ذي القعدة صوب مكة يريدون العمرة.

ولقد كانت هذه السفرة الروحانية تنطوي - مضافاً إلى العطاء الروحاني والمعنوي - على مصالح اجتماعية وأهداف سياسية، فقد عززت مكانة المسلمين في شبه الجزيرة العربية، وتسببت في انتشار دين التوحيد في أوساط المجتمع العربي آنذاك.

ولقد قرر النبي صلى الله عليه وآله في السنة السادسة للهجرة أن ينطلق بالمسلمين في رحلة

---

(١) مجمع البيان ٩: ١٢٦.

عبادية مؤدياً العمرة، ليعلن من خلالها مواصلته للدعوة الإسلامية ويوضح ما يمكنه من مفاهيم العقيدة الإسلامية ومعالمها واحترامها وتقديسها للبيت الحرام، وتكون حركته هذه مرحلة انفتاح رسالي جديد وعهد انتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الانتشار والهجوم.

وقد سلك الرسول ﷺ وأصحابه طريقاً وعراً ثم هبطوا إلى منطقة سهلة تدعى بـ«الحديبية» فبركت ناقة رسول الله فقال ﷺ: «**ما هذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل بمكة**»[1]، فأمر ﷺ المسلمين بالنزول فيها – وقال ﷺ: «**لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلاّ أعطيتهم إياها**»[2]، ولكنّ قريشاً بقيت تترصد المسلمين ووقف فرسانها في طريقهم، ثم بعثت إلى النبي ﷺ بديل بن ورقاء في وفد من خزاعة لتستعلم هدف النبي ﷺ وتصده عن دخول مكة، وعاد الوفد ليقنع قريشاً أن السلم والعمرة هدف النبي ﷺ. واستكبرت قريش وبعثت بوفد آخر يرأسه الحليس – سيد الأحابيش – فلما رآه النبي ﷺ مقبلاً قال: «**إن هذا من قوم يتألهون**» (أي يعظمون الله). فلما رأى الحليس الهدي رجع إلى قريش من دون أن يلتقي بالنبي ﷺ ليقنع قريشاً أن النبي ﷺ والمسلمين جاءوا معتمرين. ولكن لم تقتنع قريش فأرسلت مسعود بن عروة الثقفي الذي انبهر من مشهد المسلمين وهم يتسابقون لالتقاط القطرات المتناثرة من وضوئه ﷺ فعاد إلى قريش قائلاً: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل «محمد» في أصحابه، ولقد رأيت

---

(١) بحار الأنوار ٢٠: ٢٢٩.

(٢) الطبري ٣: ٢١٦.

قوماً لا يسلمونه لشيء قط فروا رأيكم[١].

وقد أعرب النبي ﷺ عن احترامه للأشهر الحرم من خلال رحلة المسلمين العباديّة حيث لم يحملوا معهم سوى سلاح المسافر، كما دعا القبائل المجاورة أن يكونوا إلى جانب المسلمين في هذه الرحلة رغم أنهم لم يكونوا مسلمين مؤكداً أن العلاقة بين الإسلام وباقي القوى غير قائمة على أساس الحرب. واستنفر النبيّ ﷺ ألفاً وأربعمائة مسلم - على أقل التقادير - وساق الهدي أمامه (سبعين بعيراً). وبلغ قريشاً نبأ خروج النبي ﷺ والمسلمين لأداء العمرة فأصبحت قريش في ضيق من أمرها وكان أمامها طريقان: إما أن تسمح للمسلمين بأداء العمرة وبذلك يتحقق للمسلمين أملهم في زيارة البيت الحرام ويحظى المهاجرون بالاتصال بأهلهم وذويهم وربما دعوتهم إلى الإسلام، أو أن تمنع قريش المسلمين عن دخول مكة وبذلك ستتعرض مكانة قريش للاهتزاز وتكون محطّاً للوم القبائل الأخرى بسبب سوء معاملتها لقوم مسالمين يبتغون أداء مناسك العمرة وتعظيم الكعبة المشرفة لا غير.

لقد أبت قريش إلاّ العتو والمعاندة فأخرجت مجموعة من فرسانها تقدّر بمئتي فارس بقيادة خالد بن الوليد لمواجهة النبي ﷺ والمسلمين. ولما كان النبي ﷺ قد خرج محرماً لا غازياً قال ﷺ: يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة.

ثمّ أمر بالعدول عن طريق فرسان قريش تجنباً لوقوع قتال تتخذه قريش ذريعة

---

(١) المغازي ٢: ٥٩٨.

لصحة موقفها وفخراً لها. وأرسل النبي صلى الله عليه وآله خراش بن أُمية الخزاعي ليفاوض قريشاً في الأمر، فعقروا ناقته وكادوا أن يقتلوه. ولم ترعِ قريش حرمة ولا ذمة للأعراف والتقاليد. ولم تلبث قريش أن كلفت خمسين رجلاً للتحرش بالمسلمين عسى أن يبدر منهم ما ينفي صفة السلم عنهم. وفشلت خطتهم وتمكن المسلمون من أسرهم فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم مؤكداً بذلك هدفه السلمي[1].

وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يبعث إلى قريش رسولاً آخر - ولم يتمكن من إرسال علي بن أبي طالب ممثلاً عنه؛ لأنّ علياً كان قد وتر قريش بقتل صناديدها في معارك الدفاع عن الإسلام، فانتدب عمر بن الخطاب ولكن عمر اقترح على النبي صلى الله عليه وآله أن يرسل عثمان بن عفان[2]؛ لكونه أموياً وذا قرابة مع أبي سفيان. وتأخر عثمان في العودة من قريش وأُشيع خبر مقتله، فكان هذا إنذاراً بفشل كل المساعي السلمية لدخول مكة. ولم يجد الرسول صلى الله عليه وآله بدّاً من التهيّؤ للقتال، وهنا كانت بيعة الرضوان إذ جلس النبي صلى الله عليه وآله تحت شجرة وأخذ أصحابه يبايعونه على الاستقامة والثبات مهما كلف الأمر، وهدأ استنفار المسلمين بعودة عثمان. وأرسلت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة النبي صلى الله عليه وآله.

وأخيراً انتهت مفاوضات الجانبين - رغم كل ما أبداه مندوب قريش من التصلّب - إلى عقد وثيقة موادعة وهدنة نُظّمت في نسختين ووقع عليها الجانبان.

ويروي كافّة المؤرخين وأرباب السير أن رسول الله صلى الله عليه وآله استدعى علياً عليه السلام، وأمره أن يكتب تلك الوثيقة قائلاً له: **اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)** فكتب (عليّ) ذلك فقال سهيل: لا أعرفُ هذا، ولكن اكتب: باسم اللّهم!!

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٢٣.

(٢) السيرة النبوية ٢: ٣١٥.

فقال رسول الله ﷺ: **اكتب: باسمك اللهم وامحُ ما كتبتَ**. ففعل (عليٌّ) ذلك.

ثم قال رسول الله ﷺ: **أكتب: (هذا ما صالح عليه رسول الله سهيل بن عمرو)**.

فقال سهيل، لو أجبتُك في الكتاب إلى هذا لأقررتُ لك بالنبوّة فامحُ هذا الاسمَ واكتب: محمَّد بن عبد الله (أو قال: لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلك، ولكن أكتب اسمَك واسم أبيك).

ولم يرض بعض من حضر من المسلمين في هذه النقطة بأن يرضخ رسول الله ﷺ لمطالب (سهيل) إلى هذه الدرجة، ولكن رسول الله ﷺ الذي كان يلاحظ مصالح عليا غفل عنها ذلك البعض كما سنذكرها فيما بعد رضي بمطلب (سهيل)، وقال لعليّ عليه السلام: **أمحها يا عليّ**.

فقال عليٌّ عليه السلام بأدب بالغ: **يا رسول الله إن يديَّ لا تنطلِقُ لمحو اسمك من النبوة**.

فقال رسول الله عليه السلام: **فضع يدي عليها**، فمحى رسول الله ﷺ بيده كلمة: (رسول الله) نزولاً عند رغبة سهيل، مفاوض قريش[1].

التاريخ يعيد نفسه:

ولقد ابتلي علي عليه السلام تلميذ النبي الأول بمثل هذه التجربة المرّة بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) الإرشاد: ٦٠، أعلام الورى: ١٠٦، بحار الأنوار ٢٠: ٣٦٨، وقد أخطأ الطبري في هذا المقام إذ قال في إحدى رواياته لهذه الحادثة: قال لعلي عليه السلام: أُمحُ (رسول الله)، قال: لا والله لا أمحاك أبداً فأخذه رسول الله ﷺ وليس يحسن يكتب فكتب مكان (رسول الله) محمّد. وهكذا نسب الكتابة إلى شخص رسول الله ﷺ ونحن نعلم أنه أُمي، لا يحسن الكتابة، وقد حققنا هذه المسألة في المجلد الثالث من موسوعة مفاهيم القرآن: ٣١٩- ٣٧٤.

فيومَ امتنع عليٌّ عليه السلام عن محو كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم النبيّ صلى الله عليه وآله قال له النبي صلى الله عليه وآله: **يا عليّ إنك أبيتَ أن تمحو اسمي من النبوة فوَ الذي بعثني بالحق نبياً لتجيبنَّ أبناءهم إلى مثلِها وأنتَ مَضيضٌ مضطَهدٌ**.

ولقد بقيت هذه القضية في ذاكرة علي عليه السلام، حتى إذا كان يوم (صفين) وخدع أصحاب الإمام علي عليه السلام بالأسلوب الماكر الذي اتبعه جيش الشام الذي قاتل علياً عليه السلام بقيادة معاوية بن أبي سفيان ومساعدة عمرو بن العاص، وأجبروا الإمام عليه السلام على عقد الصلح مع معاوية فشكّل الجانبان لجنة لتنظيم وثيقة ذلك الصلح، كُلِّفَ (عبيد الله بن رافع) كاتب الإمام من جانب الإمام عليّ عليه السلام بأن يكتب وثيقة الصلح، فكتب:

(هذا ما تقاضى عليه أميرُ المؤمنين عليٌّ)، قال عمرو بن العاص ممثل معاوية في تلك المفاوضات: لو علمنا أنك أميرُ المؤمنين لم ننازعك!!

وهكذا طالب عمرو بن العاص بحذف عبارة أمير المؤمنين.

وطال الكلام والتشاجر في هذا الموضوع، ولم يكن الإمام عليٌّ يريد أن يعطي حجة للبسطاء من أصحابه، ولهذا لم يرضخ لهذا المطلب، ولكنه بعد إلحاح من أحد قادة جيشه سمح بأن يمحى لقب (أمير المؤمنين) من اسمه ثم قال: **الله أكبر سُنَّةٌ بسنة**.

وهو بذلك يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله له يوم الحديبية[1].

شروط الصلح:

وبسبب تشدد «سهيل» في شروط الصلح كادت المفاوضات أن تفشل، وأخيراً

(١) الكامل في التاريخ: ج٣ ص١٦٢، راجع المصدر لتقف على القصة بكاملها ولتقف على ما دار بين الإمام وابن العاص.

تمّ الاتفاق على عدّة شروط للصلح، هي:

١ - تعهّد الطرفين بترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض.

٢ - من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع «محمّد» لم يردّوه عليه.

٣ - من أحب أن يدخل في عقد «محمّد» وعهده دخل فيه ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ - يرجع «محمّد» بأصحابه إلى المدينة عامه هذا فلا يدخل مكة، وإنما يدخل مكة في العام القادم فيقيم فيها ثلاثة أيام ليس معه سوى سلاح الراكب، والسيوف في القِرَب[١].

٥ - لا يُستكره أحد على ترك دينه ويعبد المسلمون الله بمكة علانية وبحرية وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة وأن لا يؤذى أحد ولا يعيّر[٢].

٦ - لا إسلال (سرقة) ولا إغلال (خيانة) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر[٣].

٧ - لا تعين قريش على « محمّد » وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح[٤].

ولم يرضَ نفر من المسلمين ببنود الصلح، فاعترضوا على النبي ﷺ متصوّرين أنّ النبيّ ﷺ قد تراجع أمام قريش ولم يدركوا أن النبي ﷺ مسدد من الله وأنه ينظر بعين متطلّعة إلى مستقبل الرسالة الإسلامية ومصالحها العليا.

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢١.

(٢) بحار الأنوار ٢٠: ٣٥٢.

(٣) مجمع البيان ٩: ١١٧.

(٤) بحار الأنوار ٢٠: ٣٥٢.

وردّ النبي ﷺ على المعترضين بقوله: «**أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيّعني**». وأقرّ النبي ما كرهه بعض المسلمين، وجاءت قضية تسليم أبي جندل لقريش[1] إثارة جديدة في ظرف توتّر فيه الوضع النفسي عند بعضهم.

ولكن هذا الصلح كان في الواقع فتحاً مبيناً وكبيراً للمسلمين على خلاف ما كان يبدو للبعض من ظاهر بنود الصلح ؛ إذ انقلبت شروط المعاهدة لصالح المسلمين بعد قليل.

وفي طريق الرجوع إلى المدينة نزلت آيات القرآن الكريم[2] لتؤكد البعد الحقيقي للصلح مع زعيمة الوثنية، وتبشّر المسلمين بدخول مكة قريباً.

---

(١) بحار الأنوار ٢٠: ٢٥٢.

(٢) راجع سورة الفتح (٤٨): الآيات ١- ٧ و١٨- ٢٨.

٢٠

فتح حصون خيبر

٢٤/ رجب/ السنة السابعة للهجرة

حين شجّع يهود خيبر جميع القبائل العربية على محاربة الحكومة الإسلامية، والقضاء عليها، واستطاع جيش الأحزاب المشترك بمساعدة يهود خيبر أن يتحركوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة، واستئصال المسلمين في أكبر تحالف عسكري، واتحاد نظامي من نوعه في ذلك العصر، كانت خيانتهم ولؤمهم يدعو النبي ﷺ أن يقضي على بؤرة المؤامرة، ومركز الفساد والخطر، وأن يجرد سكانها جميعاً من السلاح، كل ذلك لما كان منهم من خيانة العهد، ونقض المعاهدة التي أجراها النبي ﷺ مع جميع اليهود القاطنين حول المدينة[١].

ومن هنا رأى رسول الله ﷺ إنّ من الحكمة، بل ومن الضرورة بمكان أن يطفئ شرارة الخطر هذه إلى الأبد، ولهذا فقد أمر ﷺ المسلمين بالتهيّؤ لغزو خيبر آخر مراكز اليهود في الجزيرة العربية، وقال لأصحابه: «**لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد وأما الغنيمة فلا**»، فاستخلف رسول الله ﷺ على المدينة نميلة بن عبد

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٦.

الله الليثي[١].

لقد خرج مع النبي ﷺ إلى خيبر ما يقارب من ألف وستمائة مقاتل، بينهم مائتا فارس[٢]، وعندما أشرف ﷺ على خيبر قال داعياً ربه: «**اللهم ربّ السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرّها، وشرّ أهلها، وشرّ ما فيها**»[٣].

وكانت خطة النبي في بداية التحرك قطع النقاط والطرق الحساسة ليلاً عن كل حصون السبعة لليهود، وفعلاً خرج مزارعوا خيبر وعمالهم إلى أراضيهم في الصباح وإذا بهم يفاجؤون بجنود الإسلام حول حصونهم، وقد سدّوا عليهم جميع الطرق، فأفزعهم ذلك، وخافوا خوفاً شديداً، فأدبروا وهم يقولون: محمد والجيش معه. وبادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون وإحكامها.

ولكن على الرغم من كلّ التكتيك العسكري لليهود والحصانة الكبيرة، والقتال المستميت فقد استطاع المسلمون فتح أكثر الحصون، وكان أول حصن فُتح هو (ناعم) ثم (القموص) الذي كان يرأسه أبناء أبي الحُقيق، وأُسرت فيه (صفية بنت حُيي بن أخطب)، التي صارت فيما بعد من زوجات رسول الله ﷺ، ثم فتح (الكتيبة) وبعده (النطاة)..

واستعصت باقي الحصون كسلالم والوطيح على المسلمين، فبعث رسول

---

(١) سيد المرسلين، للسبحاني ٢: ٣٨٧- ٣٨٨.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ١٦٤.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام ١: ٣٣٥.

الله ﷺ جماعة من المقاتلين، ولكنه سرعان ما رجعوا، ولم يفتحوا واحداً منها[١]، فأغضب النبي ﷺ ذلك، فجمع الناس وقال لهم: «**لأعطينّ الراية غداً إلى رجل يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسولهُ، يفتح الله على يديه، كرّار غير فرّار**»[٢].

أنا الذي سمتني أميّ حيدر

بات الأصحاب وكل واحد منهم يتمنى أن يكون صاحب هذا الوسام الخالد، وفي الصباح نادى النبي ﷺ: أين علي؟ فقيل: يا رسول الله به رمد، وهو راقد بناحية، فقال ﷺ: **إئتوني بعلي**، فأمرّ - رسول الله ﷺ يده الشريفة على عيني علي عليه السلام ودعا له بخير فعوفي من ساعته، ثم دفع اللواء إلى علي، وقال له: **اذهب ولا تلتفت**. فوقف علي عليه السلام ومن دون أن يلتفت، قال لرسول الله ﷺ: **وعلى ماذا أقاتلهم**، قال ﷺ: **على الإسلام أو الجزية**[٣].

لمّا وصل علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الحصون كان قد ارتدى درعاً قوياً، وحمل ذا الفقار، وأخذ يهرول بشجاعة منقطعة النظير والجند خلفه، حتى ركز راية النبي البيضاء على الأرض تحت الحصن، فلما رأى اليهود دنوه نحو الحصن أخذ يخرج كبار صناديدهم، وكان أول من خرج إليه أخو مرحب ويدعى الحارث، فتقدم إلى علي وصوته يدوي في ساحة القتال، بحيث تأخر من كان خلف علي من الجند فزعاً وخوفاً[٤]، ولكن سرعان ما جندله أمير المؤمنين بسيفه ورمى به جثة هامدة على الأرض، فغضب مرحب (بطل خيبر المعروف) لقتل أخيه، فخرج من

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٢: ٣٠٠، والسيرة الحلبية ٢: ٣٥.

(٢) عبارة مشهورة جداً بين المؤرخين، راجع كتب التاريخ.

(٣) السيرة الحلبية ٢: ٣٧.

(٤) المصدر السابق.

الحصن وهو غارق في السلاح، قد لبس درعاً يمانياً، -وقيل داودياً، ووضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، وتقدم نحو علي كالفحل الصؤول يرتجز، ويقول:

قد عَلِمَت خيبرُ أني مرحبُ شاكي السِّلاح بطلٌ مجربُ
إن غلب الدهرُ فإني أغلبُ والقرنُ عندي بالدّما مخضّبُ

فأجابه علي عليه السلام مرتجزاً:

أنا الذي سمّتني أمي حيدرة ضرغامُ أجام وليثٌ قسورة
عَبل الذراعين غَليظُ القيصرة كليث غاباتٍ كريهُ المنظرة

فأخذا يتبادلان الضربات بالسيوف، وقعقعتها تثير الرعب والفزع في قلوب المشاهدين، وفجأة هبط سيف بطل الإسلام القاطع على المفرق من رأس مرحب قدّت خوذته نصفين ونزلت على رأسه وشقته نصفين إلى أسنانه.

لقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث أفزعت أكثر من خرج مع مرحب من أبطال اليهود وصناديدهم ففروا من فورهم، ولجأووا إلى الحصن، وبقي جماعة فقاتلوا علياً منازلة حتى قتلهم جميعاً، ثم لاحق الفارين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسه من يده، وجاءته السهام تترى فقلع باباً على الحصن وأخذ يتترس به عن نفسه، فلم يزل ذلك الباب في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه، ثم ألقاه من يديه حين فرغ، وقد حاول ثمانية من أبطال الإسلام، ومنهم أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقلبوا ذلك الباب، أو يحركوه من مكانه فلم يقدروا على ذلك[1].

يقول اليعقوبي في (تاريخه): إنّ الباب الذي قلعه علي عليه السلام كان من الصخر،

---

(١) تاريخ الطبري٢: ٩٤، عن سيرة ابن هشام٢: ٣٤٩، وعنه تاريخ الخميس٢: ٤٧-٥٠.

وكان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعين[١]، وكـان هـذا البـاب يفتحـه (٢٢) رجـلاً، ويغلقه مثلهم، وفي هذا يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج:

يـا قـالع البـاب الـذي عـن هـزّه　　　عجـزت أكـف أربعـون وأربـع

وقد نقل المؤرّخـون قـضايا عجيبـة حـول قلـع بـاب خيبـر، وخـصوصياته، ومواصفاته، وعن بطولات علي عليه السلام في هذا الفتح، وجميعها لا تتمـشى ولا تتيـسر مع القدرة البشرية العادية، وفي هذا الصدد يقول علي عليه السلام: «**ما قلعتها بقـوة بـشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها مطمئنة راضية**»[٢].

لم يتجاوز عدد قتلى المسلمين في هذه الغـزوة ٢٠ شخـصاً ولكـن قتـل مـن اليهود أكثر من هذا بكثير، وقد سجل التاريخ أسماء ٩٣ رجلاً منهم[٣].

وعاد علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله منتصراً ظافراً، وفي هذه الأثناء وصل جعفر بمـن معه من المهاجرين من الحبشة، فاستقبله النبي صلى الله عليه وآله وقال: «**ما أدري بأيّهما أنـا أسـرُّ بفتح خيبـر أم بقدوم جعفر**».

فسلام الله على الإمام علي عليه السلام وأخيه جعفر لمـا قـدّماه للنبـي صلى الله عليه وآله ولرسـالته الخالدة.

المؤمنون بالله وأصحاب المروءات من البشر يعاملون العدو المنهـزم المقهـور عند الغلبة عليه والظفر به باللطف والحب، ويعفون عنه ويتناسون روح الانتقام.

وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله عندما تغلب على يهـود خيبـر فقـد عـاملهم بعـد الانتصار معاملة حسنة، وشملهم بعفوه، ولطفه رغم كل ما ارتكبوه في حـق رسـول

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٦.

(٢) بحار الأنوار ٢١: ٤٠.

(٣) فروع الكافي ١: ١٢٩- ١٣٠، الخصال ٢: ٨٢- ٨٣، امتاع الاسماع ١: ٣٢٥.

الله ﷺ من ظلم وجناية وتأليب العرب الـوثنيين ضـد الإسـلام، وإشـعال حـروب كادت أن تودي بالحكومة الإسلامية وتـستأصل المـسلمين، وتقـضي علـى جهـود رسول الإسلام.

فقد قبل بطلب اليهود بأن يسكّنهم في خيبر كما كـانوا، وأن يتـرك أراضـيهم وبساتينهم بأيديهم، على أن يكون له نصف محاصيلها سنوياً.

بل إن النبي ﷺ – كما يروي ابن هشام – هو الـذي اقتـرح هـذا الأمـر علـى اليهود، وترك لهم حرية التصرف في مـزارعهم وأراضـيهم ليغرسـوا أو يزرعـوا مـا يريدون من الشجر[١].

لقد كان في مقدور النبي ﷺ، كأي فاتح آخر، أن يريـق دمهـم جميعـاً، أو أن يجليهم برمتهم من أراضيهم، أو أن يجليهم برمتهم من أراضيهم، أو يجبـرهم علـى اعتناق الإسلام، ولكنّه –خلافاً لتـصور زمـرة مغرضـة مـن المستـشرقين، وطلائـع الاستعمار الثقافي الذين يتصورون ويزعمون بأن الإسـلام ديـن القهـر والقـوة، وإن المسلمين أجبروا الأمم والأقوام المغلوبة على ترك عقائدها، واعتنـاق الإسـلام لـم يفعل مثل هذا العمل قط، بل تركهم أحراراً في ممارسة شعائرهم، والبقاء علـى مـا كانوا يعتقدونه من أصول دينهم وفروعه.

وأما الجزية[٢] فقد كان لقاء دفاع الحكومـة الإسـلامية عـنهم، وحمـايتهم مـن الأعداء، وتوفير الأمن لهم، إذ كان حماية أموالهم وأنفسهم من وظائف المسلمين.

ولقد حصل المسلمون أثناء جمع غنائم (خيبر) على قطعة من التوراة، فطلبـت اليهود من النبي ﷺ أن يعيدها إلـيهم، فـأمر رسـول الله ﷺ مـسؤول بيـت المـال

---

(١) السيرة النبوية ٢: ٣٣٧.

(٢) الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة.

بإعادتها إليهم[١]، وهذا يكشف عن احترام رسول الله ﷺ للشرائع الأخرى.

وفي قبال كل هذه الألطاف لم تكف اليهود عن خيانتها وكيدها، بل ظلت تخطط – في الخفاء – للإيقاع برسول الله ﷺ وأصحابه، وإلحاق الأذى بهم.

وإلى يومنا هذا واليهود وكيانهم اللاشرعي الغاصب يتآمروا على المسلمين في كل أنحاء العالم، وظلمهم وتعديهم على الشعب الفلسطيني واللبناني في السنوات الأخيرة ضد هذين الشعبين المقاومين لا يخفى على أحد.

(١) المغازي ٢: ٦٨٠، امتاع الاسماع ١: ٣٢٣.

٢١

فتح مكة المكرمة[١]

٢٠/ رمضان/ السنة ٨ هـ

بتجلى في هذا القسم من التاريخ الإسلامي الوجه الإنساني الرحيم الـذي كـان يتسم به رسـول الله ﷺ الـذي كـان يحـرصُ علـى دمـاء أعـداء الرسـالة الألـداء، وأموالهم، ويسعى إلى حفظها وصيانتها، كما لو كانوا أصدقاءً لا أعداءً.

فهو يعفو بمروءة كبيرة، وبُعد مدى واسع، ورؤية مستقبلية عميقة عن قـريش، ويغفر لهم جرائمهم وأذاهم ويُصدرُ عفواً عاماً لم يعرف له تاريخ الفاتحين نظيراً في أسبابه، وعلله، وفي ظروفه وملابساته.

تقدّم جيشُ التوحيد العظيم نحو مكة، حتى أصبح على مقربة منها.

وقد كان رسول الله ﷺ عازماً على أن يفتح مكة من دون إراقة دماء، وإزهـاق أرواح، وأن يسلّم العدوُّ من دون أية شروط.

وكان من العوامل التي ساعدت على تحقيق هذه الغايـة - مـضافاً إلـى عامـل التكتم والتستر ومبدأ المباغتة - أن العباس عمّ النبي ﷺ توجـه إلـى مكـة كداعيـة صلح ووسيط سلام بين قريش والنبي ﷺ.

---

(١) اقتباساً من كتاب سيد المرسلين للشيخ جعفر السبحاني.

وقد قام العباس بدوره على أفضل صورة، فقد أرعب أبو سفيان من قوة الإسلام العسكرية الكبرى، ولهذا رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أن يخلّى سبيله ليذهب إلى مكة قبل دخول جنود الإسلام فيها، فيخبر أهلها بعظمة وقوة الجيش الإسلامي القادم إليهم، ويحذرهم من مغبة المقاومة والمواجهة، ويدلهم على طريق الخلاص والنجاة، وهو التسليم للأمر الواقع، ففعل ذلك.

فدخلت جميع وحدات الجيش الإسلامي وقطعاته وكتائبه وفرقه مكة من دون قتال ومن دون أن تلقى من أهلها مقاومة.

ثم إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه دخل مكة من ناحية أذاخر، وهي أعلى نقطة في مكة في موكب عظيم جليل، فضرب له قبة من ادم بالحجون (عند قبر عمه العظيم أبي طالب) ليستريح فيها، وقد أصروا عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بأن ينزل في بعض بيوت مكة فأبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه[1].

كسرُ الأصنام وغسل الكعبة:

لقد استسلمت مكة التي كانت مركزاً رئيسياً للشرك والوثنية طوال أعوام عديدة ومديدة، أمام قوات التوحيد الظافرة، وسيطر جنود الإسلام على جميع نقاط تلك المدينة المقدسة.

ولقد استراح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه في الخيمة التي ضربوها له في الحجون بعض الوقت.

ثم إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بعد أن اطمأن واغتسل ركب راحلته (القصواء) وتوجّه إلى المسجد الحرام لزيارة بيت الله المعظم والطواف به، بينما كان يحمل معه السلاح، والمغفر على رأسه، وتحيط به هالة من العظمة والجلال، ويحدق به المهاجرون والأنصار،

---

(١) الامتاع ١: ٣٨٠.

وقد صف له الناس من المسلمين والمشركين، بعضٌ يغمره الفرح والسرور، وآخرون يكادون ينفجرون من الغيظ.

فطاف رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالبيت على راحلته، وقد أخذ بزمامها (محمد بن مسلّمة) وفيما احتبست الأصوات في الصدور، واتجهت الأبصارُ إليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فوقعت عيناه الشريفتان - في الشوط الأول من طوافه - على الأصنام الكبرى (هبل) و(اساف) و(نائلة) منصوبة فوق الكعبة، فجعل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كلّما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهُوقاً) فيقع الصنم لوجهه.

وكانت جدران الكعبة من الداخل مغطّاة بصور الأنبياء والملائكة وغيرهم، فأمر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بمحوها جميعاً، وغسلها بماء زمزم.

يقول المحدثون والمؤرخون: لقد كُسِرَت بعض الأصنام الموضوعة على الكعبة على يد (علي بن أبي طالب) وذلك عندما قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا علي إصعد على منكبي».

فصعد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على منكبه، ثم نهض به فألقى صنم قريش الأكبر، وكان من نحاس، ثم ألقى بقيّة الأصنام إلى الأرض وحطّمها[1].

النبي يعلنُ عن العفو العام:

ثم إن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أعلن العفو العام عن جميع أهل مكة بقوله:

«**ألا لبئس جيرانُ النبي كنتم، لقد كذّبتم، وطردتم، وأخرجتم، وآذيتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني إذهبوا فأنتم الطُلقاء**»[2].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٤ بإسناد صحيح، السيرة الحلبية ٣: ٨٦، تاريخ الخميس ٢: ٨٦ و٨٧.

(٢) بحار الأنوار ٢١: ١٠٦، السيرة النبوية ٢: ٤١٢.

خطاب النبي التاريخي في المسجد الحرام:

كان الاجتماع الذي شهده المسجد الحرام يوم فتح مكة اجتماعاً عظيماً جداً.

المسلمون والمشركون، والصديق والعدو حضروا بأجمعهم في ذلك الاجتماع، وكانت تجلل هالة من عظمة الإسلام وعظمة نبيه الكريم ﷺ رحاب ذلك المكان المبارك، وكان الصمت والهدوء، وحالة من الانتظار والترقب، تخيم على أجواء مكة.

لقد آن الأوان – الآن – لأن يكشف رسول الله ﷺ للناس عن الملامح الحقيقة لدعوته المباركة ويوقف ذلك الحشد الهائل المتعطش على معالم رسالته العظمى، ومبادئ دينه الحنيف، وبالتالي أن يكمل حديثه الذي بدأه قبل عشرين عاماً ولكنّه لم يُوفق لإتمامه بسب مضايقات المشركين، ومعارضتهم، وبسبب ما أوجدوه من عقبات وعراقيل في طريقه.

ولقد كان رسول الله ﷺ ابن تلك المنطقة، وتلك البيئة، ولهذا كان عارفاً – تمام المعرفة – بأمراض المجتمع العربي، وأدوائه، وعلاج تلك الأدواء ودوائها.

لقد كان يعرف ﷺ علل إنحطاط المجتمع المكي وأسباب تخلفه عن ركب الحضارة والمدنية، وعن اللحاق بقافلة التكامل البشري الصاعد.

من هنا رأى أن يضع يده على مواضع الداء في ذلك المجتمع المريض، وأن يعالج أمراض البيئة العربية بشكل كامل، وكأي طبيب حاذق، وحكيم ماهر.

ونحن هنا ندرج أبرز المقاطع في الخطاب التاريخي الذي ألقاه سيد المرسلين ﷺ على الحشود الكبيرة المتجمعة في ذلك اليوم عند بيت الله المعظم.

تلك المقاطع التي يعالج كل منها مرضاً اجتماعياً خاصاً من أمراض المجتمع في ذلك العصر وحتى في عصرنا الحاضر.

١- التفاخر بالنسب:

كان التفاخر بالنسب والقبيلة والعشيرة من الأمراض المستحكمة المتجذرة في البيئة العربية الجاهلية، وكان من أكبر أمجاد المرء أن ينتسب إلى قبيلة معروفة، ويتفرع نسبه عن عشيرة بارزة كقريش مثلاً:

ولقد قال رسول الله ﷺ في خطابه المذكور لإبطال هذه السنّة الجاهلية المقيتة:

«**أيها الناس إنّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إنكم من آدم، وآدم من طين، ألا خير عباد الله عبدٌ اتقاه**».

لقد عمد رسول الله ﷺ في خطابه - لإفهام العالم البشري بأن ملاك الشخصية والتفوق إنما هو (التقوى) والورع فقط.

٢- التفاضل بالقومية العربية:

لقد كان رسول الله ﷺ يعلم جيداً أن هذه الجماعة من البشر تعتبر (العربية) والانتساب إلى العرق العربي من المفاخر الكبرى، وكانت النخوة العربية قد ترسخت في قلوب تلك الجماعة وعروقها كداء دفين ومرض مزمن، فقال في خطابه لمعالجة هذا الداء الخبيث وتحطيم هذا الصرح الموهوم:

«**إن العربية، ليست بأب والد، ولكنه لسان ناطق، فمن قصُر عمله لم يبلغ به حسبه**».

وقال ﷺ: «**إن الناس من آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على أعجمي، ولا لأحمر على الأسود إلا بالتقوى**».

وقد ألغى رسول الإنسانية الأعظم بهذا البيان الصريح كل أنواع التمييز الظالمة، وكل ألوان التشدد مع الآخرين، وفعل وبيّن في ذلك العصر ما لم يفعله وما لم يبينه ميثاق حقوق الإنسان مع كل هذه الضجة الإعلامية التي نشهدها في عالمنا الحاضر.

٣- الأخوة الإسلامية:

ولقد ارتبط قسم من خطاب رسول الله ﷺ في ذلك الحشد العظيم بمسألة اتحاد المسلمين ووحدة كلمتهم، وحق المسلم على أخيه المسلم.

وقد كان مقصوده ﷺ من بيان هذه الحقوق المتبادلة بين المسلمين التي تعتبر من مميزات الدين الإسلامي الحنيف، هو أن يرغب غير المسلمين في الإسلام إذا هم سمعوا ورأوا مثل هذه الحقوق، ومثل هذه العلاقات المتينة بين المسلمين.

فقد قال في هذا الصعيد:

«**المسلم أخو المسلم، والمسلمون إخوة وهو يد واحدة على من سواهم، تتكافؤ دماؤهم، ليسعى بذمتهم أدناهم**»[1].

---

(١) لقد نقلنا هذه المختارات من: روضة الكافي: ص ٢٤٦، السنة النبوية ٢: ٤١٢، المغازي ٢: ٨٣٦، بحار الأنوار ٢١: ١٠٥، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٨١.

٢٢

وفاة إبراهيم عليه السلام ابن النبي صلى الله عليه وآله

٢٩/ شوال عام/ ٨ هـ

كان مولده في السنة الثامنة للهجرة في شهر ذي الحجة على رواية للكازروني في بحار الأنوار واليعقوبي والطبري عن الواقدي(١).

جاء في المناقب للحلبي عن تفسير النقاش بإسناده إلى ابن عباس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي عليه السلام هو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا، إذ هبط جبرئيل بوحي من رب العالمين، فلما سرى عنه قال: **أتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لست أجمعهما، فافد أحدهما بصاحبه**.

فقال صلى الله عليه وآله: **يا جبرائيل، قل لربي أن يقبض إبراهيم فديته للحسين**.

فقبض بعد ثلاث، فكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلاً قبّله وضمّه إلى صدره ورشف ثناياه، وقال: **فديت من فديته بابني إبراهيم**(٢).

وروى البرقي في المحاسن بسنده عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**لما قبض إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله جرت في موته ثلاث سنن: أما واحدة، أن الشمس**

---

(١) الطبري ٣: ٩٥ واليعقوبي ٢: ٨٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٨– ٨٩.

انكسفت فقال الناس: إنما انكسفت الشمس لموت ابن رسول الله! فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا انكسفا أو أحدهما صلوا[١]، قال: ثم نزل المنبر فصلى بالناس الكسوف، فلما سلّم، قال: يا علي، قم فجهز ابني، فقام علي عليه السلام فغسل إبراهيم عليه السلام وحنطه وكفّنه، ومضى رسول الله حتى انتهى به إلى قبره، فقال الناس، إن رسول الله نسي أن يصلي على ابنه لما دخله من الجزع عليه! فانتصب ﷺ قائماً ثم قال: إن جبرئيل أتاني وأخبرني بما قلتم، زعمتم أني نسيت أن أصلي على ابني لما دخلني من الجزع! ألا وإنه ليس كما ظننتم، ولكن اللطيف الخبير فرض عليكم خمس صلوات، وجعل لموتاكم من كل صلاة تكبيرة، وأمرني أن لا أصلي إلا على من صلى، ثم قال ﷺ: يا علي إنزل وألحد إبني، فنزل علي فألحد إبراهيم في لحده.

فقال الناس: إنه لا ينبغي لأحد أن ينزل في قبر ولده إذ لم يفعل رسول الله بابنه، فقال رسول الله ﷺ: أيها الناس، إنه ليس عليكم بحرام أن تنزلوا في قبور أولادكم، ولكن لست آمن إذا حل أحدكم الكفن عن ولده أن يلعب به الشيطان فيدخله عند ذلك من الجزع ما يحبط أجره».

وروى الطوسي في الأمالي، بسنده عن عائشة قالت: «لما مات إبراهيم بكى النبي ﷺ حتى جرت دموعه على لحيته، فقيل له: يا رسول الله تنهى عن البكاء وأنت تبكي ؟!

فقال ﷺ: **ليس هذا بكاء، إنما هو رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحم**»[٢].

وروى الكليني في فروع الكافي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما مات

---

(١) المحاسن ٢: ٢٩- ٣١، وفي فروع الكافي ٣: ٢٠٨.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٨٨.

إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، هملت عين رسول الله بالدموع ثم قال: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون**»[1].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٧.

٢٣

النبي صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك

٢٩ / رجب/ السنة ٩ هـ

لقد كان لانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وفتوحات المسلمين المشرقة في الحجاز صداه في خارج الحجاز، وكان ذلك يُرعب الأعداء، ويدفعهم إلى التفكير في حيلة.

وهذا ما دفع إمبراطور الروم إلى أن يحشد جموعاً كبيرة، ويتهيأ بكل ما أوتي من قوة لمهاجمة المسلمين وغزوهم بغتة، ليحدّ من انتشار الإسلام، ومن قوته التي أخذت تتعاظم، ومن انتشار نفوذه السياسي، الذي بات يزلزل سلطانه.

فحشد ما يقارب أربعين ألف فارس وراجل، وكان مجهّزاً بأحدث الأسلحة والتجهيزات، وقد استقرّ على الشريط الحدودي لأرض الشام[١]، في منطقة (تبوك)، التحقت به قبائل عديدة تسكن الحدود مثل قبيلة (لخم) و(عاملة) و(غسان) و(جذام)، وتقدمت طلائع ذلك الجيش حتى منطقة (البلقاء).

ولما حملت الأنباء هذا الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوهم، فجهّز جيشه وعسكر في (ثنية الوداع)، وكان يتألف من عشرة آلاف فارس، وعشرين ألف

---

(١) حيث كانت تحت سيطرة إمبراطورية الروم.

راجل، وقد أمر رسول الله ﷺ أن تتخذ كل قبيلة راية لنفسها[١].

المتخلفون عن القتال:

تخلّف البعض عن المشاركة في هذه الغزوة، فمنهم الجدّ بن قيس - وكان من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة - حيث قال ﷺ له: يا أبا وهب هل لك العام تخرج معنا؟

فقال: يا رسول الله أو تأذن لي، ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما أحدٌ أشدُّ عجباً بالنساء مني، وإني لأخشى أن رأيتُ بنات بني الأصفر (الروم) لا أصبرُ عليهنَّ. فأعرضَ عنه رسول الله ﷺ بعد أن سمع منه ذلك العذر الصبياني، وقد نزل فيه قول الله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ**﴾[٢]، كما تخلّف عن النبي ثلاثة حتى يفرغوا من القطاف والحصاد، ثم يلتحقوا به، فوبّخهم القرآن.

وتخلّف جماعة ممن تظاهروا بالإسلام والإيمان، فأخذوا يثبّطون الناس عن رسول الله ﷺ، وقالوا لهم: يغزو محمدٌ بني الأصفر مع جهد الحال والحرّ، والبلد البعيد إلى ما لا قبَل له به، يحسب محمدٌ أن قتال بني الأصفر اللعب، فنزل قوله تعالى: ﴿**وقالوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٣].

وعلى إثر هذه الأحداث التي أوجدها المنافقون اكتشف النبي ﷺ شبكة جاسوسية في المدينة تجلس في بيت (سويلم اليهودي) ويحيكون المؤامرات ليثبطوا المسلمين، فبعث إليهم من أحرق الدار عليهم فلاذوا بالفرار.

---

(١) السيرة لابن هشام ٢: ٥١٥-٥١٧.

(٢) التوبة: الآية ٤٩.

(٣) التوبة: الآيتين ٨١ و٨٢.

ومن جانب آخر أتى رجال إلى النبي صلى الله عليه وآله يرغبون في الخروج مع رسول الله، وطلبوا منه ما يحملهم عليه من دابّة، فقد كانوا أهل حاجة فقراء، فقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه. فتولوا وهم يبكون لعدم تمكنهم من المشاركة في الغزو مع النبي صلى الله عليه وآله، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿**وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ**﴾[1].

استخلاف الإمام علي عليه السلام في المدينة

لم يغزو النبي صلى الله عليه وآله غزواً إلاّ كان علي عليه السلام معه وحامل لوائه، غير أن النبي صلى الله عليه وآله في هذه المرة منع علياً من الخروج من المدينة معه، لأنه صلى الله عليه وآله كان يدرك جيداً أن المنافقين والمتربصين والمتحينين الفرص من رجال قريش سيستغلون فرصة غيبة النبي القائد عن المدينة فيثيرون فيها فتنة، ويجهزون على الحكومة الإسلامية الفتية بانقلاب أو ما شابه ذلك، وأن هذه الفرصة إنما تسنح لهم إذا قصد رسول الله صلى الله عليه وآله مكاناً نائياً، وانقطع ارتباطه بالمدينة، ولقد كانت تبوك أبعد نقطة يخرج إليها النبي صلى الله عليه وآله من جميع غزواته، فخوفاً من أن يقلبوا الأوضاع في غيابه ترك فيها علياً، على الرغم من أنه استخلف على المدينة (محمد بن مَسْلَمة)، حيث قال لعلي: «**أنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، يا علي إن المدنية لا تصلح إلاّ بي وبك**»[2].

ولقد استاء المنافقون من إبقاء علي عليه السلام في المدينة، وحاولوا بثّ الدعايات والشائعات الخبيثة بغية تحريض علي عليه السلام على الخروج من المدينة والالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله، فقالوا: ما خلّف رسول الله علياً إلا استثقالاً له وتخفيفاً منه، أو أنه دعاه

---

(١) التوبة: الآية ٩٢.

(٢) بحار الأنوار ٢١: ٢٠٧، والسيرة النبوية لابن هشام ٢: ٥٢٠.

إلى الخروج لتبوك، ولكن علياً امتنع من الخروج بحجة الحر الشديد، وبُعد الطريق، وإيثاراً للدعة والراحة والرفاهية، أو أنه خلفه مع النساء والأطفال.

ولإبطال مثل هذه الشائعات توجّه علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له: **يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استثقلتني، أو تخففت مني، أو خلفتني مع النساء والأطفال**. فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** - أو قال له: **لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي**[1].

النبي صلى الله عليه وآله في طريقه إلى تبوك:

تحرك النبي صلى الله عليه وآله من معسكره إلى تبوك، وفي طريقه راسل كلاً من قبيلة تميم، وغطفان وطي، التي كانت تسكن في مناطق بعيدة عن المدينة، بغية الاشتراك في هذا الغزو الاستثنائي، وقد استجاب لدعوته الكثير من الفدائيين الغيارى.

وقد واجه جيش الإسلام في طريقه إلى تبوك مصاعب كثيرة، ومشاقاً بليغة حيث الرياح الشديدة والسامّة، والعواصف القوية بحيث ربما تحتمل البعير بصاحبه، وتلقيه في واد آخر، ولهذا فكان النبي صلى الله عليه وآله قد نبههم بعقل آبالهم، وأن لا يخرج أحد منهم في تلك الليلة وحده من خبائه.

كما أن الجيش واجه في الطريق أزمة العطش، وعدم وجود الماء حتى حمل ذلك البعض على نحر إبلهم ليشقوا أكراشها، ويشربوا ماءها، بينما صبر آخرون.

ولم يدم صبرهم طويلاً حتى أغاثهم الله تعالى بسحابة ممطرة، أروت جيش الإسلام، واحتملوا ما يحتاجون إليه.

حلّ جيش الإسلام في أرض تبوك في غرة شعبان في السنة التاسعة للهجرة، ولكن لم يرَ أثراً لجيش الروم، وكأن جيش الروم لما علموا بكثرة جنود الإسلام،

---

(١) مسند أحمد ١: ٣٠٦٢/٧٠٩، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١١٩ ح٨٤٢٩، وغيرهما كثير.

وكانوا قد سمعوا عن شجاعتهم وتضحياتهم الفريدة، رأوا أنه من صالحهم الانسحاب، وعدم دخول حرب قد تكسر شوكتهم وكبريائهم وعظمتهم[١].

وهنا كان النبي ﷺ أمام خيارين، فإما أن يقفل راجعاً إلى المدينة، وكأنّ شيئاً لم يقع، وإمّا أن يهاجم الروم عبر الدخول في أراضي الشام، فاستشار النبي ﷺ أصحابه، فقالوا: إن كنت أُمرت بالسير فسر، فقال ﷺ: لو أمرتُ به ما استشرتكم فيه. فأشاروا عليه بالرجوع إلى المدينة، فقبل النبي اقتراحهم وأقفل راجعاً بجيشه[٢].

قطاف غزوة تبوك:

هب أن هذا المسير الطويل لم ينتج غزواً ولا فتحاً، ولكن كانت له قطاف مهمة جداً، وإليك بعضها:

أولاً: كانت هناك قبائل من النصارى كأيلة، وأذرح والجرباء ودومة الجندل، وكان من المحتمل أن يستغل الروم قواهم ضد الإسلام، ويحملوا بمساعدتهم على الحجاز، فعقد النبي أثناء رجوعه من تبوك معاهدة عدم اعتداء، وأن لا يعينوا على المسلمين أحداً، فحصل النبي ﷺ على أمن واسع على الحجاز من الحدود الشامية.

ثانياً: ارتقاء سمعة الجيش الإسلامي، وازدياد عظمته في قلوب سكان الحجاز، وعرف الصديق والعدو أن المقدرة العسكرية الإسلامية بلغت من القوة والعظمة بحيث أصبح بمقدورها أن تواجه أكبر القوى في العالم، وهذا ما أدّى أن يتخلّى الكثير من القبائل عن التفكير في التمرد والطغيان.

ثالثاً: كان هذا السفر بمثابة التمهيد لفتح الشام، فقد تعرّف قادة هذا الجيش طرق هذه المنطقة ومشاكلها، وتعلموا كيفية تجييش الجيوش الكبرى في وجه

---

(١) المغازي للواقدي ٣: ١٠١٩.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٤٢.

القوى العظمى، ولعله لذلك، كانت الشام أول منطقة فتحها المسلمون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

المنافقون يخططون لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله:

لدى عودة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة تآمر (١٢منافقاً) منهم ثمانية من قريش، والباقي من المدينة لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله في أثناء الطريق، وذلك بتنفير ناقته ليطرحوه في واد كان هناك، حيث كان بين الشام والمدينة عقبة لما وصل الجيش إليها قال لهم النبي صلى الله عليه وآله: **من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم**، فأخذ الناس بطن الوادي، بينما أخذ صلى الله عليه وآله طريق العقبة، فيما يسوق (حذيفة بن اليمان) ناقة النبي، ويقودها (عمار بن ياسر) فبينما هم يسيرون إذ التفت النبي إلى خلفه، فرأى في ضوء ليلة مقمرة فرساناً ملثمين لحقوا به من ورائه لينفروا به ناقته، وهم يتخافتون، فغضب النبي صلى الله عليه وآله، وصاح بهم، وقال لحذيفة: **اضرب وجوه رواحلهم**. فأرعبوا وهربوا وخالطوا الناس كيما يعرفوا.

يقول حذيفة: فعرفتهم برواحلهم، وذكرتهم للنبي صلى الله عليه وآله، وقلت: يا رسول الله ألا تبعث إليهم لتقتلهم. فأجابه: **إن الله أمرني أن أعرض عنهم، وأكره أن يقول الناس إن محمداً دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه، فاستجابوا له، فقاتل بهم حتى ظهر على عدوّه، ثم أقبل عليهم فقتلهم، ولكن دعهم يا حذيفة فإن الله لهم بالمرصاد**[(١)].

هذا وقد منع النبي صلى الله عليه وآله حذيفة من إذاعة أسمائهم، والعجيب أن عمر بن الخطاب كان يكرر على حذيفة قوله: أقسمت عليك بالله أأنا منهم؟[(٢)].

---

(١) المغازي للواقدي ٣: ١٠٤٢–١٠٤٥، وعنه في إمتاع الأسماع ١: ٤٧٧.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤: ٣٤، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٦/ باب ٣٨٥/٨٣.

٢٤

النبي صلى الله عليه وآله في يوم المباهلة

٢٤/ذي الحجة/السنة ٩ هـ[١]

لما انتشر الإسلام بعد فتح مكة وقوى سلطانه، وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله الوفود، فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه برأيه صلى الله عليه وآله فيهم، وكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى، منهم العاقب والسيد وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب، فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف، فقال له: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي عليه وآله السلام: «**عبد الله اصطفاه وانتجبه**» فقال الأسقف: أتعرف له – يا محمد – أباً ولده؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**لم يكن عن نكاح فيكون له والد**»، قال: فكيف قلت: إنه عبد مخلوق، وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد؟ فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله: ﴿**إِنّ مَثَلَ عِيسَىَ عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقّ مِن رّبّكَ فَلاَ تَكُنْ مّن الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ**

---

(١) إنّ يوم ٢٤ من شهر ذي الحجة، هو يوم المباهلة على الأشهر وقيل هو يوم ٢٥ من شهر ذي الحجة وأمّا السنة التي وقعت فيها قضية المباهلة فهي السنة التاسعة أو العاشرة بعد فتح مكة،

نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١] فتلاها النبي صلى الله عليه وآله على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة.

وقال صلى الله عليه وآله: «**إن الله عز اسمه أخبرني أن العذاب ينزل على المبطل عقيب المباهلة، ويبين الحق من الباطل بذلك**»[٢] فاجتمع الأسقف مع عبد المسيح والعاقب على المشورة، فاتفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذاك فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنه على غير شيء، فلما كان من الغد جاء النبي صلى الله عليه وآله وقد اكتسى بعباءة، وأدخل معه تحت الكساء، علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقال: «**اللهم إنه قد كان لكل نبي من الأنبياء، أهل بيت هم أخص الخلق إليه، اللهم وهؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، فهبط جبرئيل بآية التطهير في شأنهم، ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله، بهم عليهم السلام للمباهلة، فلما بصر بهم النصارى، ورأوا منهم الصدق، وشاهدوا أمارات العذاب، لم يجرؤوا على المباهلة، فطلبوا المصالحة، وقبلوا الجزية عليهم.

فصالحهم النبي صلى الله عليه وآله على ألفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي صلى الله عليه وآله كتاباً بما صالحهم عليه.

---

(١) آل عمران: الآيات ٥٩- ٦١.

(٢) الإرشاد ١: ١٦٦.

٢٥

وقائع حجة الوداع

شهر ذي الحجة/ السنة ١٠ هـ

في أواخر السنة العاشرة للهجرة قرر النبي صلى الله عليه وآله أن يسير إلى حج بيت الله الحرام في مكة المكرمة، فأمر مناديه أن ينادي في المدينة وبين القبائل بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يقصد مكة للحج هذا العام، فأحدث ذلك شوقاً وابتهاجاً عظيمين في نفوس جمع كبير من المسلمين، فتهيأت أعداد كبيرة لمرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله، وضربت مضارب وخيم كثيرة خارج المدينة المنورة بانتظار حركة النبي صلى الله عليه وآله وتوجهه إلى مكة[1].

وفي مطلع اليوم السادس والعشرين من شهر ذي القعدة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة متوجهاً إلى مكة، وقد استخلف مكانه في المدينة أبا دجانة الأنصاري، وقد ساق معه ما يزيد عن ستين بدنة، وعندما بلغ الموكب ذي الحليفة – وهي نقطة فيها مسجد الشجرة – أحرم بلبس قطعتين عاديتين من القماش الأبيض من مسجد الشجرة، ثم أحرم ولبى بقوله: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك..**».

وهذه التلبية هي في الحقيقية تلبية لنداء إبراهيم الخليل، كما أنه صلى الله عليه وآله كان يكرر هذه التلبية كلما شاهد راكباً، أو علا مرتفعاً من الأرض، أو هبط وادياً، ولم

---

(١) السرية الحلبية ٣: ٣٨٩.

يقطع تلبيته حتى شارف مكة في يوم الاثنين الرابع من ذي الحجة في العام العاشر للهجرة، وكان في آخر نهار ذلك اليوم[١]، فلما أصبح في اليوم التالي اغتسل ودخل مكة نهاراً[٢] وذلك من العقبة، فلما انتهى إلى باب المسجد - باب شيبة - استقبل القبلة (الكعبة) فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أبيه إبراهيم[٣]، ثم دخل بناقته العضباء واستلم الركن (الحجر الأسود) بمحجته (عصاً قصيرة معوجة الرأس)، وقبّل الحجر[٤] ثم طاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام، قرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية التوحيد[٥]، ثم دخل زمزم فشرب منه، ثم استقبل الكعبة وقال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كلّ داء وسقم». ثم رجع إلى الحجر الأسود ليستلمه وقال لأصحابه: «**ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر**» ثم استلمه وخرج إلى الصفا، وقال لأصحابه: **ابدؤوا بما بدأ به الله تعالى إذ قال: ﴿إِنّ الصّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ﴾** حتى صعد الصفا فقام عليه، فاستقبل القبلة فوحّد الله وكبّره قال:

«**لا إله لا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**». قال مثل هذا ثلاث مرات، ودعا بين ذلك، ثم نزل إلى بطن الوادي ومشى حتى صعد المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا[٦].

---

(١) انظر بحار الأنوار ٢١: ٣٩، وفروع الكافي ١: ٢٣٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٧.

(٣) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٦، وفروع الكافي ١: ٢٣٤.

(٤) بحار الأنوار ٢١: ٤٠٢، وفروع الكافي ١: ٢٨٣، ومغازي الواقدي ٢: ١٠٩٨.

(٥) بحار الأنوار ٢١: ٤٠٤، صحيح مسلم ٤: ٣٦، وفي مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٨.

(٦) بحار الأنوار ٢١: ٤٠٤، صحيح مسلم ٤: ٣٦، مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٩.

خطبته صلى الله عليه وآله في آخر عمرته:

أنه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«**إن هذا جبرائيل - وأومأ بيده إلى خلفه - يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يحل، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم، ولكني سقت الهدي، ولا ينبغي لسائق الهدي أن يحل ﴿حَتّىَ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلّهُ﴾**.

فقال سراقة بن ملك الكناني: يا رسول الله، علمنا ديننا كأننا خلقنا اليوم؛ فهذا الذي أمرتنا به ألعامنا هذا أم لما يستقبل؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **بل هو للأبد إلى يوم القيامة، وشبك أصابعه وقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة**[1].

وفي يوم التروية خرج صلى الله عليه وآله إلى مناسك الحج وكان بعد الزوال وبعد الغسل والإهلال بالحج، فمرّ بمنى وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم بعد طلوع الشمس جاء نمرة من موقف عرفات ثم سار إلى عرفات، وانتهى النبي صلى الله عليه وآله إلى نمرة. بجبال شجر الأراك من بطن عرفة من عرفة فوجد قبته قد ضربت هناك فنزل بها حتى زاغت الشمس.

فلما زاغت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت له، فخرج وقد اغتسل فقال: أيها الناس، إن الله باهى بكم في هذا اليوم ليغفر لكم عامة وخطب فيهم خطبة أكدَّ فيها على النقاط التالية:

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ٣٩١، أما في صحيح مسلم عن جابر: فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة.

من خطبة الرسول ﷺ في عرفات:

١- تحريم دماء المسلمين وأموالهم بعضهم على بعض، فقد قال:

«**أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم... وبالغ كثيراً في المحافظة على دماء المسلمين وأموالهم**».

٢- إلغاء العادات الجاهلية الوثنية في الأخذ بالثأر، فقد قال ﷺ: «**إن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأنا أضع دم ابن ربيعة بن الحارث**».

ما أروع النبي ﷺ حيث إنه قدوة للمسلمين جميعاً، فبدأ بأقربائه في تنفيذ أحكام الإسلام فابن ربيعة بن الحارث الذي قتله البعض، وضع النبي ﷺ دمه وأسقطه، لكي يشجع المسلمين على ترك الثأر.

٣- أداء الأمانة إلى أهلها، فقد قال ﷺ: «**إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلّغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها**».

وقد أكد الإسلام كثيراً على أداء الأمانة إلى أهلها، فقد جاء عنهم عليهم السلام: «**أدِ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**».

٤- التأكيد على حرمة الربا، وأن ذلك المال الحاصل منه لا يملكه المرابي، ولا يجوز قبضه، وقد بدأ ﷺ بأقربائه في إسقاط الربا، فأسقط ربا عمه العباس، قال ﷺ: «**أيها الناس إن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله**».

٥- الوصية بالنساء خيراً، قال ﷺ: «**أيها الناس إن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع،**

وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن تبن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، إعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت».

٦- التركيز على حق المسلم على أخيه المسلم، قال ﷺ: «**أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمُن أنفسكم ألا فليبلغ شاهدكم غائبكم؛ لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع**»[1].

٧- الإيصاء بالتمسك بالكتاب والعترة، وأن التمسك بهما سببٌ لكل هداية ومجنبٌ عن كل غواية وضلالة، كما أن تركهما أو ترك أحدهما مفتاح الضلالة والانحراف، قال ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، أوصيكم الله في أهل بيتي... أوصيكم الله في أهل بيتي... أوصيكم الله في أهل بيتي**»[2].

ثم اشهد النبي ﷺ ربه عليهم بقوله: **اللهم اشهد... اللهم اشهد... اللهم اشهد.**

وهكذا أكمل النبي ﷺ حجه، وعلّم المسلمين حجهم، وكانت آخر حجّة حجّها النبي ﷺ، ولذلك سميت **حجة الوداع**، وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع ولمّا، وصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق

---

(١) الطبقات الكبرى.

(٢) نقلت هذه الخطبة الكثير من كتب الحديث.

المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس[١] الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرئيل الأمين عليه السلام عن الله بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[٢]، وأمره أن يقيم علياً علماً للناس[٣]، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل مسلم، وإليك حديث الواقعة كما ينقلها أحمد بن حنبل في مسنده من حديث البراء بن عازب: كنا مع رسول الله، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله، تحت شجرتين، فصلى الظهر وأخذ بيد علي، فقال: **ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: بلى، قال: **ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟** قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: **من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**، قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[٤].

وصايا النبي قبيل رحيله

لم يكتفي النبي صلى الله عليه وآله بما قام به في حجة الوداع من إرشاد وتبليغ تتعلق بمستقبل الأمة ففي أواخر شهر صفر لمّا أحسّ النبي صلى الله عليه وآله بدنو أجله أخذ يوصي بوصايا مهمة تتعلق بوحدة المسلمين فكان يحذّرهم من الفتنة بعده والخلاف عليه. ويؤكد عليهم بالتمسك بسنّته والاجتماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين.

---

(١) هو المنصوص عليه في لفظ البر ابن عازب وبعض آخر من رواة حديث الغدير.

(٢) المائدة: الآية ٦٧.

(٣) كان علي بن أبي طالب في اليمن وقد كتب إليه النبي ليلتحق به في موسم الحج.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٨١.

وكان يوصي ﷺ بالصلاة ورعاية الرقيق فيقول: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، ألبسوا ظهورهم وأشبعوا بطونهم وألينوا لهم القول**»[١].

إلى الرفيق الأعلى

ينقل بعض المحدثين أن آخر جملة قالها رسول الله ﷺ في آخر لحظة من حياته الشريفة هي جملة: «**إلى الرفيق الأعلى**»، وكأن ملك الموت خيّره عند قبض روحه الشريفة في أن يصح من مرضه ويبقى أو يلبي دعوة ربه، ويلتحق بالرفيق الأعلى، فعبر بجملته هذه عن رغبته في اللحاق بربه[٢]، ففي منتصف يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر صفر سنة الحادية عشر للهجرة طارت روح النبي الأكرم المقدسة إلى بارئها، وإلى جنان الخلد، فبدأ أمير المؤمنين عليه السلام في تغسيله وتحنيطه وتكفينه، ثم صلى عليه، ثم كان الأصحاب يأتون أفواجاً، فيصلون عليه فرادى من دون إمام يأتمون به، وقد دفنه أمير المؤمنين عليه السلام في الحجرة الطاهرة، في الموضع الذي توفي فيه.

وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيّرت مسار التاريخ البشري، وأعظم رسول إلهي فتح أمام الإنسانية صفحات جديدة ومشرقة من الحضارة والمدنية.

وكان له عندئذ من العمر ٦٣ سنة، هبط عليه الوحي، وله أربعون سنة، ثم دعا الناس إلى التوحيد في مكة المكرمة مدة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى يثرب (المدينة) وقد مضى من عمره الشريف ثلاث وخمسون سنة، فلبث فيها عشرة سنوات قضاها في الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

وبعد عرض هذه السيرة الوجيزة للنبي الأكرم ﷺ من أدوار ومواقف طوال

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٥٤.

(٢) أعلام الورى: ٨٣.

حياته الشريفة ﷺ هلُمَّ معنا لنقتبس من أخلاقه الحميدة لنطهِّر به قلوبنا ونحسِّن أخلاقنا ونتعرف على بعض كلماته القصار، لننوِّر بها عقولنا وأفكارنـا، ونقـوّيَ بها إيماننا، فهو أسوة حسنة لنا في دار الدنيا، وشفيع لنا يوم العقبى، فسلام عليه يوم ولد، ويوم ارتحل إلى الرفيق الأعلى، ويوم يبعث حيّا.

قبس

من أخلاق رسول الله ﷺ وتراثه

قبس من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله

تمهيد:

لقد أكدَّ القرآن الكريم في آيات كثيرة، على أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان قد كـرّس جلّ حياته في سبيل دعوة الناس إلى الله تعالى وإلى تعاليمه، دون أن يـستعين بأيـة وسيلة مادية كبيرة أو قوّة عسكرية هائلة، واستطاع أن يغير مجتمعه المنحط في ربع قرن، فحل الإيمان والعلم والأخلاق في هذا المجتمع مكان الكفر والجهل والفـساد الأخلاق والاجتماعي.

فما الذي مكّن رسول الله صلى الله عليه وآله من إحراز ذلك النجاح الباهر في مجتمع جـاهليّ مغرق في القسوة والجفاء، وغلظة الطبع وشكاسة الخلق؟!

وكيف لم تحتج عملية الهداية المحمدية والتغيير الاجتماعي والفكري العميـق إلى زمن طويل؟!

ويأتي الجواب من القرآني نفسه من خلال وصفه تعالى لرسوله الكريم بالخلق العظيم حيث وصف به نبيه تارة على نحو الإجمال، إذ قال عنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُـقٍ عَظِيمٍ**﴾[1].

---

(١) القلم: الآية ٤.

وتارة بالتفصيل، نسبياً، إذ قال: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مّآ أَلّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ**﴾[3].

لقد سطعت أنوار رسول الله ﷺ في جميع الساحات والميادين، سواء منها الفردية أو الاجتماعية، في عشرته للناس أو في قيادته للمجتمع، وتوجيهه المسيرة الإنسانية بشكل عام.

وفي كل أمر كبيرٍ أو صغير نجده ﷺ يتلألأ نوراً ساطعاً، وقدوة دائمة للبشرية، كيف لا؟! وهو الإنسان الأكمل الذي قدّمه الله قدوة للبشرية، ﴿**لّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرِ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾[4].

وفيما يلي قبسٌ من نور رسول الله ﷺ وباقة عطرة من خلقه العظيم، وأدبه مع نفسه ومع ربه ومع مجتمعه كانت هي سرَّ نجاحه، ورمز خلوده، نقدمها لجمهور القرّاء عامة وأصحاب الفكر والمبلغين خاصةً للتأسّي والاقتداء بها، وذلك بمناسبة ذكرى مولده المبارك في شهر ربيع الأول.

❖ أدبُه مع ربِّه

* كان رسول الله ﷺ يبكي حتى يبتلّ مصلاّه خشية من الله عزَّ و جلَّ من غير

(١) آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) الأنفال: الآية ٦٣.

(٣) التوبة: الآية ١٣٨.

(٤) الأحزاب: الآية ٢١.

جُرمٍ[١]

* كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة يَربَدُّ وجهه خوفاً من الله، وكان ﷺ بصدره – أو لجوفه – أزيزٌ كأزيز المرجَل[٢].

* كان ﷺ يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرتِ الصلاةُ فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرِفه[٣].

* كان ﷺ إذا جاءهُ أمر يُسَرُّ به خرَّ ساجداً شكراً لله[٤].

* كان ﷺ أكثر دعوة يدعو بها: «ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار»[٥].

* كان ﷺ إذا دخل شهر رمضان تغيَّر لونه وكثرت صلاته، وابتهل في الدعاء، وأشفق لونه[٦].

* كان ﷺ إذا شهد جنازة أكثر الصُّمات وأكثر حديث نفسه[٧].

* كان ﷺ إذا شهد جنازة رُؤِيت عليه كآبة، وأقلَّ الكلامَ وأكثر حديث النفس[٨].

* كان ﷺ أكثر ما يصومُ يوم الاثنين والخميس، فقيل له: لماذا؟ قال: الأعمال تُعرض كلّ اثنين وخميس، فيُغفَرُ لكل مسلم إلاّ المتهاجرَيْن، فيقول:

---

(١) عن الحسين بن علي عليه السلام في كتاب الاحتجاج للطبسي.

(٢) نقلاً عن فلاح السائل للسيد ابن طاووس.

(٣) عن عائشة، في كتاب عدة الداعي لابن فهد الحلي

(٤) عن أبي بكرة، في كتاب سنن أبي داود.

(٥) عن أنس خادم النبي ﷺ في كتاب مسند أحمد.

(٦) عن عائشة في كتاب سنن البيهقي.

(٧) عن ابن أبي رواد مرسلاً في كتاب الطبقات لابن اسعد.

(٨) عن ابن عباس في كتاب الطبراني في الكبير.

أخِّروهما»[١].

* كان ﷺ لا يدعُ قيام الليل، وكان ﷺ إذا مرضَ أو كسلَ صلّى قاعداً[٢].

* كان ﷺ لا ينزل منزلاً إلاّ وَدّعَهُ بركعتين[٣].

* كان ﷺ لا يُؤثر على الصلاة عشاءً ولا غيرَه وكان ﷺ إذا دخل وقتها، كأنّه لا يعرف أهلاً ولا حميماً[٤].

* كان ﷺ يصلّي من التطوُّع مِثلَي الفريضة، ويصوم من التطوُّع مِثْلَي الفريضة[٥].

* كان ﷺ إذا تثاءب في الصلاة ردَّها بيده اليمنى[٦].

* كان ﷺ لا يصلي مكتوبةً إلاّ قَنَتَ فيها[٧].

❖ أدبُه مع نفسه

* كان ﷺ خُلُقهُ القرآن[٨].

* كان ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها[٩].

* كان ﷺ لا يضحك إلا تبسماً[١].

---

(١) عن أبي هريرة في كتاب مسند أحمد.

(٢) عن عائشة في كتاب سنن أبي داود.

(٣) عن أنس في كتاب المستدرك للحاكم.

(٤) عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، في كتاب مجموعة ورَّام.

(٥) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب التهذيب للطوسي.

(٦) عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، في كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان.

(٧) عن البراء بن عازب، في كتاب غوالي اللئالي لابن أبي جمهور.

(٨) عن عائشة، في كتاب مسند أحمد وسنن أبي داود وصحيح مسلم.

(٩) عن أبي سعيد، في كتاب مسند أحمد.

* كان ﷺ لا ينبعث في الضحك[٢].

* كان ﷺ لا ينام إلاّ والسّواك عند رأسه فإذا استيقظ بدأ بالسواك[٣].

* كان ﷺ يحفي شاربه[٤].

* كان ﷺ يقلّم أظفارَه ويقصّ شاربَه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة[٥].

* كان ﷺ إذا تغدى لم يتعشّ وإذا تعشّى لم يتغدّ[٦].

* كان ﷺ يؤدي الخيط والمخيط[٧].

* كان ﷺ إذا حدّث بحديث تبسَّم في حديثه[٨].

* كان ﷺ ينفق على الطِّيب أكثر ممّا ينفقُ على الطعام[٩].

❖ أدبُه مع زوجاته

* كان ﷺ – إذا خلا بنسائه – أليِنَ الناس، وأكرم الناس، ضَحاكاً بساماً[١٠].

* كان ﷺ يحلب عنزَ أهله[١١].

* كان ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسِّواك[١].

---

(١) عن جابر بن سمرة، في كتاب، مسند أحمد.

(٢) عن جابر بن سمرة، في كتاب المستدرك للحاكم.

(٣) عن ابن عمر، في كتاب مسند أحمد.

(٤) عن أم عياش، في كتاب الطبراني في المعجم.

(٥) عن أبي هريرة، في كتاب سنن البيهقي.

(٦) عن أبي سعيد، في كتاب حلية الأولياء.

(٧) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مجموعة ورام.

(٨) عن أبي الدرداء، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(٩) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(١٠) عن عائشة، في كتاب الطبقات لابن سعد.

(١١) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

* كان ﷺ إذا قدِم من سفَر بدأ بالمسجد فَصلَّى فيه ركعتين، ثم يُثَنّي بفاطمة، ثم يأتي أزواجه[٢].

* كان ﷺ رحيماً بالعيال [٣].

* كان ﷺ يأمر نساءه إذا أرادت إحداهُنَّ أن تنامَ أن تحمد ثلاثاً وثلاثين، وتسبّح ثلاثاً وثلاثين، وتكبَر ثلاثاً و ثلاثين[٤].

* كان ﷺ يخيط ثوبَه ويخصفُ نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[٥].

* كان ﷺ يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة[٦].

* كان ﷺ يَقسِمُ بين نسائه فيعدل..[٧].

❖ أدبُه مع أصحابه

* كان ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه، فيجيءُ الغريبُ فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي أن يجعل مجلساً يعرفُه الغريبُ إذا أتاه، فبنينا له دكاناً من طين فكان ﷺ يجلس عليها، ونجلس بجانبيه[٨].

* كان ﷺ إذا جلس، جلس إليه أصحابه حَلَقاً حَلَقاً [٩].

---

(١) عن عائشة، في كتاب صحيح مسلم وغيره.

(٢) عن أبي ثعلبة في كتاب الطبراني في المعجم الكبير، والمستدرك للحاكم.

(٣) عن أنس، في كتاب سنن الطيالسي.

(٤) عن حابس، في كتاب ابن منده.

(٥) عن عائشة وأم سلمة، في كتاب مسند أحمد.

(٦) عن عائشة، في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٧) عن عائشة، في كتاب مسند أحمد والمستدرك للحاكم.

(٨) عن أبي ذر، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(٩) عن قرة بن أياس، في كتاب مسند البزاز.

* كان ﷺ إذا فقَد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زارَه، وإن كان مريضاً عاده [(١)].

* كان ﷺ يتجمل لأصحابه فضلاً عن تَجَمّله لأهله[(٢)].

* كان ﷺ إذا لقي أصحابَه لم يصافحهم حتى يُسلّمَ عليهم[(٣)].

* كان ﷺ إذا لم يحفظ اسم الرجل، قال: يا ابن عبد الله [(٤)].

* كان ﷺ يقسّم لحظاتِه بينَ أصحابه فينظر إلى ذا و ينظر إلى ذا بالسويّة، ولم يبسط رجليه بين أصحابه قط، وإن كان ﷺ ليصافحه الرجلُ فما يتركُ رسولُ الله ﷺ يدَه حتى يكونَ هو التاركُ، فلما فَطِنوا لذلك كان ﷺ الرجلُ إذا صافحَهُ مالَ بيده فنزعَها من يده[(٥)].

* كان ﷺ يداعب و لا يقول إلا حقاً[(٦)].

* كان ﷺ ليَسُرّ الرجلَ من أصحابه إذا رآه مغموماً بالمداعبة، وكان ﷺ يقول: إن الله يبغض المعبِّس في وجه إخوانه[(٧)].

* كنّا إذا جلسنا إليه ﷺ إن أخذنا في حديث الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشرابِ أخَذَ معنا [(٨)].

---

(١) عن أنس، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي ومسند أبي يعلى.

(٢) نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(٣) عن جندب، في كتاب الطبراني في المعجم الكبير.

(٤) عن جارية الأنصاري، الطبراني في المعجم.

(٥) عن الإمام الصادق عليه السلام، في كتاب الكافي للكليني.

(٦) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب مستدرك الوسائل.

(٧) عن علي بن أبي طالب عليه السلام، في كتاب كشف الريبة للشهيد الثاني.

(٨) عن زيد بن ثابت، في كتاب، مكارم الأخلاق للطبرسي.

* كان ﷺ يَستشيرُ أصحابَه ثم يعزمُ على ما يريدُ [١].

* كان ﷺ إذا ودع المؤمنين قال: «زوّدكم الله التقوى ووجّهكم إلى كل خير، وقضى لكم حاجة، وسلّم لكم دينكم ودنياكم وَرَدَّكم إليَّ سالمين» [٢].

❖ أدبُه مع عامة الناس

* كان ﷺ أخفَّ الناس صلاةً على الناس، وأطول الناس صلاةً لنفسه [٣].

* كان ﷺ إذا أتى باب قومٍ لم يستقبل الباب من تلقاءِ وجههِ ولكن من ركنِه الأيمن أو الأيسر ويقول: السلام عليكم [٤].

* كان ﷺ إذا أتاه الرجل وله الاسمُ لا يحبُّهُ [٥].

* كان ﷺ إذا أتاه الفيءُ قسّمه في يومه فأعطى الآهِلَ حظّين وأعطى العَزَبَ حظاً [٦].

* كان ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: بَشِّروا ولا تُنَفِّروا، ويَسِّرُوا ولا تَعَسِّروا [٧].

* كان ﷺ لا يُدفَعُ عنه الناس ولا يُضرَبون عنه [٨].

* كان ﷺ يتخلّف في السير فيزجي الضعيفَ ويردفُ، ويدعُو لهم [١].

---

(١) عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، في كتاب المحاسن للبرقي.

(٢) عن كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق.

(٣) عن أبي واقد، في كتاب مسند أحمد.

(٤) عن عبد الله بن بسر، في كتاب مسند أحمد.

(٥) عن عقبة بن عبد، حوّله (ابن منده)

(٦) عن عوف بن مالك، في كتاب سنن أبي داود.

(٧) عن أبي موسى، في كتاب، سنن أبي داود.

(٨) عن ابن عباس، في كتاب الطبراني في المعجم الكبير.

* كان ﷺ إذا دخلَ على مريض يعوده قال: لا بأس، طهورٌ، إن شاء الله[٢].

* كان ﷺ إذا عطسَ، وَضَعَ يده أو ثوبه على فيه وخفّض بها صوته[٣].

* كان ﷺ إذا صلّى بالناس الغداةَ أقبلَ عليهم بوجهه فقال: هَل فيكم مريضٌ أعودُه ؟ فإن قالوا: لا، قال: فهل فيكم جنازةٌ أتبعها[٤].

* كان ﷺ يحبُّ أن يُدعى الرجل بأحبّ أسمائه إليه وأحبّ كناه[٥].

* كان ﷺ يكرهُ أن يَطَأ أحدٌ عقبَهُ ولكن يمينٌ وشمالٌ[٦].

* كان ﷺ ينزلُ من المنبر يوم الجمعة، فيكلّمُهُ الرجل في الحاجة فيكلّمُه، ثم يتقدمُ إلى مصلاّة فيصلّي [٧].

* كان ﷺ لا يواجهُ أحداً بشيء يكرهُه [٨].

* كان ﷺ لا يدع أحداً يمشي مَعه إذا كان ﷺ راكباً حتى يحمله معه، فإن أبى، قال: تقدَّم أمامي وأدركني في المكان الذي تريد[٩].

* كان ﷺ من رأفته ﷺ لأمّته مداعبته لهم لكيلا يبلغ بأحد منهم التعظيمُ حتى لا يَنظُرَ إليه[١٠].

---

(١) عن جابر، في كتاب، سنن أبي داود والمستدرك للحاكم.

(٢) عن ابن عباس، في كتاب صحيح البخاري.

(٣) عن أبي هريرة، في كتاب سنن أبي داود.

(٤) عن ابن عمر، في كتاب تاريخ ابن عساكر.

(٥) مسند أبي يعلي والطبراني في المعجم الكبير.

(٦) عن حنظلة بن حذيم، في كتاب المستدرك للحاكم.

(٧) عن أنس، في كتاب مسند أحمد.

(٨) عن أنس، في كتاب مسند أحمد والبخاري ومسلم و النسائي.

(٩) نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(١٠) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب كشف الريبة.

❖ أدبُه مع الصبيان

* كان ﷺ يسمع صوتَ الصبي يبكي وهو في الصلاة، فيخفف الصلاة فتصير إليه أُمُّه[١] .

* كان ﷺ إذا أُتِيَ بباكورة الثمرة وضعَها على عينيه ثم على شفتيه، وقال: اللّهم كما أريتَنا أوّلَه فأرِنا آخره، ثم يعطيه مَن يكونُ عنده من الصبيان[٢] .

* كان ﷺ إذا يؤتى بالصغير ليَدعوَ بالبركة أو يسمّيه، فيأخذُه فيضعُه في حجره تكرمةً لأهله فربما بالَ الصبيُ عليه فيصيحُ بعضُ من رآه حين يبول فيقول ﷺ: لا تَزرِمُوا بالصبيّ، فيدعُه حتى يقضي بولَه ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته ويبلغُ سرور أهلِه فيه، ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيّهم، فإذا انصرفوا غَسَلَ ثوبه[٣].

* كان ﷺ أرحمَ الناس بالصبيان والعيال[٤].

* كان ﷺ إذا قدم من سفر تُلقّيَ بصبيان أهل بيته[٥].

* كان ﷺ يزور الأنصار ويسلّم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم[٦].

❖ أدبُه مع الضعفاء

* كان ﷺ آخر كلامه «الصلاة، الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»[٧].

---

(١) عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، في كتاب علل الشرايع.

(٢) عن أنس، في كتاب الطبراني في الكبير.

(٣) نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(٤) عن أنس، في كتاب تاريخ ابن عساكر.

(٥) عن عبد الله بن جعفر، في كتاب مسند أحمد.

(٦) عن أنس، في كتاب سنن النسائي.

(٧) عن علي بن أبي طالب عليه السلام، في كتاب سنن أبي داود وابن ماجه.

* كان ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم[١].

* كان ﷺ يجلس على الأرض ويعتقل الشاة ويجيبُ دعوة المملوك على خبزِ شعير[٢].

* كان ﷺ إذا أكلَ مع القوم طعاماً كان ﷺ أوّلَ من يضعُ يَدَه، وآخرَ من يرفعُها ليأكلَ القومُ[٣].

* كان ﷺ يذبح يوم الأضحى كبشين أحدهما عن نفسه والآخر عمن لم يجد من أمّتِه[٤].

❖ النبي ﷺ في كلام علي عليه السلام

قال الإمام الحسين بن علي عليه السلام سألتُ أبي عن رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام:

* كان ﷺ دخولُه في نفسه مأذوناً في ذلك، فإذا آوى إلى منزله جَزّأ دُخولَه ثلاثة أجزاء جزءاً لله، وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه ثم جزّأ جزءه بينه وبين الناس فيردُّ ذلك بالخاصَّة على العامة، ولا يَدّخر عنهم منه شيئاً.

* وكان ﷺ من سيرته في جزء الأمُّة، إيثار أهل الفضل بأدبه، وقسّمه على قَدَرَ فضلهم في الدين، فمنهم: ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغَلهم فيما أصلَحَهم، والأُمّةَ، من مسألته عنهم، وبإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول: ليبلّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ وأبلغوني حاجةَ من لا يقدرُ على إبلاغ

---

(١) عن سهل بن حنيف، في كتاب مسند أبي يعلي، المعجم الكبير للطبراني.

(٢) عن ابن عباس، في كتاب مكارم الأخلاق.

(٣) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب الكافي للكليني.

(٤) عن عبد الله بن سنان، في كتاب الكافي للكليني.

حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجةَ من لا يقدرُ على إبلاغها ثبّت الله قدمَيْه يوم القيامة، لا يُذكر عنده إلاّ ذلك، ولا يقبل من أحدٍ غيرَه، يدخلون رُوّاداً، ولا يفترقونَ إلاّ عن ذواق ويخرجون أدلّةً.

* كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخزن لسانه إلاّ عمّا كان يعنيه.

ويؤلّفهُم ولا ينفّرهم، ويُكرمُ كريمَ كلِّ قوم ويولّيه عليهم، ويحذَرُ الناس ويحترسُ منهم من غيرِ أن يطوي عن أحدٍ بِشره ولا خُلُقه، ويتفقّد أصحابَه، ويسأل الناسَ عمّا في الناس، ويحسّنُ الحسنَ ويقوّيه، ويقبّحُ القبيحَ ويوهنُه، معتدلَ الأمر غير مختلف فيه، لا يغفَل مخافةَ أن يغفلوا ويميلوا، ولا يقصّرُ عن الحقِ ولا يجوِّزُهُ، الذين يَلُونه من الناسِ خيارُهم، أفضلُهم عنده أعمّهم نصيحةً للمسلمين، وأعظمهُم عنده منزلةً أحسنُهم مواساة ومؤازرة.

* كان صلى الله عليه وآله لا يجلس ولا يقومُ إلاّ على ذكرٍ.

وإذا انتهى إلى قوم، جَلَسَ حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك.

ويعطي كلَّ جلسائه نصيبَه، ولا يحسب أحدٌ من جلسائه أنَّ أحداً أكرمُ عليه منه.

مَن جالسَهُ صابره حتى يكونَ هو المنصرف.

مَن سأله حاجة لم يرجع إلاّ بها، أو ميسورٍ منَ القول.

قد وسع الناسَ منه خُلُقُهُ فصارَ لهم أباً، وصاروا عنده في الخَلق سواء.

مجلسُه مجلسُ حلمٍ وحياءٍ وصدقٍ وأمانةٍ، لا تُرفَعُ عليه الأصوات، ولا تؤبَنُ فيه الحُرَم، ولا تُثَنى فلتاتُه، مُتعادلين، متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبيرَ، ويَرحمون الصَّغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب.

* كان صلى الله عليه وآله دائمَ البشْر، سَهْلَ الخُلُقِ. لَيّنَ الجانب. ليس بفِظٍّ ولا غليظٍ، ولا

ضَحّاك، ولا فحّاشٍ، ولا عَيّابٍ، ولا مَدّاحٍ. يتغافلُ عما لا يشتهي، فلا يـؤيَس منـه، ولا يُخيّبُ فيه مؤمليه. قد ترك نفسَه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومالا يعنيه. وترك الناس من ثلاث.

* كان صلى الله عليه وآله لا يذمُّ أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب عثراتِه ولا عورته، ولا يـتكلم إلاّ فيما رُجِي ثوابَه، إذا تكلم أطرقَ جُلساؤه كأنَّ صلى الله عليه وآله على رؤوسهم الطير، فإذا سـكت سكَتوا. ولا يتَنازعون عنده الحديث. من تكلم أنصَتوا له حتى يفرَغ، حديثهم عنـده حديث أوّلهم. يضحكُ ممّا يضحكون منه. ويتعجـبُ ممّـا يتعجَّبـون منـه. ويـصبرُ للغريب على الجفوة في مسألته ومنطِقه، حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالبَ الحاجة يطلبُها فأرْفِدُوهُ. ولا يقبل الثناء إلاّ مِن مكـافىء. ولا يقطـعُ على أحدٍ كلامَهُ حتى يجوز فيقطعُه بنهيٍ أو قيامٍ.

* كان صلى الله عليه وآله سكوته على أربع: على الحلمِ، والحذرِ، والتقـدير، والتفكيـر، فأمّـا التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين النـاس. وأمّـا تفكّـرهُ ففيمـا يبقـى ويفنـى. وجمع له الحلم والصبرَ فكان صلى الله عليه وآله لا يغضبهُ شيء ولا يستفزُّه. وجمع له الحـذرَ فـي أربع: أخذُه بالحَسَن ليقتدى به، وتركُه القبيح ليُنتهى عنه، واجتهادُه الرأيَ في صلاح أُمَّته، والقيام فيما جمع له خير الدنيا والآخرة[1].

وقال عنه علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً:

* كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض، ويجلس جِلسَة العبد، ويخصفُ بيـدِهِ نَعله، ويرقّع ثوبَه، ويركبُ الحمارَ العاري، ويردفُ خلفه، ويكون الـستر علـى بابـه فيكون عليه التصاويرُ فيقول: يا فلانة –لإحدى زوجاتـه– غيِّبيـه عنّـي، فـإنيّ إذا نَظَرْتُ إليه ذكرتُ الدنيا وزخارفها.

---

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي، إحياء علوم الدين للغزالي، دلائل النبوة لأبي نعيم.

فأعرضَ عن الدنيا بقَلبه، وأمات ذكرَها عن نفسه، وأحبَّ أن تغيب زينتها عــن عينيه لكيلا يتخذ منها ريشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها مــن النفس وأشخصها عن القلب وغيّبها عن البصر[١].

(١) بحار الأنوار ١٦: ٢٨٤.

قبس من تراث رسول الله[1] صلى الله عليه وآله

ألف- خصائص الإسلام:

قال صلى الله عليه وآله: الإسلام يجُبّ ما قبله.

قال صلى الله عليه وآله: الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.

قال صلى الله عليه وآله: الناس في سعة ما لم يعلموا.

قال صلى الله عليه وآله: رفع القلم عن ثلاثة: الصبي والمجنون والنائم.

قال صلى الله عليه وآله: رفع عن أُمتّي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

ب- العلم ومسؤولية العلماء:

قال صلى الله عليه وآله: كل مفت ضامن.

قال صلى الله عليه وآله: من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين.

قال صلى الله عليه وآله: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سببها إلى النار.

قال صلى الله عليه وآله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة.

قال صلى الله عليه وآله: من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.

---

(١) نقلاً عن كتاب محمد المصطفى، خاتم الأنبياء، إعداد: مجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ط- إيـران- قم، بترتيب وعرض جديد وقد استخرجت هذه الكلمات القصار لرسول الله صلى الله عليه وآله من كتـب مجـامع الحديث المعروفة لدى علماء الإسلام.

قال ﷺ: من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار.

قال ﷺ: من أفتى بما لا يعلم لعنته ملائكة السماء والأرض.

قال ﷺ: تعلّموا الفرائض وعلّموها الناس فإنها نصف العلم.

قال ﷺ: إذا ظهرت البدعة فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله.

ج- قواعد عامة للسلوك الإسلامي:

قال ﷺ: لا رهبانية في الإسلام.

قال ﷺ: لا دين لمن لا تقيّة له.

قال ﷺ: إنّما الأعمال بالنّيات.

قال ﷺ: أفضل الأعمال أحمزها.

قال ﷺ: نيّة المرء أبلغ من عمله.

قال ﷺ: في كل أمر مشكل القرعة.

قال ﷺ: من دان بدين قوم لزمه حكمهم.

قال ﷺ: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال ﷺ: لا خير في النوافل إذا أضرّت بالفرائض.

قال ﷺ: من سنّ سُنّة حسنة كان له أجرها وأجر العامل بها إلى يوم القيامة

قال ﷺ: من سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر العامل بها إلى يوم القيامة.

د- خطوط عامة في القضاء:

قال ﷺ: لا يمين إلاّ بالله.

قال ﷺ: ادرؤا الحدود بالشبهات.

قال ﷺ: من قتل دون ماله فهو شهيد.

قال ﷺ: على اليد ما أخذت حتى تؤدّي.

قال ﷺ: الناس مسلّطون على أموالهم.

قال ﷺ: إقرار العقلاء على أنفسهم جائز.

قال ﷺ: البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر.

قال ﷺ: لا يؤاخذ الرجل بجريرة ابنه، ولا ابن بجريرة أبيه.

قال ﷺ: إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران.

هـ- العبادات بمفهومها الأعمّ:

قال ﷺ: كل معروف صدقة.

قال ﷺ: سياحة أمتي الصوم.

قال ﷺ: إنّ عمود الدين الصلاة.

قال ﷺ: خذوا عني مناسككم.

قال ﷺ: صلّوا كما رأيتموني أُصلّي.

قال ﷺ: زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم.

قال ﷺ: زكاة الفطرة على كل ذكر وأنثى.

قال ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً.

قال ﷺ: جنّبوا مساجدكم بيعكم وشراءكم وخصوماتكم.

قال ﷺ: أفضل الجهاد كلمة حق بين يدي سلطان جائر.

و- من نظام الأسرة في الإسلام:

قال ﷺ: المتلاعنان لا يجتمعان أبداً.

قال ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

قال ﷺ: علّموا أولادكم السباحة والرمي.

قال ﷺ: جهاد المرأة حسن التّبعّل لزوجها.

قال ﷺ: من كان عنده صبيّ فليتصابّ له.

قال ﷺ: الرضاع ما أنبت اللحم وشدّ العظم.

قال ﷺ: قذف المحصنة يحبط عمل مئة سخينة.

قال ﷺ: تخيّروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم.

قال ﷺ: النكاح سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.

قال ﷺ: تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة.

قال ﷺ: تزوّجوا ولا تطلّقوا فإنّ الطلاق يهتزّ منه عرش الرحمن

ز- المعاملات والاقتصاد:

قال ﷺ: ابدأ بمن تعول.

قال ﷺ: الفقه ثم المتجر.

قال ﷺ: شرّ المكاسب الرّبا.

قال ﷺ: المسلمون عند شروطهم.

قال ﷺ: على كل ذي كبد حرّى أجر.

قال ﷺ: المسلم أحق بماله أينما وجده.

قال ﷺ: ملعون من ألقى كلّه على النـاس.

قال ﷺ: أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفـّ عرقه.

قال ﷺ: لا ينتفع من الميتة بإهـــــاب ولا عصــب.

قال ﷺ: الوقوف على حسب ما يوقفها أهـــلها.

قال ﷺ: الكفن ثم الدَّيْن ثم الوصية ثـم المـيراث.

قال ﷺ: مطل الموسر المســلم ظلم للمســـلم.

قال ﷺ: البيّعان بالخيـار ما دامـــا فـــي المجلـــس.

قال ﷺ: العبادة سبعة أجـــزاء أفضـــلها طلـــب الحلال.

قال ﷺ: لا يحل مال امرئ مسلم إلاّ عن طيب نفسه منه.

قال ﷺ: الصلح جائز بين المسلمين إلاّ ما أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً.

ح- التعايش الاجتماعي:

قال ﷺ: سباب المؤمن فسوق.

قال ﷺ: حرمة المؤمن ميّتاً كحرمته حيّاً.

قال ﷺ: كرامة الميت تعجيله في التجهيز.

قال ﷺ: ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام.

قال ﷺ: عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب.

قال ﷺ: المؤمنون إخوة ... وهم يد على مَن سواهم.

قال ﷺ: حرّم لباس الذهب على ذكور اُمّتي وحلّ لإناثهم.

ط- من جوامع الكلم[1]:

قال ﷺ: لا عقل كالتدبير.

قال ﷺ: بشّروا ولا تنفّروا.

قال ﷺ: مَن غَشّ غُشّ.

قال ﷺ: الغني غني النفس.

قال ﷺ: من تفاقر افتقر.

قال ﷺ: ما عال من اقتصد

قال ﷺ: المستشار مؤتمن.

---

(١) ثلاثة وستون (٦٣) كلمة بعدد عمر خاتم المرسلين نختم به المناسبات النبوية.

قال ﷺ: بالبرّ يستعبد الحرّ.

قال ﷺ: المجالس بالأمانة.

قال ﷺ: يسّروا ولا تعسّروا.

قال ﷺ: من لا يرحم لا يُرحَم.

قال ﷺ: لا مال أعود من العقل.

قال ﷺ: لا فقر أشـدّ من الجهل.

قال ﷺ: أعجل الشر عقوبة البغي.

قال ﷺ: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابُها.

قال ﷺ: من المروءة إصلاح المال.

قال ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

قال ﷺ: إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن.

قال ﷺ: من أحب قوماً حشر معهم.

قال ﷺ: المسلم مرآة لأخيه المسلم.

قال ﷺ: ما هلك امرؤٌ عرف قدر نفسه.

قال ﷺ: من أذاع فاحشةً كان كمبدئها.

قال ﷺ: استعينوا على أُموركم بالكتمان.

قال ﷺ: من تساوى يوماه فهو مغبون.

قال ﷺ: عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس.

قال ﷺ: إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخـــلاق.

قال ﷺ: المسلم من سلم الناس من أذاه.

قال ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

قال ﷺ: أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ.

قال ﷺ: الأمانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر.

قال ﷺ: المؤمن من أمن الناس من يده ولسانه.

قال ﷺ: من عمل بما علم ورّثه الله ما لم يعلم.

قال ﷺ: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه.

قال ﷺ: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

قال ﷺ: عليك بالجماعة فإن الذئب يأخذ القاصية.

قال ﷺ: عليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا.

قال ﷺ: عُد من لا يعودك، واهد لمن لم يهد إليك.

قال ﷺ: عُد من لا يعودك، واهد لمن لم يهد إليك.

قال ﷺ: من عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه.

قال ﷺ: ليس منّا من غشّ مسلماً أو ضرّه أو ماكره.

قال ﷺ: حُفت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات.

قال ﷺ: من أعان ظالماً على ظلمه سلّطه الله عليه.

قال ﷺ: من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت.

قال ﷺ: من أحبّ عمل قوم أشرك معهم في عملهم.

قال ﷺ: الحكمة ضالة المؤمن. رأس الحكمة مخافة الله.

قال ﷺ: الإيمان نصفان: نصف في الصبر ونصف في الشكر.

قال ﷺ: من أرضى سُلطاناً بما يسخط الله خرج من دين الله.

قال ﷺ: مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش.

قال ﷺ: من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

قال ﷺ: من يصلح ما بينه وبين الله يصلح الله ما بينه وبين الناس.

قال ﷺ: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حق.

قال ﷺ: الأيدي ثلاثة: سائلة ومنفقة وممسكة، فخير الأيادي المنفقة.

قال ﷺ: كن عالماً أو متعلّماً أو مستمعاً أو محبّاً، ولا تكن الخامس فتهلك.

قال ﷺ: جبلت القلوب على: حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

قال ﷺ: ثلاث تقسي القلب: استماع اللهو ، وطلب الصيد وإتيان باب السلطان.

قال ﷺ: شر الناس من باع آخرته بدنياه ، وشرٌ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره.

قال ﷺ: إذا ساد القوم فاسقهم وكان زعيم القوم أذلّهم وأكرم الرجل الفاسق فلينتظر البلاء.

قال ﷺ: عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء ، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار.

قال ﷺ: سادة الناس في الدنيا الأسخياء، سادة الناس في الآخرة الأتقياء. السعيد من وُعظ بغيره.

قال ﷺ: ألا إنّ شرار أُمّتي الذين يكرمون مخافة شرّهم. ألا ومن أكرمه الناس اتّقاء شرّه فليس منيّ.

قال ﷺ: بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك وصحّتك قبل سُقمك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك.

قال ﷺ: ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم على من جهل عليك.

قال ﷺ: حسّنوا أخلاقكم والطفوا بجيرانكم وأكرموا نساءكم تدخلوا الجنة بغير حساب، داووا أمراضكم بالصدقة.

* * *

القسم الثاني:

كلمات
في الوحدة الإسلامية

الفهرس الإجمالي

تمهيد

من الأمور التي كثر الحديث عنها في أيامنا، مسألة الوحدة الإسلامية، والتي تغص المنابر الإعلامية والثقافية بالدعوة لها ومحاولة تثبيتها في فكر الناس، وتجسيدها عملاً بين المسلمين.

ومن المناسب أن نذكر سبل الوحدة ودعائمها التي يمكن للمسلمين استغلالها بشكل كبير ليرتقوا معاً إلى المكان الذي أرادهم الله تعالى أن يكونوا فيه، تمهيداً لذكر كلمات علماء المسلمين حول الوحدة، وهذه السبل باختصار كالتالي:

أولاً: القرآن الكريم:

ليس من الغريب أن يكون القرآن الكريم من أهم مصادر الوحدة الإسلامية، إذ إنه:

١- كتاب المسلمين جميعهم.

٢- هو الجذر الأساس وآياته الكثيرة داعية للوحدة وعدم التنازع والاختلاف.

٣- لم يخاطب مسلماً دون مسلم بل خاطب المسلمين جميعاً على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وقومياتهم وألوانهم.

ومن هنا كانت دعوة النبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام وصحابة رسول الله وجميع علماء الإسلام على مر العصور هو التمسك بالقرآن والعمل به.

ثانياً: شخصية الرسول الأكرم ﷺ:

إن رسول الإسلام وخاتم النبيين ﷺ شخصية تجمع المسلمين بكافة انتماءاتهم وأعراقهم، فهو رسولهم جميعاً، وكلهم متفقون على أنه القائد الأول والملهم، والقدوة والرجل الإلهي الأكمل، وأنه دعا إلى أن يكون المسلمون يداً واحداً في مواجهة أعدائهم وقوى الشر الطامعة.

ثالثاً: الحج والوحدة الإسلامية:

الحج فريضة إلهية لها أبعاد توحيدية كبيرة، وهي مؤتمر كبير يجمع المسلمين من كل الأقطار، وكما يقول الإمام الخميني قدس سره، إنه لا تقدر أي دولة في العالم أن تنظم هكذا مؤتمر حاشد يوحد بين أصحاب المذاهب المختلفة في مناسك متحدة نحو قبلة واحدة وبيت واحد، في طاعة إله واحد مستنين بسنة الرسول الأكرم ﷺ.

لقد تحول الحج عبر العصور المتلاحقة ومن خلال سعي الأعداء إلى فريضة عادية لا تحمل في عمقها الأبعاد السياسية التي أرادها الله تعالى ليستفيد منها المسلمون، وقد نجح العدو لسنين طويلة في أن ينسي الناس هذه الأبعاد العظيمة لهذه الواقعة الهامة والاستثنائية من عبادات المسلمين السياسية.

أدرك الإمام الخميني قدس سره خطر هذه المسألة فحاول أن يعيد إلى الحج بعده السياسي لاسيما بإعلانه أن البراءة من قوى الشرك والكفر العالمية ركن من أركان الحج ولابد أن تؤدى ليكون الحج حجاً حقيقياً.

رابعاً: قضية فلسطين والقدس:

وجه الإمام الخميني قدس سره أنظار المسلمين نحو مشكلة اعتبرها أم المشاكل وأم القضايا بل القضية المركزية الأهم، ألا وهي القضية الفلسطينية، حيث اعتبر الإمام قدس سره أن هذه القضية ليست مجرد صراع حول أرض من أراضي المسلمين بل هي

رمز لمواجهة الاستكبار العالمي للإسلام والمستضعفين فينبغي أن تحتل الحيز الأكبر والمرتبة الأولى من بين قضايا الأمة والشعوب، وكذلك الحكام.

وفي سبيل هذه القضية ولكونها محورية تهم جميع المسلمين، ويمكن لها أن تساهم بشكل كبير في توحيد المسلمين، أعلن ﭬ أخر جمعة من كل رمضان يوم القدس العالمي بعد أشهر قليلة من قيام الجمهورية الإسلامية أي في تموز من العام ١٩٧٩م.

خامساً: العدو المشترك للمسلمين:

لا شك أن العدو المشتركة الذي يواجهه المسلمون من أهم المسائل التي تلزمنا بالاتحاد ونفي الاختلاف، فوحدة العدو يطال الأمة المتشرذمة بشكل أكد كما نراه اليوم في الحروب التي يقوم بها الاستكبار العالمي على البلدان الإسلامية محاولاً الاستفراد بكل بلد منه على حدة ثم ينتقل منه إلى آخر، فإذا اتحدت الأمة وكانت صفاً واحداً شكلت بذلك سداً منيعاً يبعث الرعب في نفوس الأعداء.

وسنحاول من خلال ذكر كلمات بعض العلماء حول الوحدة الإسلامية أن نتعرف على سبل الوحدة ودعائمها المذكورة.

من كلمات الإمام الخميني قدس سره حول الوحدة الإسلامية(١)

تمهيد:

لقد بذل الإمام الخميني قدس سره جهوداً عملية كثيرة وفي شتى الميادين في سبيل إرساء دعائم الوحدة الإسلامية حتى يمكننا أن نقول إنه رائد الوحدة الإسلامية في القرن العشرين وما تلاه، حيث استغل كل فرصة لينبه المسلمين إلى هذا الأمر الذي به خلاصهم من المآسي والنكبات المتلاحقة التي مرت بهم.

إن من أهم الخطوات التي قام بها الإمام الخميني قدس سره في هذا الإطار أنه أحيا الفريضة الميتة في شعائر الحج وهي إعلان البراءة من المشركين وأعداء الله تعالى، ومن ثم وجه أنظار الأمة نحو فلسطين واعتبرها القضية التي تحتل الأولوية لدى المسلمين جميعاً، ومن أجل هذا جعل لها يوم القدس كمناسبة تعني المسلمين جميعهم.

فقد ركز الإمام الخميني قدس سره في الكثير من توجيهاته وخطاباته على مسألة الوحدة الإسلامية، ولم يألُ جهداً في تذكير الأمة دائماً بخطر الاختلاف والتشرذم، حيث يصح القول بحق إن أفضل من دعا إلى الوحدة وكرسها عملاً في حياته وأورثها للأجيال هو الإمام الخميني وهذا ما سيتبين لنا من خلال ذكر مقتطفات من

---

(١) مقتطفات من كلامه حول وحدة المسلمين بمناسبات مختلفة طوال سنين.

كلامه فيما يلي:

* «إن نبي الإسلام المكرّم وفضلاً عن مناقبه المعنوية، وخصاله النورانية، واتصاله بعالم الغيب، وما يتميز به من درجات ومراتب، يعجز الإنسان عن إدراكها، فإنه كبشر وكإنسان، يُعتبر شخصية ممتازة، من الطراز الأول، لا ندَّ لها، ولا نظير».

* إن اختلافنا ـ اليوم ـ يعود بالفائدة على أولئك الذين لا يعتقدون بمذهب الشيعة، ولا بمذهب السنة ولا بأي مذهب آخر بل يعملون على محو هؤلاء وأولئك معاً.

إني لآمل أن تتجاوزوا عوامل التفرقة بقوتكم وبالمدد الإلهي.

الإسلام والقرآن المجيد يتعاملا مع أعداء الإنسانية بالشدة ومع الأقطار الإسلامية بمبدأ الأخوة.

وهذا لا يتحقق إلا برفع اليد عن الخلافات الجزئية القائمة بين الحكومات ويعيشوا أخوة متحابين.

* الأهم والأخطر من الدعوات القومية، العمل على زرع الفرقة بين السنة والشيعة، وبث الدعايات المثيرة للفتنة والعداوة بين الأخوة المسلمين.

إن الثورة الإسلامية لم تشهد ـ بحمد الله تعالى ـ أيّ خلاف بين الطائفتين إذ يعيش الكل بحب وأخوة.

* وليعلم أخوتنا أهل السنة في الأقطار الإسلامية إن العملاء المرتبطين بالقوى الشيطانية الكبرى لا يعملون لخير الإسلام والمسلمين فعليهم أن يتبرؤوا منهم ولا يستمعوا إلى تخرصاتهم التي تبث النفاق.. إني أمد يد الأخوة إلى كل المسلمين.

* ليست الأيدي الملوثة التي توجد الخلاف بين الشيعة والسنة في الأقطار الإسلامية بأيد شيعية أو سنية، وإنما هي أيد استعمارية تعمل على أن تسلبنا الأقطار

الإسلامية واحدة تلو الأخرى.

وليس لنا ـ اليوم ـ إلا الوحدة على أسس رسالية لكل الطبقات كي ننتصر على قوى الشرق والغرب العدوانية ومن ثم تصل ثورتنا الإسلامية إلى النصر، إن الإسلام يأمركم بالوحدة والإتحاد.

* إننا لنشهد ـ مع الأسف ـ أن الخلافات في المناطق خصوصاً في المناطق العربية مكنت إسرائيل بعددها الضئيل أن تقاوم العرب بعددهم الكثير وعددهم الضخم.

* إنا لنرجو ويحدونا الأمل الكبير أن تلتقي كل أصناف الشعوب المستضعفة وتتلاحم، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يمنّ على المسلمين في كل أقطار الدنيا باليقظة والحذر من الفرقة والاختلاف.

* إذا تلاحم المسلمون واتحدوا عادوا قدرة لا تقاومها أية قدرة.

إن علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نعرض الإسلام على واقعه للعالم ثم ننضم إلى حزب واحد هو (حزب الله).

* لو احتفظ المسلمون والحكومات الإسلامية برابطة الأخوة التي أمر بها الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، وحققوها لم تقع أفغانستان مورداً للهجوم ولا فلسطين ولا غيرها من الأماكن الإسلامية.

* على الأخوة الشيعة والسنة أن يتجنبوا أي خلاف بينهم، إن اختلافنا اليوم إنما هو لصالح أولئك الذين لا يعتقدون بمذهب الشيعة ولا بمذهب الحنفية أو سائر الفرق، إنهم لا يريدون أن يبقى هذا أو ذاك، وسبيلهم هو زرع الفرقة بيننا، علينا أن نعي أننا مسلمون جميعاً، وأننا أهل القرآن جميعاً، وأهل التوحيد ونقدم كل ما لدينا من إمكانات.

* يجب على الأخوة السنة والشيعة أن يحافظوا على وحدتهم، إن طرح مسألة

السنة والشيعة يخالف الإسلام، ولا فرق بين السني والشيعي فكلنا مسلمون جميعاً وعلينا أن نجاهد ونكافح في سبيل الإسلام.

* أيها المسلمون في العالم، ويا أتباع دين التوحيد، إن سرّ كل المشاكل في الأقطار الإسلامية هو اختلاف الكلمة وعدم التنسيق، وإن رمز الانتصار هو وحدة الكلمة والانسجام.

من كلمات الإمام الخامنئي دام ظله حول الوحدة الإسلامية

الوحدة الإسلامية ضرورة ملحة لمواجهة الأعداء[1]

* اليوم ذكرى مولد نبي الإسلام المكرم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وكذلك ذكرى المولد المبارك للإمام جعفر الصادق (عليه الصلاة والسلام)، واليوم في الحقيقة عيد كبير للأمة الإسلامية.

* بمناسبة احتفالنا وتكريمنا لشخصية نبي الإسلام المكرم صلى الله عليه وآله لدينا نحن المسلمون الكثير من الكلام مما ينبغي إن نتحادث به ونتداوله ونتباحث فيه فيما بيننا لأن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله كان معلماً لجميع المحاسن ومعلم العدالة والإنسانية والمعرفة والأخوة، ومعلّم الرقي والتكامل والتطور المتواصل للبشر حتى نهاية التأريخ. انّى للإنسان أن يتصور زمناً يكون في غنىً عن هذه الدروس النفيسة؟، إن البشرية اليوم تحتاج كما في أي وقت مضى إلى دروس وتعليم نبي الإسلام.

* ما أُريد التحدث عنه اليوم أمام هذا الحشد من نخب وطلائع الأمة الإسلامية هي الوحدة والاتحاد بين المسلمين، فالعالم الإسلامي والأمة الإسلامية يواجهان

---

(١) مقتطفات من كلمة سماحة الإمام القائد بمناسبة ولادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله التي ألقاها في طهران بتاريخ ١٧ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق ٦-٥-٢٠٠٤م، بحضور ضيوف من الدول الإسلامية وحشد من المسؤولين.

اليوم مصائب عظمى. صحيح إن الكثير من هذه المصائب ناجمة من داخلنا نحن المسلمين، فنحن الذين قصرنا وتقاعسنا، وبسبب الأنانية وحب الدنيا لم نسلك طريق الأمة الإسلامية نحو ذرى التكامل الإنساني، فلابد أن نؤوب ونتوب وننطلق، ولكن ليس من شك إن جانباً كبيراً من هذا التخلف وهذه المصائب والمشاكل نجم خلال العهود الأخيرة من التأريخ عن الأنظمة العالمية الباطلة في ماضيه وحاضره، فالنظام العالمي نظام سلطوي يعتمد على القوة وهو ليس نظام الحياة الإنسانية وإنما نظام حياة الغاب.

* لقد آن الأوان لأن يعيد العالم الإسلامي حساباته ويفكر بجدية بقضية الوحدة، فالخطر الأمريكي اليوم لا يستهدف بلداً أو بلدين في المنطقة بل هو يستهدف الجميع، وان خطر الرأسماليين الصهاينة الذين يقفون وراء الجهاز الحاكم في أمريكا لا يكتفي بابتلاع قسم من منطقتنا بل أنه يريد ابتلاع المنطقة بأسرها وهذا ما يتفوهون به اليوم بكل صراحة وليس لمشروع الشرق الأوسط الكبير معنىً سوى ذلك، فمنذ بضع وخمسين سنة حيث أقيمت الدويلة الصهيونية الغاصبة ومنذ ما يقرب من مائة عام حيث تبلورت هذه الفكرة لدى المحافل الغربية والأوروبية كانت النية في إن يبتلعوا هذه المنطقة ويستحوذوا عليها لأنها ضرورية بالنسبة إليهم ولا أهمية لشعوب هذه المنطقة لديهم.

* إن الجميع معرضون للخطر، وعندما يكون الجميع عرضة للخطر فان أكثر الطرق عقلانية هو إن يفكر الجميع ويضعون يداً بيد، وان وصيتنا ومناشدتنا الجادة للحكومات والشعوب الإسلامية هي أن نفكر بهذا الموضوع ونعمل من أجله وهو يحتاج إلى جهود ومقدمات، فلابد من توفير مقدماته، وبطبيعة الحال إن العدو لا يجلس عاطلاً إذ سيلجأ إلى أدواته القديمة التي تثير الفرقة فيستغل الحزازيات

القومية والدينية والطائفية وتضخيم الأمور التي أكد الإسلام على عدم أهميتها، فلقد أكد الإسلام على إن القوميات ليست ملاكاً للتمييز والهوية ﴿**إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ الله أَتْقَاكُمْ**﴾[(١)] وأكد الإسلام على أن يتعامل الأخوة المسلمون فيما بينهم تعاملاً أخوياً، فلم يقل إن الإخوة هم من كانوا على المذهب السني أو الشيعي أو غيرهما من المذاهب بل قال: ﴿**إِنّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[(٢)]، فكل من يؤمن بهذا الكتاب وهذا القرآن وبهذا الدين وبهذه القبلة فهو مؤمن، وهؤلاء إخوة فيما بينهم، هذا ما قاله لنا الإسلام.

* لقد كانت أهم الكلمات التي يتحدث بها ويؤكد عليها أمامنا العظيم قدس سره قبل انتصار الثورة وحتى آخر أيام حياته هي وحدة الأمة الإسلامية واتحاد المسلمين وعدم تضخيم الذرائع الواهية، وها نحن اليوم نرى وندرك أنها كانت وصية حكيمة وصائبة جداً.

ضرورة الوحدة بين المسلمين والتقريب بين المذاهب[(٣)]

* إن قضيتنا الأولى في العالم الإسلامي هي (وحدة الأمة الإسلامية)، أن كثيراً من مشاكلنا ستزول إذا استطعنا التغلب على كيد العدو وإحباط خطته الرامية إلى بث الخلاف.

* إن العالم الإسلامي بعدد سكانه البالغ ١/٥ مليار نسمة، وما يمتلكه من إمكانيات هائلة مناخية وجغرافية وطبيعية وإنسانية، وثروات منقطعة النظير، بإمكانه

---

(١) الحجرات: الآية ١٣.

(٢) الحجرات: الآية ١٠.

(٣) مقتطفات من كلمة الإمام الخامنئي لدى استقباله المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلامية (يوم ١٣٨٥/٥/٣٠ هـ ش، الموافق ٢٦ رجب ١٤٢٧ هـ ق).

أن يشكل كتلة متّحدة عظيمة، منذ أكثر من مائتي عام، وتملأ جيوب الاستعمار الغربي من خيرات هذه المنطقة باستمرار، لقد ظلت هذه المنطقة في خدمة الأهداف السياسية للعالم الاستكباري الذي تترأسه اليوم أمريكا، سواء خلال العهد الاستعماري أو في عهد الاستعمار الجديد، أو خلال العصر الحديث، فلو حققت الأمة الإسلامية وحدتها، وأظهرت القوة الإسلامية نفسها بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، وتحقق الاستقلال الإسلامي ـ الاستقلال الحقيقي ـ في هذه المناطق بالمعنى الحقيقي للكلمة، لانتهت هيمنة العدو الاقتصادية والسياسية والثقافية، إن هؤلاء لا يرضون بذلك، ويبذلون قصارى جهدهم كي لا يتحقق ذلك، والطريق الذي وجدوه لهم في هذا الصدد، هو بث الخلاف – هذا الداء الذي قد تسرب إلى جسد عالمنا الإسلامي.

* إننا لا نقصد من الوحدة الإسلامية أن تصبح العقائد والمذاهب الإسلامية واحدة، إن ساحة مواجهة المذاهب والعقائد الإسلامية والعقائد الكلامية والآراء الفقهية هي ساحة علمية – فإن لكل طائفة عقائدها وستبقى كذلك – الساحة ساحة المناقشات الكلامية، ويمكن لاختلاف الآراء الفقهية والكلامية أن لا يكون له أي تأثير في ساحة الحياة الواقعية أو في الساحة السياسية، الذي نقصده من وحدة العالم الإسلامي هو عدم التنازع: (ولا تنازعوا فتفشلوا) أي يجب ألا يكون هناك تنازع ولا خلافات.

* إن الطاغوت الأكبر في عالمنا اليوم يتمثل في نظام الولايات المتحدة الأمريكية لأنها قد جاءت بالصهيونية وهي التي تدعمها، إن أمريكا هي خليفة للطاغوت الأكبر السابق أي بريطانيا، إن عدوان نظام الولايات المتحدة وأعوانها وأقرانها في التفكير، قد وضع العالم الإسلامي في ظروف صعبة، إن العالم الإسلامي

يرزح تحت وطأت ضغط أمريكا وأعوانها ومن يفكرون تفكيرها، فخلال هذا العدوان الصهيوني الذي طال لبنان مؤخراً، والذي أسفر عن هذه الملحمة الإسلامية الكبرى التي سطرها حز بالله، حيث نزل على هذه الجماعة النصر الإلهي، لم تكتف الولايات المتحدة بدعم الصهاينة على المستوى الكلامي والمالي والسياسي، بل دخلت ساحة الحرب بصراحة، فقد أعدت السلاح للكيان الصهيوني وأرسلته له وقدمت له المساعدة، والواقع أن الأمريكان هم الذين أرادوا هذه الحرب، وهم الذين بدءوها، إن الأمريكان هم اليوم الطاغوت الأكبر.

* إن هذه الجماهير المليونية التي ترونها في الدول الإسلامية، لهي قدرة هائلة لحجة الله تعالى علينا، فيما حصل في لبنان من انتصار سافر لحزب الله كمصداق لقوله تعالى: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[1]، أتمّ الله تعالى حجته علينا، لا شك أن أعداء الإسلام قد أنكروا قوة الجماهير وأفقدوا السياسيين الإيمان بمقدرات شعوبها، ونحن نرى بأن من أكبر فضائل الإمام الراحل هي أنه وعى واكتشف قدرة الشعب واستثمرها، وأنه وضع ثقته في الشعب.

* لابد من معرفة قوة الشعب فهي قوة هائلة، وإن إنزال هذه القوة إلى الساحة بحاجة إلى همة رفيعة وعزيمة قوية وإخلاص ومجاهدة، فإذا دخل الشعب الساحة واقترب ساسة الدول وقادتها إلى الجماهير المليونية لشعوبها، فإنه لن تقدر أي قوة على الوقوف بوجههم، ولن يؤثر أي تهديد عليهم، ولا شك أن الإنسان لن يصل إلى شيء بدون الجهاد وبدون تحمل الصعاب، فعلى أمتنا الإسلامية أن تتحمل الصعاب والمشاكل، حتى تتمكن من تحقيق أهدافها السامية، هذه هي الواجبات الهامة التي نواجهها اليوم في عالمنا الإسلامي.

---

(١) البقرة: الآية ٢٤٩.

* إننا نمد يد الإخاء إلى جميع الأمة الإسلامية.. إلى جميع قادة الفكر والسياسة في العالم الإسلام، راجين منهم العمل على تمتين هذه الصلة الأخوية أكثر فأكثر، آملين أن يُلج صدور العالم الإسلامي بمزيد من الانتصارات في مختلف المجالات، إن شاء الله.

كلمات ثلاثة للسيد مجتبى الحسيني حول الوحدة

الكلمة الأولى: أدب الحوار بين المذاهب الإسلامية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، وتمام عدة المرسلين محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأبرار المنتجبين، ومن اتبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

قال الله تعالى في كتابه الحكيم:

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[2].

في البداية أرحب بالسادة العلماء، والأساتذة الكرام، وأشكرهم على تلبيتهم حضور هذا اللقاء، سائلاً العلي القدير أن يجعله لخير الأمة وصلاحها.

وبعد:

مما لا ريب فيه أن الله تعالى قد خلق الإنسان مفطوراً على الاجتماع، بمعنى

---

(١) الكلمة التي ألقاها سماحة السيد مجتبى الحسيني في اللقاء الإسلامي العلمائي الأول في ربيع المولود ١٤٢٥هـ في دمشق فندق سفير السيدة زينب عليها السلام، بمناسبة أسبوع الوحدة.

(٢) آل عمران: الآية ١٠٣.

أن التعايش مع الآخرين من صميم وجوده، فهو لا يستطيع أن يدير شؤونه وقضاياه بمعزل عن الآخرين، ومن دون مساعدتهم ومعونتهم، سواءً في شؤونه المادية أو المعنوية، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1].

فقد بيّن تعالى أن التآلف القبائلي، والاجتماع الشعبي فضل من فضله ومنّة من مننه على الإنسان.

كما أن الله تبارك وتعالى أقدره على التكلم والنطق والبيان ليقيم كل فرد علاقاته مع أفراد نوعه، وينسج ارتباطاته بهم بأساليب المحادثة وطرق البيان، والتي هي أفضل طريق وأنجع أسلوب لإيجاد المودة، والتواصل والترابط.

وبهذه النعمة الإلهية العظمى وجد الحوار الذي فيه التكامل، والتطور بين أفراد الإنسان، وبواسطته انتقلت الثقافات والأفكار والعلوم بين المجتمعات المختلفة، ومن الواضح بمكان أنه كلما اتصف الحوار بينهم بالأدب، وتجلببت محادثاتهم بالخُلق الحسن، كلما كانت علاقاتهم فيما بينهم حسنة، وهذا بدوره يدفع عجلة التطور بينهم في كافة مناحي الحياة، ومختلف مجالاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها.

ميادين الحوار وسعة الأفق:

إن لغة الحوار تشغل مساحة كبيرة في الحياة البشرية، فكل مجال من مجالات الحياة يحتاج إلى الحوار بين المهتمين به، فالحياة الاقتصادية تحتاج إلى الحوار كأهم ركن في عملية التطور الاقتصادي في المجتمع، وهكذا الحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية وغيرها، بل يمكننا القول: أن كل ما يطوّر الحياة البشرية، ويوصلها إلى كمالها المنشود لا يمكن أن يحقق غاياته إلا بإضفاء لغة الحوار على

---

(١) الحجرات: الآية ١٣.

مفرداته وقوانينه.

الحوار الديني والمذهبي:

ومن أهم ميادين الحوار في حياة الفرد والمجتمع هو الحوار في الثقافة الدينية والمذهبية، فبه يتعرف الإنسان على عقائد الآخرين وطقوسهم، ويتقارب مع نظرائه في وجهات نظرهم، كما يتعرّف من خلاله على نقاط الالتقاء والاشتراك فيعمّقها، ويتعرّف على نقاط الاختلاف فيؤطرها، أو إذا أمكن إلغائها وتقريب وجهات النظر فيها، سعياً في ذلك كله للوصول إلى التوحد والتآلف الديني والمذهبي.

وقد تُصنّف المذاهب بلحاظ الاعتقاد، وما يحرر في علم الكلام، فتقسم المذاهب على ضوءه إلى الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية وغيرها، وقد يصنف بلحاظ الفقه ومرجعياته فيقسم إلى الحنفية والشافعية والمالكية، والحنابلة والإمامية، والزيدية والإسماعيلية، والسلفية وغيرها، مع ما في ذلك من الالتقاء في مجالي الكلام والفقه.

وعلى أي حال فقد يلتقي المسلمون في حوارهم على أحد هذين المجالين، وقد يلتقوا على كليهما، والاستطراد في بيان موارد الحوار خارج عن مبتغانا.

لأن ما أريد بحثه هو الموضوع الذي اختير لي في هذه المناسبة العظيمة، وهو أدب الحوار بين المذاهب الإسلامية، وهو موضوع يحتاج الاستيعاب فيه إلى مجال واسع، لأن له أهميته البالغة، ولا بد من الاعتناء الكثير بهذه الآداب والاهتمام بإحرازها حتى تكون لغة الحوار ناجحة ومثمرة، ومفيدة في حياة الإنسان؛ سعياً للوصول إلى التقارب الفكري، والتناغم المبدئي، والتحابب القلبي، وتجنب سلبياته التي من شأنها تعقيم الحوار، وإلغاء دوره في توحيد الأمة الإسلامية وتأليفها.

أدب الحوار المذهبي:

اسمحوا لي أن أقدم بين أيديكم بعض هذه الآداب التي من شأنها أن تطور

الأفكار، وتلاقحها للوصول إلى هدفنا المنشود، قدر ما يسع المجال لذلك.

الأول: نية الإصلاح في الحوار: ينبغي للمتحاورين أن يكون الدافع لهم نحو الحوار والتباحث الوصول إلى الإصلاح، وتوطيد الحق وتثبيت دعائمه؛ بعيداً عن المراء والظفر، وإخضاع الطرف الآخر والظهور عليه، تأسياً بالأنبياء (عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام)، حيث أنهم قد أعلنوا هدفهم الكبير من تحاورهم مع أممهم وأقوامهم، بما حكاه الله تعالىعنهم في كتابه العزيز: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلاّ بِاللهِ**﴾[1]، فلم يكن حوارهم لغاية الإفحام والظهور والغلبة، أضف إلى ذلك أن هناك في أحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام نواهي مغلظة عن الحوار بلغة الجدل والتفاخر والظفر، فعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «**من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوء مقعده من النار**»[2].

الثاني: اختصاص المتحاورين في موضوع الحوار: لا بد لكي يكون الحوار نافعاً ومنتجاً أن يكون المتحاورون على درجة كبيرة، ومتميزة في العلم بما يتحاور به، وبخواصه، وجزئياته وملازماته، بحيث يمثّل كل واحد منهم المذهب الذي يحاور لأجله، ويدافع عنه، ولا يحق لمن ليس له هذا المستوى من المعرفة أن يحاور ويناقش، وإلا يفقد الحوار حيويته، وقد ندد القرآن الكريم بأولئك الذين يخوضون الحوار على غير علم ودراية، فقال تبارك وتعالى: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَاجّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**﴾[3]، وقال أيضاً:

---

(١) هود: الآية ٨٨.

(٢) الكافي ١: ٤٧ ح١.

(٣) آل عمران: الآية ٦٦.

﴿**وِمنَ النّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مّنِيرٍ**﴾[١].

الثالث: تجنب الحوار مع المتطرفين: ينبغي أن يضفي على المتحاورين الاعتدال والاتزان في طرح مواد الحوار، وترك التعصب الفئوي أو المذهبي أو العاطفي تجاه الفكرة المتحاور فيها، فإن التعصب الأعمى للفكرة لا يزد الحوار إلا عقماً، ولا الاختلاف إلاّ فرقة، كما أن المحاور المتعصب لا يقنع بالحق ولو رآه بأم عينه، قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلّهُ اللهُ عَلَىَ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىَ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىَ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكّرُونَ**﴾[٢].

الرابع: تناسب موضوع الحوار مع الوقت المحدد: مما تجدر الإشارة إليه؛ أنه من المهم جداً أن يحدد موضوع الحوار بما يتناسب مع سعة الوقت المحدد له، كيما يصل المتحاورون إلى نتيجة واضحة، وإلا فتعاطي الحوار المفتوح على سائر الموضوعات الخلافية، أو في موضوع لا يسع الوقت المخصص له، يفوّت فرصة الوصول إلى نتيجة واضحة الأبعاد والمعالم، كما يوجب اختلاط الأوراق، وعلوق الكثير من التساؤلات والشبهات.

الخامس: ترك الحوار في المواضيع المعقدة: من آداب الحوار المهمة عدم الخوض في النقاط المعقدة، التي لا يتمكن المتحاورين فيها من الوصول إلى نتيجة مقنعة لهم جميعاً، كما أنه يلزم الاحتراز عن الانجرار إليها أثناء التحاور في سائر الموضوعات الأخرى، لأن الحوار في هذه النقاط، والدخول في تفصيلاتها لا يزيد الأمر إلا فرقة واختلافاً، بعدما كان الهدف من الحوار هو الألفة والتوحيد.

نعم من الممكن الانفتاح على تعقيدات كثيرة بالمرور على مواضيع ومقدمات متعددة، ومن ثم إجراء الحوار السليم حولها، غير أن الأمور مرهونة بأوقاتها.

---

(١) الحج: الآية ٨.

(٢) الجاثية: الآية ٢٣.

السادس: أن تكون المشتركات منطلق الحوار: ومما ينبغي الالتفات إليه أن يكون منطلق الحوار والشعلة الأولى لإنارته القضايا المشتركة بين المسلمين،والمتفق عليها في مذاهبهم، فهي الرابط الوثيق بين الأطراف، وكعبة فكرهم، ومحطّ ألفتهم ومحبتهم، وهي المعين الصافي الذي ينهل منه كل واحد منهم، ومن هنا فإن الله تبارك وتعالى يأمر نبيه محمد صلى الله عليه وآله أن ينطلق في حواره مع أهل الكتاب بالنقطة المشتركة فيما بينه وبينهم، وبالموضوع المتسالم عليه في فكره وفكرهم، وهو التوحيد، فيقول تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ يَأَهْلَ الْكتَابِ تَعَالَوْاْ إلَىَ كَلَمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إلاّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مّن دُونِ اللهِ**﴾[1].

السابع: استخدام المصطلحات الفاضلة: من أمهات الأدب في التحاور والتباحث أن يستعمل المتحاورون فيما بينهم المصطلحات الحسنة، والكلمات الفاضلة في إدارة آلية الحوار، التي تظهر الاحترام والتقدير والتكريم مهما حمي وطيس النقاش، كما ينبغي عزل التعبيرات والكلمات التي تظهر الإهانة والتذليل، ولو بأسلوب الكناية والتلميح، فهذا أمير الكلام والبيان علي بن أبي طالب عليه السلام لما سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين قال لهم: «**إني لأكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم، اللهم احقنا دمائنا ودمائهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به**»[2].

الثامن: سيادة الحرية على الحوار: إن سيادة الحرية في ميادين الحوار أمر في

---

(١) آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢٠٦.

غاية الأهمية، إذ من الضروري جداً أن يحاور كل طرف بكامل حريته الفكرية والنفسية والجسدية، فلا يشعر بضغط، أو غلق أو تهديد في نفسٍ أو عرضٍ أو مالٍ، كما يلزم حجب كل ما من شأنه قمع الحريات حتى على مستوى التشجيع والتصويب لأحد الأطراف، لأجل منع الآخر عن إبداء ما لديه، كما يحصل في ميادين لعب الكرة حيث يوجد لكل فريق من يهتف باسمه ويشجعه؛ بغية هدم معنويات الفريق الآخر، وسلب روحيته وحيويته، فإن الحوار في الأدب الإسلامي والعلمي ليس منافسة بين الأفكار، بل هو مفاهمة ومفاعلة بينها، لأن المتحاورين لا يقفون موقف التخاصم والتنازع، بل يقفون موقف التعانق والتعاون، وليس لديهم هدف إلا الوصول إلى الحق والحقيقة، ليشتركوا جميعاً في إحيائها، والعمل وفقها.

التاسع: بناء الحوار على المصادر المعتمدة: من ضروريات الحوار أن يعتمد كل طرف على المصادر المعتمدة عند الطرف الآخر، والتي يعتبرها تمثّل - دائماً أو غالباً - ما يقتنع به، ويؤمن بحقيقته، وترك الاعتماد على ما ألف وكُتب عليه، أو على المسموعات والإشاعات، فإن المنصف والمتحضّر من يأخذ فكر الآخرين ومعتقداتهم من مصادرهم لا ممن كتب عليهم.

وهذه النقطة جديرة بالاهتمام، إذ لعل فرصة الحوار تمر وتنفد على إثبات ما قيل أو نفيه.

العاشر: قبول توجيهات المعتقدات: من آداب الحوار أن يقبل كل طرف من الآخر ما يذكره من تفسير، أو توجيه حول معتقده وفكره، إذا كان توجيهاً موضوعياً نوعياً، وتفسيراً منطقياً، ولا ينبغي رفضه منه، ولا أن يحمّل كل واحد منهم الطرف الآخر ما فهمه عنه، وما استنتجه من أفكاره ونظرياته، لأننا إنما نريد من الحوار تلك التوجيهات المعقولة، والمقبولة لعامة المسلمين ليزداد رصيد المتفقات المنتجة للتقارب والتوحيد.

الحادي عشر: ترك المؤاخذة على لوازم العقيدة: قد تكون لبعض المعتقدات،

أو الأفكار التي يؤمن بها طرف من أطراف الحوار ملازمات عقلية مرفوضة عنده إلا أنه غير ملتفت إليها، و قد يكون ملتفت إليها إلا أنه لا يؤمن بها، فمن اللازم على الطرف الآخر عدم مؤاخذته عليها، وترك التلاوم بها، حتى لا تتحول إلى مثار جدل واسع بينهم، فتلتغي فائدة الحوار وتبهت حيويته.

الثاني عشر: ترك مؤاخذة المذهب على الأفكار الشخصية: قد ينظّر البعض نظريات خاصة شخصية دفاعاً عن مذهبه أو رداً على بعض ما أشكل عليه، وقد تحمل هذه النظريات أخطاءاً معينة، فينبغي عدم تحميلها لمذهبه، وترك ملامة هذا المذهب بها، ما دامت لا تعدو أن تكون اجتهادات اقتراحية من ذلك البعض، بل ينبغي التحاور على ضوء الإطار العام المقبول عند جميع أبناء ذلك المذهب، وبما يعتبرونه ديناً لهم.

الثالث عشر: عدم طلب التنازل عن المسلمّات عند الطرف الآخر: ومن أدب الحوار الهامة أن لا يطلب أحد الأطراف من الآخرين التنازل عما هو مسلّم عندهم من المعتقدات، فإن من شأن ذلك خنق الحوار، ووصوله إلى سلب الحرية في الاعتقاد، بل على كل طرف أن يلقي ما لديه من الحجج والبراهين، وعلى ذلك الطرف مسؤولية درك ذلك، ليقرر بشأن ذلك المسلّم عنده، سواء بقي على معتقده به أو أقلع عنه.

الرابع عشر: ابتناء الحوار على الأصول الموضوعية: مما تجدر الإشارة إليه أيضاً أنه لا ينبغي جعل الأمور الغير مقومة للمذهب مقوماً له في لغة الحوار، بل ينبغي ابتناء الحوار على الأصول الموضوعية عند كل طرف، وما يعتقدون أنه مقوّم لمذهبهم، وترك التحاور والجدال على مفردة لا يعتبرها الطرف الآخر مقوّماً، وأصل من أصول معتقداته، ذلك لكي نشغل الحوار في القضايا الهامة؛ بعيداً على الجزئيات التي لا طائل من الحوار فيها، ولا ثمرة من الاختلاف فيها.

هذه جملة من الآداب التي ينبغي أن يعيش الحوار في ظلها، ويلزم على

المتحاورين أخذها بعين الاعتبار، لكي يكون الحوار ناجعاً ونافعاً، ويعود بالخير والصلاح، والمحبة والألفة على المسلمين جميعاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

وعلى صحبه الأخيار المنتجبين

الكلمة الثانية: دور الحوار في وحدة الأمة[1]

محاور البحث

١- تمهيد

٢- أهمية الحوار

٣- أسس الحوار الإسلامي الناجح.

٤- من آليات الحوار الإسلامي الناجح.

---

(١) الكلمة التي ألقاها سماحة السيد مجتبى الحسيني في اللقاء الإسلامي العلمائي الثاني في ربيع المولود ١٤٢٦هـ في دمشق فندق سفير السيدة زينب عليها السلام، بمناسبة أسبوع الوحدة.

تمهيد

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

العلماءُ الأفاضلُ، السادةُ الحضورُ:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد، قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم وقرآنه العظيم:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[١].

في البداية، يطيب لي أن أتقدّم من العلماء الأفاضل والأساتذة المفكّرين، بأحرّ التهاني والتبريكات بمناسبة ميلاد أفضل الخلق وخاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ وكذلك ميلاد حفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام، والأيام السعيدة التي أعلنها الإمام الراحل قدس سره أسبوعاً للوحدة الإسلامية.

كما أودّ أن أتوجّه بالشكر إلى كافة الإخوة الحضور، لتلبيتهم دعوتنا إلى هذا اللقاء الذي يعتبر الثاني في سلسلة اللقاءات العلمائية، والذي نسأل الباري عز وجل أن يوفّقنا لإقامتها في المستقبل، لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

---

(١) الزمر: الآيتين ١٧-١٨.

ولا أنسى في هذا السياق توجيه الشكر إلى زملائي الأفاضل في المكتب الذين قاموا بالتحضير لهذا اللقاء المبارك، وما بذلوه من جهود مشكورة في سبيل انعقاده، فجزاهم الله خير الجزاء.

عندما تقرَّر أن تكون لي كلمة في هذا الحفل الكريم، رأيت من المناسب أن يكون موضوع حديثي استمراراً للحديث الذي ألقيته في لقاء العام الماضي والذي كان بعنوان (أدب الحوار بين المذاهب الإسلامية)، فاخترت للقاء هذا العام عنواناً وهو **(دور الحوار في وحدة الأمة)**، سائلاً المولى القدير أن يساهم هذا الموضوع في إثراء فقرات البرنامج بما هو مفيد ونافع.

والحوار الذي نحن بصدد الحديث عنه، والتركيز على أهميته ودوره، هو الحوار الجاد السليم البنّاء، لأنه، مع الأسف الشديد، نرى في كثير من الأحيان أن مفهوم الحوار قد تعرّض لتشويه كبير، حيث أُريدَ له، ولأغراض خبيثة، أن يتحوّل إلى نوع من الجدل العقيم، والمهاترات الفارغة، وتبادل الاتهامات وهي أقرب إلى الصراع منه إلى الحوار.

وهنا، لابدّ من الإشارة إلى الدور الذي تلعبه بعض وسائل الإعلام ولاسيما الفضائيات المأجورة في هذا المجال، فقد تحوّل كثير منها إلى مصدر خطير لإثارة الغرائز الطائفية والأحقاد المذهبية، وكأن (الحوار) اقتصر على تبادل التهم ورمي الشتائم والسباب، في مشهد يؤذي العين والقلب والأذن وهو بعيدٌ كلّ البعد عن تعاليم الإسلام وآدابه في الحوار، بل هي في شكل من الأشكال سلاح خطير في يد الدوائر الاستكبارية هدفها إشعال الفتن بين المسلمين، من خلال استضافة بعض المتشدّدين والمتطرّفين، البعيدين كلّ البعد عن روح الموضوعية والبحث العلمي.

وفي المقابل، تخرج علينا برامج حوارية ولقاءات تقتصر فقط على تبادل

تعبيـرات لا تتجـاوز حـدود المجاملـة والكلمـات المنمّقـة والألفـاظ الخاليـة مـن المضامين والبعيدة عن واقع الأمة الإسلامية الراهن وما تتعرّض له من أخطار، وكأنّ القائمين على مثل تلك البرامج يعيشون في كوكب آخر.

إذاً، ما نريد التركيز عليه في حديثنا هذا، هو الحوار الجادّ الموضـوعي المثمـر البنّاء، والذي أشرنا إلى آدابه خلال لقاء العام الفائت.

أهمية الحــوار

(من منظور إنساني ـ إسلامي)

لا ريب أن الإنسان اجتماعي بطبعه، وهو بحاجة للتواصل مع الآخرين، لتلبيـة حاجاته واستمرار حياته، مع ملاحظة أن ذلك الآخـر مختلـف عنـه فـي كثيـر مـن النواحي والأبعاد، سواء الدينية أو الفكرية أو الثقافية أو غيرها.

وبالتالي، فعلى الإنسان أن يتقبل هذا الاختلاف كظاهرة طبيعية.

يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَـىَ وَجَعَلْنَـاكُمْ شُـعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1].

– وهنا تبرز أهمية الحوار كأداة هامة في التواصل والتعارف.

وقد اكتسب الحوار في التـراث الإسـلامي مكانـةً عاليـةً، إذ يكفـي أن نتأمّـل الآيات القرآنية الكريمة، لنعلم أن الحوار كان من أهمّ أساليب الأنبيـاء فـي التبليـغ، ليس مع أتباعهم فحسب بل مع المعارضين لهم أيضاً، ولنأخذ علـى سـبيل المثـال نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة محاجّته الحوارية، حيث يقول تعالى:

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِي حَآجّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْـرَاهِيمُ رَبّـيَ**

(١) الحجرات: الآية ١٣.

الّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنّ اللهَ يَـأْتِي بِالـشّمْسِ مِـنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ﴾(١).

وكذلك نبي الله موسى عليه السلام في حواراته المتعددة مع بني إسرائيل.

ـ فرسالة الأنبياء لم تنتشر بالقوة والسيف، بل عبر الحوار والمناقشة.

ـ ولعلّ أوضح مثال على ذلك دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله حيث بقي في مكة ثـلاث عشرة سنة، يدعوهم إلى الإسـلام مـستخدماً معهـم كـل أنـواع الحـوار والمناقـشة والجدال دون كلل أو ملل، وعلى نفس النهج سار الأئمة الأطهار من أهل بيته عليهم السلام.

إذاً، فالحوار ميزة تدلّ على رقيّ في خُلُق الإنسان وسلوكه، وكم نحن بحاجـة إلى أن يسود هذا المنهجُ في حلّ قضايا الأمّة الإسلامية، دون اللجـوء إلـى أسـاليب العنف والهجوم، فضلاً عن المقاطعة وسوء الظن التي لا تمتّ إلى الإنـسانية بـصلة، فضلاً عن بعدها عن تعاليم القرآن الكريم.

ومن فوائد الحوار الأخرى أنّها تسلّط الضوء على نقـاط الـضعف التـي تعـاني منها الأمة، والناشئة من سوء الظن أو الفهم، والتي يمكن أن تتسرّب منها الفتنة إلـى جسم الأمّة، ويعطينا التاريخ أمثلة كثيرة على ذلك، فكم من مواقِفَ مُتَشَنِّجةٍ تبـدّلت وتحوّلت إلى علاقة مودة وأُخُوَّة عندما التقى طرفا الحوار.

وهو مصداق قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَـسْتَوِي الْحَـسَنَةُ وَلاَ الـسّيّئَةُ ادْفَـعْ بِـالّتِي هِـيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنّهُ وَلِيّ حَمِيمٌ﴾**(٢).

وقد ظلّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام يسيرون على هذا الـنهج، ومـن يقرأ سير أولئك العظماء، يجدها مليئة بتلك المواقف المشرّفة.

---

(١) البقرة: الآية ٢٥٨.

(٢) فصلت: الآية ٣٤.

فقد روى المبرّد وغيره موقفاً مشرّفاً من سيرة سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسن عليه السلام أنه مرّ به شخص وجعل يسبّه ويشتمه حتى أنهى كلامه بكل ما فيه من صلف وفظاظة، فعند ذاك سلّم عليه الإمام الحسن عليه السلام وابتسم إليه وتكلّم معه بأسلوب هادئ، ينمّ عن سماحة وكرم متجاهلاً كلَّ ما سمع وما رأى، وقال:

«**أيّها الشيخ، أظنك غريباً ولعلّك شبّهت، فلو أنك سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حَرَّكْتَ رَحْلَكَ إلينا وكنت ضيفاً إلى وقت ارتحالك كان أعوَدَ عليك لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً**» فلمّا سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

- هذا هو الحوار الذي علَّمَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام أن نتّخذه أسلوب حياة على كافة المستويات، سواءٌ الاجتماعية منها أو الفكرية أو السياسية أو الاقتصادية، فهي وسيلتنا لتحقيق أهدافنا وحفظ كرامتنا.

أسس الحوار الإسلامي الناجح

يؤكّد القرآن الكريم على محورية التعارف بين فئات البشر، باعتباره أساساً مهماً للعلاقات فيما بينهم، يقول تعالى:

﴿يَا أَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

---

(١) الأنوار البهيّة: ٣٩.

(٢) الحجرات: الآية ١٣.

ولنجاح أي حوار لابدّ من ممارسته في إطار منهج سليم وأسس متينة يوافق عليها ويرتضيها أطراف ذلك الحوار، من خلال التركيز على نقاط الاشتراك والاتفاق، وقد أوصانا القرآن الكريم بتبنّي هذا الأسلوب عند الحوار مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى بقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلَمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾[1].

فالأولى بنا، نحن أتباعَ الدين الواحد، أن نسعى لإيجاد أسس قوية ومتينة نستند عليها في إقامة أي حوار، حتى نخرجَ بنتائجَ إيجابية ومثمرة تخدم الإسلام والمسلمين.

ورغم تعدّد المدارس الفكرية والمذاهب الفقهية والتوجهات السياسية ضمن الأمة الإسلامية، فإن ما يجمع أبناءها أكثرَ مِمّا يُفرِّقُها ولله الفضلُ والمنّةُ في ذلك، فالرب واحد والنبي واحد والقرآن واحد والقبلة واحدة.. ، وعلى هذه المحاور نبني أسس الحوار الإسلامي، والتي ترتكز على ما يلي:

١- اتفاق المسلمين على الأمر الجامع والموحّد بينهم:

والذي يتمثل بالحقائق التالية وهي:

أن الله واحد وحكمه العادل في الناس واحد، وكلٌّ عباده سواسيةٌ عنده، وأنّ رسوله الخاتم هو المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، وأن كتابه المنزل ومعجزته الخالدة هو القرآن الكريم، وغيرها من الحقائق التي لا يختلف عليها المسلمون بمختلف مذاهبهم، والتي أجمع المسلمون على الإيمان بها، والالتزام بها طوالَ العصور.

٢- وجود المذاهب الإسلامية ضمن الدين الواحد ظاهرة طبيعية:

إن الاختلاف في وجهات النظر بين الناس، أمرٌ طبيعيٌ في شؤون البشر، وقد

---

(١) آل عمران: الآية ٦٤.

أشار إليه القرآن الكريم بقوله:

﴿**وَلَوْ شَآءَ رَبّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾[١].

بل إن تعدّد الآراء بين علماء الأمة دليل على حيويتها، فلا يجب أن نعتبر وجودَ المذاهب الفقهية المختلفة تمزقاً في الإسلام، بل هو منسجم وطبيعةَ اختلاف الأفهام والمدارك والرؤى ضمن الإطار الجامع الواحد.

٣- الرجوع إلى أهل الاختصاص:

يجب أن يكون المرجع في فهم منهج كل مذهب ومدرسة فقهية، هم أئمةَ وعلماءَ المذهب نفسه، كما قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[٢].

وبالتالي لا يجوز الحكم على أي مذهب أو فرقة بناءً على تفاصيل غامضة أو مصادر مجهولة، بل الأساس في ذلك كله هو أهل الاختصاص والمصادر المعتبرة عند كل مذهب.

٤- الاختلاف في الآراء لا يلازم العداء بين أصحابها:

إن عدم الوصول إلى رأي مشترك في قضية معينة، لا يعني الشقاق والخلاف، واللجوء إلى التكفير والعنف، بل يجب تبنّي أسلوب الاعتدال والابتعاد عن التطرّف والمواقف الحادّة والمتعصّبة، مع الحفاظ على كرامة المتحاورين واحترام آرائهم، حيث قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السّيّئَةُ ادْفَعْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنّهُ وَلِيّ حَمِيمٌ**﴾[٣].

- تلك كانت بعضَ الأسس الضرورية لقيام حوار ناجح بنّاء، ولا بأس بإضافة

---

(١) يونس: الآية ١١٨.

(٢) النحل: الآية ٤٣.

(٣) فصلت: الآية ٣٤.

غيرها من الأسس، إذا كانت مما يُجمِعُ عليه المسلمون.

من آليات الحوار الإسلامي الناجح

لترسيخ وحدة الأمة

لقد تَعَلّمْنا من تجارب التاريخ، أنه لا يكفي أن تكون أهدافُك وغاياتُك نبيلةً، حتى تنال مرادك ومبتغاك، بل يجب أن تتبنى أساليب ووسائل ملائمة تنسجم ونُبْلَ تلك الأهداف والغايات، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، عندما وصف رسولهَ الكريمَ محمداً ﷺ حيث قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾[1].

فمن هذا المنطلق يجب علينا أن نبحث عن آليات للحوار الناجح، والذي يؤدي إلى وحدة الأمة والتقريب بين مختلف اتجاهاتها الفكرية والمذهبية والفقهية، والتي سنستعرض بعضاً من أهمِّها فيما يلي:

١- الفهم الصحيح للطرف الآخر:

كثير من المشاكل التي يعاني منها المسلمون في عصرنا الحاضر والعصور الماضية، كان ناتجاً عن عدم الفهم الصحيح للطرف الآخر وأفكاره مما يؤدي إلى علاقات متوتّرة.

إذاً، كيف ينبغي أن نفهم الآخر بشكل صحيح؟

إن الخطوة الأولى على هذا الطريق هو السعي إلى التعرف على الطرف الآخر للحوار عن كَثَبٍ دون واسطة، لأن قراءة الآخرين عبر الوسائط لا توفّر للشخص صورة واضحة دقيقة، لأن الوسيط قد لا يكون محايداً، فيتأثّر نقلهُ بموقفه المنحاز

---

(١) آل عمران: الآية ١٥٩.

وقد تكون معلوماتُهُ ناقصةً أو مصادِرُهُ غيرَ موثوقةٍ، أو استنتاجاتُهُ غيرَ صائبةٍ... إلى ما هنالك من احتمالات.

فما دام الطرف الآخر، موجوداً ومستعداً للحوار، فما هو المبرِّر للّجوء إلى الوسائط الأخرى، والإصرار على أخذ صورته من الغير؟

ومن هنا، تتضح أهمية اختيار شخصيات الحوار بما يناسب مقامَهُمُ العلميَّ وسيرتَهُمُ الخُلُقيةَ العاليةَ وبما يناسب قدرَتُهُمْ على التغيّر في حال بلوغ الهدف من الحوار.

ولعلّ من الجدير ذكْرَه هنا، ونحن في رحاب أسبوع الوحدة الإسلامية، أن نستذكر موقفاً رائعاً للإمام الخميني الراحل قدس سره، يتطرّق فيه إلى هذا المعنى في رسالته الشهيرة إلى الزعيم السوفياتي السابق غورباتشوف، حيث يقول فيها:

«فإذا أردتم الاطّلاع على مباحث هذا العظيم (ويقصد به محيي الدين بن عربي)، فيمكنكم أن تختاروا عدداً من خبرائكم ـ من الأذكياء الذين لهم باعٌ طويل في أمثال هذه المباحث ـ وترسلوهم إلى قم ـ ليتعرَّفوا ـ بالتوكل على الله وبعد عدة سنين على العمق الحسّاس والدقيق غايَةَ الدقة لمنازل المعرفة، ومحالٌ بدون هذا السفر الوصول إلى هذه المعرفة..».

فكم من نُقُولاتٍ عن هذا المذهب أو تلك الطائفة، قد تكون فِرْيةً واتهاماً لا أساس لها من الصحة، ولكنها تُتَداوَلُ بين الناس كمسلَّمات ثابتة.

وإذا كان هناك خلافٌ فإنما هو خلاف لفظيّ وليس في المضمون، وحتى ما فيه خلافٌ في المضمون فإنه يُمكن، بعد البحث الدقيق وتبادل وجهات النظر بين علماء الفريقين، الوصولُ إلى نقاط اتّفاقٍ كثيرةٍ، فالخلاف في المضمون ليس موجباً للتباعد كما يُتراءى.

فإنه لا ينبغي أن يكون هذا الخلاف موجباً للتباغض والعداء، وسنشير إلى نماذج من هذه المسائل ليتضّحَ مدى تأثير معرفتها الواقعية في التقارب والتآلف بين أتباع المذاهب الإسلامية، وإزالة الالتباس وسوء الفهم فيما بينهم.

أ- مسألة البداء:

حيث يظنّ بعض العوامّ من إخواننا السنة أن الشيعة يذهبون إلى أن الله تعالى يندم عمّا عزمه، فينصرف عنه، تعالى الله عن ذلك عُلوّاً كبيراً.

إن مفهوم البِداء من وجهة نظر الشيعة هو مختلفٌ كُلّياً عن ذلك الظنّ السابق المغلوط، فقد ألّف علماء الشيعة في الردّ على تلك الظنون كُتباً كثيرة، حيث يرى الشيعة أن البِداء هو بمعنى الإِبداء أي أن هنالك أموراً خفيّةً على البشر لا يعلمها إلا الله عزّ وجل بعلمه الأزلي فيُبديها وقد تعلَّقت إرادته بإنجازها منذ الأزل، وهو ما يعترف به السُّنةُ أيضاً.

ب - مسألة التقية:

حيث يوصم المسلمون الشيعة بها وكأنها نقيصة، في مرتبة النفاق، ولكن الحقيقة في المسألة، أن النفاق هو إبطان الباطل وإظهار الحق، على نقيض التقية تماماً، فهي إبطان الحق وإظهار الباطل، في سبيل حماية الحق وأهله دون أن يمسَّ ذلك أصل الدين. وهذا المبدأ ليس بدعةً شيعيةً كما يُظنّ، بل هو مستخرج من القرآن الكريم، ويستفاد هذا المصطلح أيضاً من الأحاديث الشريفة المروية في موسوعات الفريقين.

وهذا المبدأ نجد مضمونَه أيضاً ضمن مصطلحات أخرى في فقه السنة من قبيل: (الكذب للمصلحة)، (المداراة مع الآخرين) - (التورية).

ومفهوم (ممارسة التقية) المأخوذ به من الثقافة الإسلامية الشيعية، ينقسم إلى

قسمين:

أ- ممارسة التقية في حالات الخوف والشدة لحفظ النفس والمال والعرض، وهو ما نراه في فقه السنة أيضاً تحت عناوين متعددة من قبيل جواز الكتمان والكذب لحفظ النفس.

ب- ممارسة التقية كوسيلة مهمّة في حفظ المودّة والألفة بين أبناء المجتمع الإسلامي وتُسمى (التقية المداراتية) وهي ليست إلا نوعاً من حُسن العشرة مع الآخرين فيما لا يمسُّ أصل الدين، فمن يطالع الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ والمعصومين الأطهار عليهم السلام، يُلاحظ ممارسةَ هذا القسم من التقية كوسيلة لحفظ وحدة المسلمين ورصّ صفوفهم، وصون نظام المجتمع الإسلامي، ونأتي هنا بنموذجٍ لهذا القسم من التقيّة من خلال أحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام، حيث نجد فيها تأكيداً منهم على وحدة الصف الإسلامي وتماسك مجتمعه من خلال حُسن المعاشرة والتعامل الطيب مع إخوانهم من المذاهب الأخرى، ومن هذه الأحاديث، ما رواه عبد الله بن سنان، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**أوصيكم بتقوى الله... عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم واشهدوا لهم وعليهم وصلوا معهم في مساجدهم**»[1].

وفي حديث آخر: «**من صلّى معهم في الصفّ الأول كان كمن صلّى خلف رسول الله ﷺ في الصف الأول**»[2]

وفي هذه الأحاديث ردٌّ واضح وصريح على التشكيكات الواردة في حقّ الشيعة ودورِهم في تماسك المجتمعات التي يعيشون فيها، وقد أثبتت تجارب

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، الجزء الثامن، أبواب صلاة الجماعة، باب ٥، حديث ٨، ص٣٠١.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، الجزء الثامن، أبواب صلاة الجماعة، باب ٥، حديث ١، ص٢٩٩.

التاريخ أن الشيعة كانوا من أحرص الناس على حفظ نظام المجتمع الـذي يعيـشون فيه والدفاع عنه في حال تعرضت بيضة الإسلام للخطر.

ج – مسألة ولاية الأمر:

حيث يظنّ بعض عوامّ الشيعة أن أهل السنة يقولون بشرعية كلٍّ من تولّى أمـرَ المسلمين بغضّ النظر عن حاله سواءً كان فاسقاً فاجراً أو كـان عالمـاً عـادلاً تقيـاً، ولكن في الحقيقة يحتاج الأمر إلى فهـم دقيـق، حيـث نلاحـظ مـن خـلال قـراءة بحوثهم وآرائهم، أن قولهم هذا من لزوم الخضوع للحكم الجائر، إنما هو من بـاب تقديم الأهم على المهمّ، وذلك لمصلحة حفظ نظام المجتمع ونفوس أبنائه ودمائهم وأعراضهم، وهو مصداق من مصاديق التقية التي يأخذ بها المسلمون الشيعة، والتـي أشرنا إليها سابقاً.

والحقيقة في الأمر أنّ كثيراً من الشرائط التي يجب توفُّرُها في الحاكم الذي هو الولي الفقيه من وجهة نظر الشيعة، تتّفق مع الشرائط التي يراها إخواننـا الـسنّة فـي الحاكم الشرعي (الحكومة الشرعية).

وعليه، فلا يجب أن تؤخذ هذه المسألة بأكثر من بُعدِها هذا، وإلاّ فهو نوع من تبرير الأعمال غير الشرعية والجائرة، وهو بعيد كُلَّ البعد عن الإسلام وتعاليمه، ومن يُراجع كُتب إخواننا السُّنة في مباحـث الإمـارة والأحكـام الـسلطانية يُلاحِـظُ ذلـك التقارب بين الفريقين في هذه المسألة بكل وضوح، ومنها قول الإمام الجزيري فـي كتابه (الفقه على المذاهب الأربعة):

«إنهم اتفقوا على أن الإمام يشترط فيه أن يكون مسلماً مكلّفاً حراً ذكراً قرشـياً عدلاً عالماً مجتهداً شجاعاً ذا رأي صائب سليم السمع والبصر والظن»[1].

---

(١) أعلمية الفقيه ودورها في الإفتاء والولاية، سيد مجتبى الحسيني.

وبالتالي فإن علماء السنّة متفقون على أنه لا يحقّ لمن لم تتوفر فيه هذه الشرائط أن يقوم بشؤون الحكم، ولكن لو تغلّب على الحكم من لم تتوفّر فيه هذه الشرائط فهناك من يقول بلزوم اتّباعِه مطلقاً، ومنهم من يقول بلزوم اتّباعِه إذا لم يناقض الشرعِ، ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوعِ إلى الكتب المختصة في هذا المجال[1].

ومن المسائل الأخرى الجديرة بالنقاش لرفع سوء الفهم المتبادل بين الفريقين: مسألة (رؤية الله عز وجل)، حيث نجدُ من خلال مطالعة الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الواردة في كتب الفريقين أنّ السنّة والشيعة اتفقوا على مسألة الرؤية، ولكن إخواننا السنة أخذوا الرؤية بظاهرها وأكثرهم أنكر التجسيم والجهة والتحيّز لله عز وجل، فقالوا: نعترف بالرؤية البصرية ولكن بلا كيف، كما قالوا بكثير من الصفات فسموها بالصفات الخبرية.

أما الشيعة فقد أوّلوا النصوص الواردة في الرؤية وفسّروها إمّا: بمعنى النظر إلى ثواب الله ونعيمه ولقاء رحمته، أو أوّلوها بالرؤية القلبية التي تكون أوضح وأظهر منها، كما جاء في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما سأله ذعلب اليماني قائلاً: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: «**أفأعبد ما لا أرى؟**»

فقال ذعلب: وكيف تراه؟

فقال عليه السلام: «**لا تُدرِكهُ العيونُ بمشاهدة العِيان، ولكن تُدرِكهُ القُلوبُ بحقائقِ الإِيمانِ، قريبٌ من الأشياء غيرُ مُلامِسٍ، بَعيدٌ مِنْها غيَرُ مُبَاينٍ، مُتَكلِّمٌ لا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لا**

---

(١) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي وأبي يعلى ص ٦ و٢٠، وشرح المواقف ٨: ٢٤٩، وكذلك كتاب نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ٢٢٢.

بِهِمَّة، صانِعٌ لا بِجَارِحَة، لَطِيفٌ لا يُوصَفُ بالخَفاء، كَبِيرٌ لا يُوصَفُ بالجَفَاء، بَصِيرٌ لا يُوصفُ بالحاسَّة، رَحِيمٌ لا يُوصَفُ بالرِّقَّة، تَعْنُو الوُجُوهُ لِعَظَمَتِه، وَتَجِبُ القلوبُ من مخافَتِه»[١].

وعليه، نرى أن منظور الفريقين في هذه المسألة متقاربٌ، ولكنْ عدمُ الاطلاع الدقيق لأحد الفريقين على وجهات النظر الحقيقية للفريق الآخر أدّى إلى خلق تصوّرات غير دقيقة حول أفكار الفريقين أحدُهما تجاه الآخر، فنجد أن بعض الشيعة يظنّون أنّ السُّنة يعتقدون برؤية الله البصرية بجميع ملزوماتها من تجسيم وجهة وتحيّز وغير ذلك كما أنّ بعض السُّنة يزعمون أن الشيعة لا تعترف بتلك النصوص الكثيرة التي جاء فيها معنى الرؤية التي ذكرناها آنفاً وما إلى ذلك، ولهذه الأمثلة من سوء الفهم المتبادل نظائر كثيرة في باب الكلام أو الفقه ولكن يحتاج الأمر إلى جلوس علماء الطرفين مع بعضهم لرفع نقاط الالتباس علماً أنّه بعد المطالعة الدقيقة لوجهات نظر الفريقين يتضّح أنّ نقاط الاتفاق بينهما في هذه المسائل أكثر من نقاط الخلاف، ومن هنا تبرزُ أهميّة هذه اللقاءات العلمائية الإسلامية لتقريب وجهات النظر بين الفريقين.

٢- التحلي بروح الموضوعية:

ونعني بذلك أن يكون الحوار هادفاً للوصول إلى نتيجة إيجابية، من خلال تسليط الضوء على نقاط الاختلاف، ورفع الإشكالات والشبهات عن نقاط الغموض، وذلك بأسلوب علمي موضوعي يفيد جميعَ أطراف الحوار وبالتالي تفيد الأمة الإسلامية جمعاء.

ولا يتم ذلك إلا من خلال معرفة الآخر كما هو على حقيقته، دون ميل أو

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٩.

انحياز مسبق، ويأتي ذلك من خلال حسن الظّن المتبادل.

فكم من حوارات فشلت بسبب سوء الظن والتشكيك وإساءة التفسير لرأي الآخر وسلوكه، وقد نهى الباري عز وجل عن سوء الظن، بقوله: ﴿**يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مّنَ الظّنّ إِنّ بَعْضَ الظّنّ إِثْمٌ**﴾[1].

كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تظنّنّ بكلمة خرجت من أحد سوءً وأنت تجد لها في الخير محتملاً**»[2].

ويعطينا القرآن الكريم درساً في التزام الموضوعية وتجنب التعميم الخاطئ، حيث يتحدث عن ظاهرة كانت لدى بعض يهود يثرب من عدم الالتزام بحرمة أموال الآخرين، فيشير القرآن الكريم إلى أن عدم الوفاء بالأمانة المالية ليست سمة عامّة لجميع اليهود، بل هو ممارسة لقسم منهم، يقول تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاّ يُؤَدّهِ إِلَيْكَ إِلاّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً**﴾[3]، فانظروا إلى الأسلوب القرآني في التعامل مع الآخر، فعلى الرغم ممّا يحمله هؤلاء اليهود من حقد وعداوة للمسلمين وما يرتكبونه بحقهم من اعتداءات مستمرة، فإن القرآن الكريم لا يعمّهم بحكم الخيانة، وهذا هو أقصى درجات الموضوعية.

ومن هذا المنطلق، فيجب علينا أن نتوخّى الحرص والحذر في إصدار أحكامنا، فلا نعمّم الاتهام على طائفة بكاملها بسبب خطأ ارتكبته قلّة قليلة تدّعي الانتماء إليها، وخصوصاً في هذه الظروف العصيبة التي تمرّ بها أمتنا الإسلامية،

---

(١) الحجرات: الآية ١٢.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٣٥٩.

(٣) آل عمران: الآية ٧٥.

فعدم التعاطي السليم مع مثل هذه القضايا خطير جداً، لِمالَهُ من تأثير علـى تماسـك المجتمع واستقراره.

وفي هذا الإطار، ننقل ما قاله الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، وهو من كبـار علماء السنة، حيث يشير إلى بعض المواقف المتشنّجة التي يتبناها المتشدّدون تجاه المسلمين الشيعة: «.. حكيت لأحد المتشدّدين مواقفَ لبعض الشيعة، رأيـت فيهـا الصدق والاستقامة والاعتدال والإخلاص، فما كان مـن هـذا الأخ إلا أن قـال: هـذا فَعَلَهُ تقيَّةً! فالتقية جزء من تكوين الشيعة الديني؟!

وذكرت لمتشدّد آخر: أنّ العلماء في إيران عندما زرتهم قدّموني لأصلّي بهـم إماماً، وأنا في دارهم، فقال: هذا من باب التقيـة! فقلـت: ومـا الـداعي إلـى التقيـة، ولست ممّن يُرجى ويُخشى، ولم أطلب هذا ولم أتوقعه؟، والتقيـة إنّمـا يقـوم بهـا الضعيف، وبعد نجاح الثورة الإسلامية، وإقامة الجمهورية الإسلامية في إيران أصبح القوم أقوياء.

إنّ حمل كلّ عمل طيب، أو تصرّف صالح مـن الـشيعة، علـى أنّـه مـن بـاب (التقية) هو ضرب من سوء الظنّ، لا مبّرر ولا داعي له»[1]، وهذا الموقف الذي يُشير إليه الشيخ هو من موارد (التقيّة المداراتية) التي أشرنا إليها سابقاً، وهـذه الممارسـة للتقية تعتبر من مواطن الفخر والاعتزاز ورمزٌ هامٌّ من رموز الوحدة الإسلامية التي لا تتحاشى الشيعة عن ممارسته لأنها مُحَبَّذَةٌ عقلاً وأخلاقاً، فأمّا من الناحيـة العُقلائيـة فإن جميع المسلمين يأخذون بهذه الممارسة لحفظ الـنفس والنفـيس فـي ظـروف الشدّة والخطر والحرج مع اختلافهم في تحديـد العنـاوين اللفظيـة لهـا، وأمـا مـن

(١) مبادئ في الحوار والتقريب بـين المـذاهب الإسـلامية، يوسـف القرضـاوي، مـؤتمر التقريـب بـين المذاهب الإسلامية وأثره في تحقيق وحدة الأمة، البحرين.

الناحية الأخلاقية فهي ممارسة أخلاقية اجتماعية راقية تحمل أسمى درجات الانفتاح على الآخر والحرص على التحابُبِ والتوادُدِ، ممّا يعني الحفاظَ على تماسك المجتمع الإسلامي وتكافله.

٣- ترسيخ ثقافة الوحدة الإسلامية على كافة المستويات:

لا ريب أن ترسيخ مثل هذه الثقافة، يَتَطلَّبُ من الجميع أفراداً وجماعات ممارسةَ دورها بكل مسؤولية، كلٌّ من موقعه وبالطريقة التي يراها مناسبةً ومتناغمةً مع تعاليم القرآن والسنة الشريفة، ولا شكّ أن مثل هذه الغاية تستأهل تلك الجهود الهائلة التي ستُبذَل، لأن مستقبل الأمة الإسلامية متوقف عليها.

وانطلاقاً من إدراكها لهذه المسؤولية الكبيرة، جاء إعلان الجمهورية الإسلامية الإيرانية لأسبوع الوحدة في ذكرى مولد الرسول الأعظم محمدﷺ المتزامن مع مولد حفيده الإمام الصادقعليه السلام، كخطوةٍ هامّةٍ في طريق التضامن والوحدة الإسلامية، لسدّ الطريق أمام محاولات الأعداء المغرضة ومؤامراتهم الخبيثة لبثّ الفتنة بين صفوف المسلمين، وإضعاف الأمّة الإسلامية، ولا زال النهج مستمراً تحت قيادة ولي أمر المسلمين الإمام الخامنئي دام ظله.

ويأتي هذا اللقاء المبارك من ثمرات تلك الجهود المخلصة المباركة لترسيخ ثقافة الوحدة الإسلامية عبر الحوار والنقاش الجادّ والسليم. سائلين المولى القدير أن يوفقنا لما فيه كل خير للإسلام والمسلمين.

﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) التوبة: الآية ١٠٥.

الكلمة الثالثة: دور علماء الدين في مواجهة:

الفكر التكفيري - إهانة المقدسات - الفتنة الطائفية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم المصطفى محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين وأصحابه المنتجبين.

ينعقد الملتقى العلمائيّ الإسلاميّ الثالث تحت شعار

دور علماء الدّين في مواجهة تحديات:

(١- الفكر التكفيريّ ٢- إهانة المقدسات. ٣- الفتنة الطائفيّة).

- ويكتسب هذا الملتقى، هذا العام، طابعاً مميّزاً من خلال إعلان الإمام الخامنئيّ دام ظله بتخصيص هذه السنة باسم الرسول الأعظم ﷺ لاستلهام الدّروس منه ﷺ ومن سيرته العطرة في شتّى مجالات الحياة.

حيث قال سماحته: «**إنّ الأمّة الإسلاميّة، والبشريّة كافّةً، هي بحاجةٍ إلى النبيّ الأكرم ﷺ أكثر من أيّ وقتٍ مضى، لتلقّي دروس الأخلاق والرّحمة والكرامة**

(١) الكلمة التي ألقاها سماحة السيد مجتبى الحسيني في اللقاء الإسلامي العلمائي الثالث في ربيع المولود ١٤٢٧هـ في دمشق فندق سفير السيدة زينب عليها السلام، بمناسبة أسبوع الوحدة.

والجهاد والمقاومة وطلب العلم والقوّة والعزّة من ذلك النبيّ العظيمصلى الله عليه وآله».

وقد جاءت مظاهرات الاحتجاج والتنديد التي انتشرت في كافّة المدن والمناطق التي يتواجد فيها المسلمون، في شتّى أرجاء المعمورة، تعبيراً صادقاً عن أصالة الوحدة وروح التضامن بين المسلمين، كما كانت إحدى بشائر الخير على الصّحوة الإسلاميّة، التي أخذت تشقّ طريقها إلى قلوب وعقول أبناء الأمة، الذين رأوا باعتقادٍ راسخٍ أنّ الإسلام المحمّديّ الأصيل هو الحلّ، وما الانتصار المدوّي لحركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات الفلسطينية الأخيرة، بعد تحرير غزّة من دنس الاحتلال الصهيونيّ البغيض، إلاّ أحد مظاهر تلك الصّحوة، كما جاءتْ نتائج الانتخابات البرلمانيّة المصريّة لصالح الحركة الإسلامية محطّةً أخرى على هذا الطريق، ونفس الأمر يتحقّق في العراق وأفغانستان.

– أما قمّة الانتصارات، فقد أتتْ من الجمهوريّة الإسلاميّة، عبْر إعلان الرئيس أحمدي نجاد، دخول الجمهوريّة الإسلاميّة إلى النادي النوويّ، للأغراض السلمية، ممّا شكّل صفْعةً قويّةً وضرْبةً موجعةً للاستكبار العالميّ والصهيونيّة البغيضة ومنْ يلوذ بهما.

– إن ذلك النصر النوويّ الإسلاميّ الخالص على يد العلماء والخبراء من أبناء الجمهوريّة الإسلاميّة، أعْطى نموذجاً يحْتذى به لتأثير الإسلام المحمّديّ الأصيل في تقوية الأمّة وصمودها، وهو ما حمل لواءه الإمام الخمينيّ قدس سره، وتسلّمه سماحة وليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئيّ دام ظله بكلّ أمانة وإخلاصٍ.

فالالتزام بتعاليم ذلك الدين الأصيل، يغْني المسلمين عن أيّ مساعدةٍ من أيّة جهةٍ من الجهات الغربيّة أو الشّرقيّة، وقدْ عبّر الإمام القائد عن ذلك أمسٍ، في المؤتمر الدوليّ للقدس ودعم حقوق الشّعب الفلسطينيّ حيث قال:

«**لقد عاد شعار حاكميّة الإسلام يحتلّ المرتبة الأولى بين الشّباب والجامعيّين والمثقفين في هذه الأقطار، وعادت إيران الإسلاميّة ـ وهي التي تطرح وتنفّذ فكْرة (سيادة الشّعب في الإطار الدّينيّ)ـ تقوى وتتقدّم يوماً بعد يوم.**

كما عاد الإسلام المحمديّ الأصيل ـ الذي اعتبره الإمام الخمينيّ ﵀ منزّهاً عن الانحراف والجمود والتحجّر ـ يمْتدّ في الساحات السّياسية لكثيرٍ من الأقطار، ويعمّق جذوره في شرق العالم الإسلاميّ وغربه».

- إنّ تلك الانتصارات العظيمة تفرض على الأمّة الإسلاميّة تحدّياتٍ عديدةً خارجيةً وداخليةً، سواءٌ في المجالات العسكريّة عبْر تهديدات الاستكبار والصهيونية بالاعتداء العسكريّ، ممّا يستدعي الإعداد الجادّ في هذا المجال، وكذلك في المجالات الاقتصادية، من خلال التهديدات بفرض العقوبات الاقتصادية، كما جرى مؤخراً بحق الشعب الفلسطيني، مما ينبغي الأخذ بعين الاعتبار مسألة الاكتفاء الذاتيّ والتكافل بين الدول الإسلامية حتى لا تتبع قوى الاستكبار في غذائها ودوائها.

ولكنّ أخطر تلك التّحديات يكمن في المجال الثقافيّ والفكريّ، ولاسيّما في ظلّ التطوّر الهائل لوسائل الإعلام، التي يستغلّها الاستكبار والصهيونية وأياديهم الخبيثة لضرب الأمّة وأبنائها، ومن أهم تلك الأساليب المغرضة:

١- إفساد شباب الأمّة عبْر نشر الأفلام الخليعة والصّور الإباحية، وإلهائهم عن قضايا الأمة الأساسية كفلسطين والعراق، وإشغالهمْ بأخبار المطربين والمطربات والمغنّين والمغنيّات وإقامة مسابقاتٍ وبرامج فنيّةٍ هابطةٍ في هذا المجال.

٢- إضعاف الثقافة الدينيّة لدى الشباب المسلم، من خلال زعزعة الثّقة بقدرة الإسلام على حلّ المشاكل المعاصرة، باتّهامه بالقصور وعدم مجاراة العصر، بل

والهجوم مضمون الإسلام بالادعاء أنّه لا يلبي حاجات العصر، ودمج القيم المستوردة في الإسلام التي هي صناعة الأهواء والاجتهادات الجريئة على الكتاب والسنة.

٣- وصْم الإسلام والمسلمين بالتّخلّف والهمجيّة، ونشر تلك الثّقافة المغرضة وترويجها في عقول الشباب المسلمة، حتى ينكروا أصلهم وثقافتهمْ ويغْرقوا في الثّقافة الغربيّة، لتسهيل سيطرة الاستكبار والصّهيونية على الأمّة.

٤- إثارة الفتن الطائفية والمذهبية، عبر بثّ الدّعايات المغرضة ونشر الأقراص المدمجة، للتهجّم على طائفة معينة، كما تلعب بعض الفضائيات دوراً مغرضاً وخبيثاً في هذا المجال من خلال إفساحٍ المجال لبعض المتطرّفين لعرض آرائهمْ التي لا تعبّر إلاّ عن أنفسهم، ساعين للفساد والإفساد في أرض المسلمين وخلق الفرقة بينهم.

٥- تشجيع النّعرات القوميّة في الدول الإسلاميّة، لخرق النّسيج الوطنيّ فيها، بغية تسلّط الاستكبار والصهيونية عليها.

وكذلك تفتيتهم على حسب لغاتهم من العربية والفارسية والتركية وغيرها وتسمية الناطقين بكل لغة أمة كـ(الأمة العربية، الأمة التركية بينما لا تصدق الأمة إلا على جمع ائتموا بفكر واحد أو إمام واحد واللغة ليس لها شأن إلا كونها آلة للتحدث والتكلم فإثارة العصبيات العمياء على أساس اللغة مؤامرة استعمارية لتفريغ الأمة عن مضمونها وقيمها كي تتسنى لأعدائها الفرصة لتطعيمها بالأفكار السخيفة وإضعاف مما يوجب خضوعها للغرب وتبعيتها للاستكبار.

٦- الترويج للفكر التكفيريّ، الذي لا يستهدف طائفةً إسلاميةً دون أخرى بل يهدّد كيان الأمة ومستقبلها.

وعليه، تأتي هذه الملتقيات العلمائية، لتذكير العلماء بخطورة مسؤوليتهم تجاه تلك التّحديات، عبر العمل الجادّ والمتواصل، وعدم الاكتفاء بالشعارات والخطب فحسب، لأنها مسؤوليةٌ سنحاسب عليها يوم القيامة.

إذ يكفينا، ما يحيطنا به أعداء الأمّة الخارجيون من استكبارٍ وصهيونيةٍ، من دسائس ومؤامراتٍ، حتى نبتلى ببعض الجهلة التكفيريين الذين يخدمون تلك الجهات الخارجية بقصدٍ أو بدونه.

ولذا ندعو العلماء للعمل على اتخاذ ما يلي من خطواتٍ:

١- عرض الصورة الحقيقية للإسلام المعتدل والعقلانيّ والموضوعيّ البعيد عن العنف والإرهاب، وفضح التكفيريين وأساليبهم الخارجة عن الدّين.

٢- التركيز على أصل الوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية، وعدم اتهام طائفةٍ بأكملها إذا تعرض أحد أبناء الطائفة المقابلة للاعتداء، فلا يجوز اتهام السّنة كلّهمْ بجريرة بعض التّكفيريين الجهلة، والعكس صحيحٌ، وهنا نشيد بمواقف المرجعيّة الرّشيدة في وأد الفتنة في مهدها، عبْر الفتوى بحرمة التعرّض لمساجد المسلمين السّنة، بعد الاعتداء الإرهابيّ البشع على حرم الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام في سامرّاء، وقد قطع هذا الموقف من قبل العلماء الطريق أمام مثيري الفتنة ودعاة الفرقة الذين لا يمتّون إلى الإسلام بأيّة صلةٍ، كما يجب على علماء الأمّة المسارعة إلى التنديد بكافّة الاعتداءات التي تستهدف المدنيين الأبرياء من الطوائف الإسلامية والتي تستهدف كذلك مقدّساتهمْ، وذلك بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ.

٣- تفعيل الحوار المتواصل بين علماء الأمّة الإسلاميّة بمختلف طوائفها، لسدّ الطريق على دعاة الفرقة ومثيري الفتنة، وهذا الملتقى خطوةٌ على هذا الطريق، نأمل أن تكون له خطواتٌ لاحقةٌ ببركة جهود العلماء المخلصين.

٤- دعوة وسائل الإعلام إلى لعب دورها البنّاء، ولاسيما الفضائيات، من خلال نشر الفكر الإسلاميّ الأصيل، وعدم إفساح المجال لدعاة الفرقة لعرض آرائهم المتطرّفة، بحجّة تبادل الرّأي، لأنّ المرحلة حسّاسةٌ تستلزم تضافر كافّة الجهود وعلى جميع المستويات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خطوات الثورة الإسلامية على طريق الوحدة

آية الله الشيخ محمد علي التسخيري[1]

لعل محور (الوحدة الإسلامية) يشكّل أحد أهم المحاور التي دار عليها الصراع المحتدم بين الثورة الإسلامية في إيران وأعدائها الذين يشكّلون الكفر العالمي بكل أوجهه الشرقية والغربية وعملائه الدوليين والمحليين.

وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على إدراك طرفي الصراع بكل وضوح لأهمية هذا المحور.

إن العدو الكافر لاحظ الإصرار الثوري المجاهد على دعم خط الوحدة الإسلامية في كل خطوات الثورة وبشتى الأساليب الممكنة فراح يعمل على إحباط كل الخطط.

ونستطيع أن ندرك سعة الخطوات الثورية على طريق الوحدة إذا لاحظنا الأمور التالية:

أولاً: طرحت الجمهورية الإسلامية شعار: الوحدة الإسلامية بكل قوة، وأعلنت أنه شعار استراتيجي نابع من صميم العقيدة، وهي أساس البناء الاجتماعي لديها،

---

(١) الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – وقد اقتبسنا هذه المطالب باختصار عن كتاب أضواء على طريق الوحدة الإسلامية، طبعة إيران.

وتطبيقاً لذلك أعلنت عن أسبوع الوحدة لتؤكد ذلك من خلال الاجتماعات واللقاءات، والبرامج المتنوعة لإيجاد الجو المناسب الذي تتلاقى فيه الأفئدة، ويتعرف فيه الأخوة على الحقيقة الوحدوية التي يتضمنهم جميعاً.

ثانياً: عملت على الصعيد العملي على تنفيذ هذا الشعار في قوانينها وسلوكها العملي، فنظرت للمواطنين بعين واحدة، وأعلنت أن لكل مذهب إسلامي الحرية الكاملة في تطبيق آرائه على أتباعه، ولهؤلاء الأتباع الحق في التحاكم إلى محاكم تعتمد تلك المذاهب، ومنحت الجميع فرص التعاون والتكافل لبناء الدولة الإسلامية وأعلنت حرية الثقافة الإسلامية غير المخلة بالوحدة وبالخلق العفيف.

ثالثاً: جاءت فكرة قيادة الفقيه العادل كإحدى أروع الأفكار الوحدوية، ذلك أن القيادة والإمامة هي عماد الحياة الاجتماعية، وهي السلك الذي ينتظم كل شعب تلك الحياة، ولما كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً أيديولوجياً فإن من الطبيعي أن تسلّم قيادته للفقيه المتضلع في الشؤون الإسلامية، والعادل العامل بتعاليمه كملكة متأصلة في النفس.

ومسألة اشتراط الفقه في القائد مسألة يقود إليها الطبع الفطري السليم، وتؤكدها فتاوى علماء المسلمين من جميع الفرق على اختلاف في المستوى الفقهي، وفي نوع الاشتراط، ولكنها على أي حال مسلمة إجمالاً لدى الجميع، وبها تصان القيادة من الانحراف.

رابعاً: أصرت الثورة الإسلامية على لزوم إعادة الدور الحقيقي للشعائر الإسلامية، كصلاة الجمعة، والحج، باعتبارهما من أكبر المجالات المحققة للإحساس المجموعي بوحدة هذه الأمة في توجهاتها الحضارية، وسلوكاتها العملية، وحتى في ما تتكلم به وتتزين به في سلوكها الفردي.

إن الحج مثلاً يعلن وحدة خط الأنبياء عبر التاريخ حول مسألتي (العبودية لله، واجتناب الطاغوت) وذلك بشتى الأساليب التي تتناسق فيما بينها لتؤكد هذا المضمون الوحدوي العظيم.

هذه هي حقيقة الحج أرادت الثورة أن تظهر ناصعة في حياة المسلمين، وأراد أعداء هذه الأمة وعملاؤهم أن تتحول إلى طقوس جوفاء بعيدة عن هذا الهدف الكبير.

ومن الأمور التي ركّزت عليها الثورة مسألة إحياء الذكريات الإسلامية، كذكرى ولادة الرسول ﷺ، والمعراج، والبعثة، باعتبارها معالم تاريخية شاهد على ارتباط الأمة بشخصية الرسول الموحدة لهذه الأمة.

وما تركيز الثورة الإسلامية على لزوم التمسك بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة – وذلك ما أكدته الأحاديث الكثيرة، وذكّر به الإمام الخميني القائد رحمة الله عليه في وصيته الإلهية السياسية – نعم، ما تركيزها إلا تطبيق لدعوة القرآن الكريم للاعتصام بحبل الله جميعاً وتوعية للأسس السليمة التي يجب أن تقوم عليها الوحدة الإسلامية الحقيقة.

خامساً: إن أهم الخطوات التي خطتها الثورة لتعميق الخط الوحدوي الإسلامي تركيزها المضاعف على لزوم تجميع الأمة حول القضايا المصيرية لها، ودفعها لاختيار الحل الإسلامي، باعتباره السبيل الوحيد للخلاص، وذلك من قبيل تأكيدها الشديد للحل الإسلامي للقضية الفلسطينية وإخفاق كل الحلول الأخرى، والتركيز على أن إسرائيل يجب أن تزول، وأن لا طريق لذلك إلا طريق السلاح الذي يحمله المسلمون ضد أعدائهم، منطلقين من مبدأ الجهاد، والتضحية، والشهادة في سبيل الأهداف العليا.

وهكذا نجد المواقف المشابهة للثورة الإسلامية من قضية لبنان وأفغانستان وغيرهما من القضايا الكبرى.

ويمكننا أن نعد الكثير من المواقف الرسالية الحاسمة التي وقفتها الثورة، فكانت بذلك داعية لتجميع المسلمين حولها ومكونة لموقف إسلامي عام.

إلا أن موقف الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ، من قضية الهجوم الثقافي الكافر على مقدسات الأمة الإسلامية والتجديف بحق الرسول العظيم، وأصحابه المنتجبين، وزوجاته الطاهرات، والكتاب الكريم، والتي تمثلت في الكتاب الساقط للمرتد المجرم سلمان رشدي، هذا الموقف استطاع أن يوقظ الأمة ضد مؤامرات أعدائها، ويوحد موقفها بشكل يقل مثيله في تاريخها الطويل، الأمر الذي دفع الدول الإسلامية، برغم ارتباط الكثير من مصالحها بالغرب الكافر، لأن تصدر إعلانها المشهور ضد الغرب الكافر، لأن تصدر إعلانها المشهور ضد الغرب وهجومه الكافر اللئيم.

كل هذه الخطوات أقضت مضاجع الاستكبار العالمي، الأمر الذي دفعه للتخطيط اللئيم لدحر هذه الخطط الوحدوية، التي قامت بها الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

كلمات علماء المسلمين ومفكريهم حول الوحدة الإسلامية[1]

❖ **من بيان مكتب آية الله العظمى السيد علي السيستاني** دام ظله

تمرّ الأمة الإسلامية بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى وتحدّيات هائلة تمسّ حاضرها وتهدّد مستقبلها، ويدرك الجميع - والحال هذه - مدى الحاجة إلى رصّ الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية والتجنّب عن إثارة الخلافات المذهبية، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة ولا يبدو سبيل إلى حلّها بما يكون مرضيّاً ومقبولاً لدى الجميع، فلا ينبغي إذاً إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين، ولاسيما إنها لا تمسّ أصول الدين وأركان العقيدة، فان الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد وبرسالة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وبالمعاد وبكون القرآن الكريم - الذي صانه الله تعالى من التحريف - مع السنة النبوية الشريفة مصدراً للأحكام الشرعية وبمودة أهل البيت عليهم السلام، ونحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامة ومنها دعائم الإسلام: الصلاة والصيام والحج وغيرها.

فهذه المشتركات هي الأساس القويم للوحدة الإسلامية، فلا بدّ من التركيز عليها لتوثيق أواصر المحبة والمودة بين أبناء هذه الأمة، ولا أقل من العمل على التعايش السلمي بينهم مبنياً على الاحترام المتبادل وبعيداً عن المشاحنات

---

(١) تم استخراج هذه الكلمات من مجموعة كتب ومجلات ومواقع الإنترنت التي نشرتها.

والمهاترات المذهبية والطائفية أيّاً كانت عناوينها.

فينبغي لكل حريص على رفعة الإسلام ورقيّ المسلمين أن يبذل ما في وسعه في سبيل التقريب بينهم والتقليل من حجم التوترات الناجمة عن بعض التجاذبات السياسية لئلا تؤدي إلى مزيد من التفرق والتبعثر وتفسح المجال لتحقيق مآرب الأعداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الإسلامية والاستيلاء على ثرواتها.

❖ المرحوم آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء

صرخ المصلحون فسمع المسلمون كلهم عظيم صرخاتهم بان داء المسلمين تفرقهم وتضارب بعضهم ببعض، ودواؤهم الذي لا يصلح آخرهم إلا به - كما لا يصلح إلا عليه أولهم - ألا وهو الاتفاق والوحدة، ومؤازرة بعضهم لبعض.

❖ الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر

فأنا معك يا أخي وولدي السني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي، أنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام، وبقدر ما تحملانه من هذا المشعل العظيم، لإنقاذ العراق من كابوس التسلط والذل والاضطهاد.

وأريد أن أقولها لكم، يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر، إن المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني.

إن الحكم السني الذي مثله الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل علي عليه السلام السيف للدفاع عنه، إذ حارب جندياً في حروب الردة، تحت لواء الخليفة الأول (أبي بكر)، وكلنا نحارب عن راية الإسلام وتحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي.

❖ الشهيد آية الله السيد محمد باقر الحكيم

إنَّ أعداء الإسلام والأمة الإسلامية، يعملون باستمرار من أجل التركيز على نقاط الخلاف، وإبراز معالم التناقض والفرقة بين أبناء الأمة، بل يضعون العدسات المكبّرة في كثير من الأحيان، ويطلقون الأصوات المنكرة، ويملؤون الدنيا ضجيجاً من أجل تأكيد ذلك.

كلّ هذا يؤكد حقيقة لابدَّ من الاهتمام بها في مسألة الوحدة، وهي تحويلها من حالة الشعار والعواطف والمشاعر الجياشة إلى عمل هادف له (مبرراته) و(مجالاته) الواضحة، لأن الوحدة الإسلامية ليست مجرد رغبة أكيدة، وأمل كبير فحسب، بل هي عمل واجب من الناحية الشرعية والإسلامية، وفي نفس الوقت ضرورة من ضرورات الحياة الإسلامية، وشرط من شروط القدرة على المواجهة في الصراع الحضاري.

❖ المرحوم الشيخ أحمد كفتارو (المفتي السابق لسورية)

إذا كانت السنة إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلنا سنة، وإذا كانت الشيعة حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلنا شيعة.

❖ الدكتور الشيخ أحمد بدر الدين حسون (مفتي سورية)

فليس هنالك في الإسلام سني ولا شيعي إنما هناك مذاهب فقهية ومدارس فقهية، والمسلمون جميعاً أمة واحدة تعددت مذاهبهم الفقهية، فالفقيه الشافعي والفقيه الإمام جعفر والفقيه الإمام أبو حنيفة كلهم أبناء مدرسة الإسلام ولكن هناك مدرسة أخرى أخذت سندها عن آل البيت بشكل متسلسل وهنالك مدرسة أخرى أخذت عن آل البيت والصحابة وكلاهما مدرسة واحدة هي مدرسة الإسلام.

❖ **الدكتور الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي** (باحث إسلامي)

من واجب قادة المجتمعات العربية والإسلامية أن يتنبهوا إلى أن أهم ما يجب عليهم هو حراسة الإسلام وحمايته من كيد المستعمرين ومحترفي الغزو الفكري، والتضامن معاً تحت سلطان قيادةٍ واحدةٍ، أي تحقيق الوحدة الإسلامية التي أمر الله بها صراحة في حكم كتابه، الوحدة التي تجلت في «الخلافة» الإسلامية من قبل.

❖ **العلامة السيد عبد الله نظام** (باحث إسلامي)

هذه الوحدة لها أسس تقوم عليها من قراءة كل مذهب للآخر من مصادره الأساسية وضمن بحث علمي دقيق بعيد عن التعصب والأحكام المسبقة الموروثة فليس الإسلام إلا الشهادتين مع الاعتقاد بضرورياته من الصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونبذ المفرقات ومحاصرتها في حياتنا العملية والسعي الحثيث إلى إلغائها.

❖ **الدكتور الشيخ نبيل حلباوي** (أستاذ حوزة وجامعة)

الوحدة الإسلامية، ضرورة عقلية، وفريضة شرعية لها جذورها الاعتقادية صبغتها القيمية وأبعادها الفقهية ومتطلباتها السلوكية العملية، وهي مصلحة سياسية واقتصادية واجتماعية لأمة المسلمين وأبرز قياداتها المصيرية.

لذا كان من الأهمية بمكان أن ترسم لها برامجها العملية وآلياتها التنفيذية ومناهجها التربوية لتسري روحها في مختلف شرائح الأمة ويُنضَجَ الوعي بها إلى أسمى آفاقه لدى المسلمين جميعاً ولاسيما علماء الدين ونخبة المفكرين والمثقفين، لتكون الحصن الحصين في وجه مؤامرات الشياطين وحلف المستكبرين والصهاينة المجرمين النافخين في نار الفتنة القومية والإقليمية والطائفية لتمزيق الأمة وضرب بعضها ببعض.

❖ الدكتور الشيخ وهبة الزحيلي (باحث إسلامي)

المسلمون أمة ذات عقيدة واحدة، وإيمانهم واحد معروف، فهم يؤمنون بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره، والإيمان بالكتب كلها وبخاتمتها القرآن الكريم، يستدعي الالتزام بمضمون القرآن، ويوجب تطبيق شرعه وأحكامه وحرامه وأخلاقه وآدابه وكل ما جاء فيه، ووحدة هذا الكتاب الإلهي من أقوى الأسباب المؤدية إلى وحدة المسلمين، وكونهم صفاً واحداً فيما بينهم وفي مواجهة أعدائهم.

❖ الشيخ محمد بشير الباري (مفتي دمشق)

فإذا مضينا في طريق الفرقة وأضعنا هدف الأمة، وتفرقنا واختلفنا، فإن أول إجراء فرضه الله علينا هو براءة الرسول صلوات الله وسلامه عليه منا وانفصاله عنها وتخليه عنا، لأن الأمة التي دعا إليها، وأرادها لحمل دعوته لا تعرف الفرقة، وإنما هي أمة واحدة، ربها واحد، وكتابها واحد.

❖ الدكتور الشيخ صلاح الدين كفتارو (رئيس مجمع كفتارو)

ولابد لنا إذا أردنا تعزيز الوحدة الإسلامية أن نؤكد على مقومات هذه الوحدة وأسسها وهي: نبذ التعصب المذهبي والقضاء على التفرقة والضعف والجهل، وتشكيل نواة جديدة من التعاون الصادق المخلص استجابة لنداء الحق سبحانه وتعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾.

❖ الدكتور الشيخ حسام الدين فرفور (باحث إسلامي)

إن الدعوة إلى وحدة الصف لا تعني دمج مذاهب المسلمين في مذهب واحد أو فرقة واحدة، أو إلغاء المذهبية، فنحن لسنا ممن يدعو إلى ذلك، ولكن نستهدف

توفير سبل التعايش الكريم بين أتباع المذاهب في غير خصومة أو بغضاء أو عصبية.

❖ **الدكتور الشيخ محمود عكام** (باحث إسلامي)

إذا لم ينتبه المسلمون لأنفسهم ويعنوا بأحوالهم، فستكون خاتمتهم استعماراً جديداً تلفهم به العولمة، وإذا ما وعوا فإنهم قادرون على مواجهة العولمة الغربية الجانحة بعولمة إسلامية عادلة خيرة، وهم يمتلكون مقوماتها نظرياً، وقد ذكر العالم الألماني (بول اشميد) في كتاب له كتبه قبل نصف قرن، يحذر الغربيين من المسلمين، ويحرضهم على إشعال الحروب الصليبية ضدهم من جديد، ويعلل ذلك بأن المسلمين سيتغلبون عليهم إذا لم يتدارك الغرب الأمر، وذلك لنقاط قوة المسلمين، وهي:

١- قوة الثروات الطبيعية.

٢- كثرة النسل.

٣- الموقع الجغرافي، فهو في منطقة حساسة هامة.

٤- وثَّابية الدين الإسلامي، وانتشاره السريع، واستقطابه للجماهير، بما يحمله من سهولة ومرونة وانفتاح وحرية ومنطق وعقلانية وحركة ونشاط.

❖ **الدكتور الشيخ عبد الفتاح البزم** (باحث إسلامي)

واضح جداً، الخلافات التي يزرعها أعداؤنا بيننا، سواء كانت خلافات مذهبية أم خلافات قومية أم خلافات مصلحية؟ القاعدة الاستعمارية معروفة يتعلمها الأطفال منذ نعومة أظافرهم قاعدة فرق تسد، إما عن طريق أحداث دينية أو اجتماعية أو قومية أو مصلحية، المهم أنهم يدرسون ليل نهار كيف يفرقون هذه الأمة وبقدر ما نتفرق يتحقق لهم الانتصار علينا.

دور علماء المسلمين دور قيادي وريادي في تأكيد اللحمة الوطنية ودعم وحدة الكلمة، وإبعاد شبح الطائفية، إذ ليس في ديننا طوائف تتناحر، بل مدارس فقهية تتكامل.

❖ الإمام المغيَّب السيد موسى الصدر

في هذه الأيام العصيبة التي تلفّ الأمة بالقلق، وبين يدَي هذه الأخطار المحدِقة التي تجعل المنطقة كلّها (حاضرها ومستقبلها) في مضرب الطوفان: تبدو لنا بوضوح أكثر فأكثر حاجة المسلمين الملحّة إلى وحدة شاملة متلاحمة لجمع ما تفرّق من صفوفهم وتوحيد ما تبعثر من جهودهم، وذلك حتى تتبين لهم مواقع أقدامهم وتعود الثقة إلى أنفسهم وهم في طريقهم إلى المستقبل وأمام بناء تاريخهم وأداء مسؤولياتهم.

❖ آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله دام ظله

* إنّ أوّل خطوةٍ في حلّ مشاكلنا هي أن نأخذ بأسباب الوحدة الإسلاميّة، التي نكون من خلالها كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً، واثقين بالله، وبذلك يحترمنا العالم من حيثُ نحترم أنفسنا، ونكون شركاء في القرار في قضايا العالم، ونكفّ عن أن نضع أنفسنا في هامش القرارات العالمية التي تتحرّك بها دوائر الاستكبار العالمي.

* إنني أتصور أن على القياديين الإسلاميين أن يتحركوا في خط الوحدة من خلال دراسة المشاكل الحقيقية في الذهنية الإسلامية التي تتجذّر فيها الخلافات، وأن يدرسوا مسألة الوحدة في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لا يختلف فيها بلد إسلامي عن بلد إسلامي آخر، مما يجعل من حركة الوحدة بهذا الأسلوب حركة واقعية، وعلينا أن نعرف أن الوحدة الإسلامية هي من الممنوعات الاستكبارية وهي من الممنوعات الصهيونية والممنوعات الكافرة. فهناك شعور بأن

الإسلام في عقيدته وشريعته ومنهجه، والإسلام في المسلمين يمثل قوة هائلة يمكن لها أن تحكم العالم إذا استطاعت أن تحرك قوتها ضمن خطة مدروسة علمية بعيدة في الزمن، لذلك فهم يعملون على تمزيق المسلمين أكثر وعلى منع كل حركة لقاء بينهم.

❖ **السيد حسن نصر الله** (أمين عام حزب الله)

إن من أعظم المعاني والمشاعر والقيم التي تكرسها شعائر الحج المباركة، هي التقارب والتعايش والتعارف والتعاون، وصولا إلى ما هو أرقى وارفع وهو الوحدة بين المسلمين.

هناك في الديار المقدسة، عند بيت الله الحرام، يقف الملايين من الحجيج، رجالا ونساء، إلههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد وقبلتهم واحدة وصلاتهم واحدة ومناسكهم واحدة، معا يحرمون ومعا يتحللون من إحرامهم، ومعا يطوفون ويسعون ويقفون ويفيضون ويزدلفون ويرجمون الشياطين، ويقدمون الأضاحي ويقيمون العيد، ومعا يفرحون بما انعم الله تعالى عليهم من نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

❖ **العلامة الشيخ عبد الأمير قبلان** (نائب رئيس مجلس الإسلامي الشيعي في لبنان)

البدء بجمع الكلمة وتوحيد الصفوف والوحدة الإسلامية علينا أن نعمل لإبعاد كل الملابسات والإشكالات والحساسيات عن صفوف المسلمين، فعندما تهدأ القلوب وتطمئن النفوس وتحبب الناس بعضها بالبعض وتنفتح على بعضها البعض فإنها تبدأ بالحوار. وكما قلنا بالاستفادة من الحوار القرآني ومن ثم العمل لجمع الناس حول القرآن والسنة النبوية ونترك المسائل الخلافية جانباً للمجامع العلمية الخاصة لتبحث الموضوع بدقة وبعقل وبرويّة.

❖ **المرحوم الدكتور صبحي الصالح** (باحث إسلامي)

* في أحاديث أئمة الشيعة أيضاً أنهم لم يرووا إلا ما يوافق السنة النبوية وللسنة لديهم مكانة عظمى تلي كتاب الله بين مصادر التشريع.

❖ **الداعية الأستاذ فتحي يكن** (باحث إسلامي)

الأخوّة الإسلامية هي الآصرة الكبرى التي تجمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.. ففي البيان الإلهي: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾، وفي البيان النبوي: «**المسلم أخو المسلم أحبّ أم كره**».

❖ **المرحوم الشيخ سعيد شعبان** (مؤسس حركة التوحيد في لبنان)

لا أظنّ أنّ أمة من الأمم أصيبت بالفتن كما أصيبت امتنا، مع أن الحق ما زال فيها ثابتاً ومحفوظاً وبيّناً، ولذا استطاع الأعداء أن ينفذوا من ثغرات الخلاف إلى داخل أمتنا وإلى داخل صفوفها، وأنتم تشاهدون واقع الأمة الإسلامية على امتداد العالم الإسلامي بل على امتداد الكرة الأرضية.

الحديث عن وحدة المذاهب حديث يطول ولا يؤدي إلى وحدة الأمة، إن الحديث عن وحدة الدين هو الذي يؤدي إلى وحدة الأمة، أما المذاهب فهي بعدد الأفكار البشرية لأن الفكر البشري لا يمكن إلا أن يكون مميزاً كبصمات الأصابع.

❖ **الشيخ عبد السلام ياسين** (مؤسس حركة العدل والإحسان في المغرب)

أما في زماننا، وقد نشبت فينا مخالب الجاهلية والأنياب، فنشعر بضرورة استعادة الوحدة شعورا عميقا. إنها مسألة حياة أو موت. إنها أم المقاصد وشرط تحقيقها.

❖ **المرحوم الشيخ أحمد ياسين** (مؤسس حركة حماس في فلسطين)

إن القرآن هو منهج المسلمين جهاداً بالنفس والمال، بالعلم والتربية، فإذا تخلف المسلمون وتركوا العمل بهذا المنهج استبدلهم الله بقوم يحبهم ويحبونه.

❖ **المجاهد الأستاذ خالد مشعل** (رئيس المكتب السياسي لحركة حماس)

انظروا من هو المُستَهدف اليوم؟! ديننا الإسلامي هو المستهدف، بل القيم الدينية والرسالات الحقّة مستهدفة، نبينا محمد عليه الصلاة والسلام مستهدف، فكيف في ظل هذا الاستهداف نحن نتوانى عن الوحدة ونقصر فيها، وفي تحقيق شروطها ومتطلبات.

❖ **المرحوم الشيخ محمود شلتوت** (شيخ الأزهر سابقا)

* لا أنسى أني درست المقارنة بين المذاهب بكلية الشريعة، فكنت أعرض آراء المذاهب في المسألة الواحدة، وأبرز من بينها مذهب الشيعة، وكثيراً ما كنت أرجح مذهبهم خضوعاً لقوة الدليل، ولا أنسى أيضاً أني كنت أفتي في كثير من المسائل بمذهب الشيعة، وأخص منها بالذكر ما تضمنه قانون الأحوال الشخصية الأخير.

والباحث المستوعب المنصف سجد كثيراً في مذهب الشيعة ما يقوي دليله، ويلتئم مع أهداف الشريعة من إصلاح الأسرة والمجتمع، ويدفعه إلى الأخذ به، والإرشاد إليه.

* إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة.

* فينبغي للمسلمين أن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب.

❖ المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة (باحث إسلامي)

* لابد أن يجتمع المسلمون ولا يختلفوا، وأن تتكون منهم أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنّ هَـٰذِهِ أُمّتُكُمْ أُمّةً وَاحِـدَةً**﴾ ولا نقصد بأن نكون أمة واحدة أن تحكمنا حكومة واحدة، فإن ذلك لا يمكن أن يتحقق، ولكن يمكن أن يتحقق منا تجمع واحد، أو جامعة إسلامية واحدة.

❖ الأستاذ الشيخ محمد مهدي عاكف (أمين عام الأخوان المسلمين)

لما كان المسلمون أمةً واحدةً، سادوا الدنيا بالعدل قرونًا من الزمان، ومن يراجع حالات الانتصار الإسلامي سيجدها جميعًا رهينةً بتحقق وحدة هذه الأمة؛ سواء في غزوات الرسول- صلى الله عليه وسلم- وفتوحات المسلمين التي شملت معظم أرجاء العالم المعروف آنذاك، أو في رد فعل المسلمين على هجوم أعدائهم في حالات ضعفهم الطارئ عليهم، كما حدث في استعادة القدس من الصليبيين، ثم طردهم من بلاد الإسلام، وكما حدث في مواجهة التتار، وكسر موجة طغيانهم التي هددت الحضارة الإنسانية بأسرها.. فلما ضعف توحيد الأمة ضعفت وحدتها، وتكالبت عليها قوى الأرض.

إن ما يتعرَّض له المسلمون في شتى بقاع الأرض من عدوان وعنت وتآمُر وكيد لا سبيل لمواجهته إلا بالوحدة، وما كان ذلك العدوان ليحدث لو كان المسلمون أمةً واحدةً..

نحن لا نفرق بين شيعة وسنة، ونحن متفقون في العقيدة، وكلنا لنا رب واحد ونبي واحد وكتاب واحد وقبلة واحدة وفينا من يختلف في الفروع ولكننا أخوة.

❖ العلامة الشيخ حسن الصفار (باحث إسلامي)

الوحدة الإسلامية تمثل الضرورة والمنطلق لتجاوز الأمة لحال الاضطراب في

علاقاتها الداخلية، ولتوجهها نحو التنمية والبناء بدل الانشغال بالخلافات الجانبية.

كما تمثل الوحدة الإسلامية أفضل تحصين لساحة الأمة من الاختراقات المعادية.

إن اخطر وضع تصل إليه الأمة، هو انشغال قواها وطوائفها بمشاكلهم الجانبية، وتجاهل القضايا الكبرى، حيث تسعى الأطراف المختلفة إلى إحراز الانتصارات الداخلية على بعضها البعض، بينما تنزلق الأمة كلها إلى هاوية الهزيمة النكراء في معركتها المصيرية.

❖ المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني

إن الميل للوحدة و التطلع للسيادة وصدق الرغبة يحفظ حوزة الإسلام كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين قاطبة ولكن دهاهم بعض ما أشرنا إليه في أعداد ماضية فألهاهم عما يوحي به الدين في قلوبهم وأذهلهم أزمانًا عن سماع صوت الحق.

ملحق الكتاب:

مؤلفات في الوحدة الإسلامية

ت	اسم الكتاب	محتوى الكتاب	المؤلف	مؤسسة النشر
١	توجيهات الإمام الخميني إلى المسلمين. نداء الوحدة للإمام الخامنئي	مجموعة محاضرات حول الوحدة الإسلامية وتوعية المسلمين	الإمام الخميني ﭭ والإمام الخامنئي ﮁ	المؤتمر العالمي لأئمة الجمعة والجماعة. سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت
٢	الفصول المهمة في تأليف لأمة	الوحدة الإسلامية	السيد عبد الحسين شرف الدين	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب
٣	التسامح وثقافة الاختلاف	رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات	حسن موسى الصفار	دار المحجة البيضاء
٤	خصائص الإسلام العامة الجزء الأول	مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر العالمي الحادي عشر للوحدة الإسلامية	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٥	خصائص الإسلام العامة الجزء الثاني	مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر العالمي الحادي عشر للوحدة الإسلامية	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٦	حديث التقريب	محاضرات من المؤتمر العالمي السابع للوحدة الإسلامية	محمد سعيد معز الدين	مؤسسة الفقه للطباعة والنشر
٧	آلام الأمة الإسلامية وآمالها	مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات للمؤتمر الدولي الثالث عشر للوحدة الإسلامية	بِإشراف سيد جلال الدين مير آقائي	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٨	الحكومة من وجهة نظر المذاهب الإسلامية	مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر العالمي العاشر للوحدة الإسلامية	سيد جلال الدين مير آقائي	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٩	مكانة أهل البيت في الإسلام والأمة الإسلامية	مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر الدولي الرابع عشر للوحدة الإسلامية	محمد مهدي نجف	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
١٠	الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم ـ المجلد الأول	مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات للمؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية	سيد جلال الدين مير آقائي	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
١١	الإسلام والأمة الإسلامية في القرن القادم ـ المجلد الثاني	مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات للمؤتمر الدولي الثاني عشر للوحدة الإسلامية	سيد جلال الدين مير آقائي	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ت	اسم الكتاب	محتوى الكتاب	المؤلف	مؤسسة النشر
١٢	عالمية الإسلام والعولمة	مجموعة مقالات المؤتمر الدولي السادس عشر للوحدة الإسلامية	السيد طه مرقاتي	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
١٣	خلاصة مقالات عالمية الإسلام والعولمة	المؤتمر الدولي السادس عشر للوحدة الإسلامية ربيع الأول ١٤٢٤	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	أمانة الهيئة العلمية للمؤتمر
١٤	الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة	وثائق خطيرة وبحوث علمية لأعاظم علماء المسلمين من السنة والشيعة	الدكتور عبد الكريم بي آزار الشيرازي	مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
١٥	الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية	الوحدة الإسلامية	أحمد حسين يعقوب	دار الثقلين ـ بيروت لبنان
١٦	دراسات وبحوث الجزء الأول	مجموعة من المقالات والبحوث	الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
١٧	دراسات وبحوث الجزء الثاني	مجموعة من المقالات والبحوث	الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
١٨	الاجتهاد والتجديد الجزء الأول	مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر الدولي الخامس عشر للوحدة الإسلامية	نخبة من الباحثين والمفكرين	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
١٩	الاجتهاد والتجديد الجزء الثاني	مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر الدولي الخامس عشر للوحدة الإسلامية	نخبة من الباحثين والمفكرين	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٢٠	الصوم معطياته، أحكامه والروايات المشتركة فيه	سلسلة أحاديث مشتركة (٢)	محمد علي التسخيري محمود قانصوه	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٢١	حول الدستور الإسلامي الإيراني	صدر بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية	محمد علي التسخيري	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٢٢	رسالة الإسلام	مجلة إسلامية عالمية تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية/ القاهرة	دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة	دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة
٢٣	حاضر العالم الإسلامي	بحوث في حاضر العالم الإسلامي	الدكتور مصطفى البغا	جامعة دمشق
٢٤	مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية	نحو مجتمع إسلامي موحد	بقلم ١٥ علامة وباحثاً متبحثون بمختلف المذاهب الإسلامية	دار التقريب بين المذاهب الإسلامية
٢٥	نداء التقريب	محاضرات من المؤتمر العالمي السادس للوحدة الإسلامية	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٢٦	ما يعد به الإسلام		روجيه غارودي	دار الوثبة
٢٧	الوحدة الإسلامية عناصرها وموانعها	مجموعة من المقالات والمحاضرات	الأستاذ محمد واعظ الخراساني المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٢٨	الحوار مع الآخر	أدب الحوار مع الآخرين	محمد علي التسخيري	المجمع العالمي للتقريب بين

ت	اسم الكتاب	محتوى الكتاب	المؤلف	مؤسسة النشر
				المذاهب الإسلامية
٢٩	دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين	الوحدة الثقافية الإسلامية	محمد الغزالي	دار القلم
٣٠	الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين	الوحدة الإسلامية على ضوء القرآن وأهل البيت (ع)	السيد محمد باقر الحكيم	رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية
٣١	ملفّ التقريب	عرض لتاريخ جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة ومجلتها ووثائقها	الدكتور محمد علي آذرشب	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٣٢	حول الوحدة الإسلامية	أفكار ودراسات	معاونية العلاقات الدولي في منظمة الإعلام الإسلامي	معاونية العلاقات الدولي في منظمة الإعلام الإسلامي
٣٣	الحوزة العلمية العراقية والتقريب	مجموعة محاضرات	نخبة من الباحثين والمفكرين الإسلاميين	نخبة من الباحثين والمفكرين الإسلاميين
٣٤	صلاة الجمعة، معطياتها أحكامها الروايات المشتركة فيها	سلسلة الأحاديث المشتركة (١)	محمد علي التسخيري محمد قانصوه	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٣٥	الحج معطياتها أحكامها الروايات المشتركة فيها	سلسلة الأحاديث المشتركة (٣)	محمد علي التسخيري محمد قانصوه	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٣٦	رسالة التقريب	فصلية متخصصة محكمة تعنى بقضايا التقريب بين المذاهب ووحدة الأمة الإسلامية	يصدرها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	يصدرها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٣٧	الثقافة الإسلامية	مجلة إسلامية شاملة **أولويات الوحدة وآلياتها في ظل الظروف الراهنة**	المستشارين الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق	المستشارين الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق
٣٨	التكامل العربي الإيراني	قراءات في الجمهورية الإسلامية الإيرانية	عبد الله النبالي	حقوق الطبع والنشر محفوظ للمؤلف
٣٩	الدكتور حسين علي محفوظ ونظرية التقريب بين المذاهب الإسلامية	حقائق الوفاق في ظواهر الخلاف	الدكتور جودت القزويني	The open school
٤٠	مع المؤتمرات الدولية حول الوحدة والتقريب		محمد علي التسخيري	يصدرها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٤١	حول الدستور الإسلامي في مواده العامة		الشيخ محمد علي التسخيري	يصدرها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٤٢	أضواء على طريق الوحدة الإسلامية		الشيخ محمد علي التسخيري	يصدرها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٤٣	مع المؤتمرات الدولية الأقليات		الشيخ محمد علي التسخيري	يصدرها المجمع العالمي

ت	اسم الكتاب	محتوى الكتاب	المؤلف	مؤسسة النشر
	الإسلامية وعلاقاتها بمجتمعاتها			للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٤٤	تجمع العلماء المسلمين في لبنان تجربة ونموذج	مواقف مشتركة لعلماء المسلمين	الشيخ علي خازم	دار الغربة
٤٥	روابط امام على وخلفا به روايت نهج البلاغه		رجبر موسوى كاشمرى	انتشارات مؤسسة آموزشى پژوهشى مذاهب اسلامى
٤٦	رسالت انقلاب اسلامى ايران در توحيد كلمه		عبد الكريم بى آزار شيرازى	دفتر فرهنگ اسلامى
٤٧	السنة في الشريعة الإسلامية	في طريق الوحدة الإسلامية	محمد تقي الحكيم	قسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة
٤٨	حوار في العمق من أجل التقريب الحقيقي		صائب عبد الحميد	الغدير للدراسات والنشر – بيروت لبنان
٤٩	مع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	تعريف بالمجمع	محمد مهدي نجف	يصدرها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٥٠	نبذة عن جامعة المذاهب الإسلامية		يصدرها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	يصدرها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
٥١	آفاق الوحدة الإسلامية		وزارة الإرشاد الإسلامي	وزارة الإرشاد الإسلامي
٥٢	بحوث ودراسات في التقريب بين المذاهب الإسلامية	مجموعة محاضرات مع تقرير عن مؤتمر المشروع المستقبلي لوحدة الأمة الإسلامية (حلب)	المستشارية الثقافية الإسلامية الجمهورية الإسلامية الإيرانية دمشق	المستشارية الثقافية الإسلامية الجمهورية الإسلامية الإيرانية دمشق
٥٣	الإسلام دين القدوة		حسن إسماعيل مروة	دار البشائر ـ سورية دمشق
٥٤	أبحاث في الوحدة الإسلامية		محمد حسين فضل الله، جودت سعيد، محمد نفيسة	العلم والسلام للدراسات والنشر ـ دمشق سورية
٥٥	الخطابات التاريخية والمواقف المشرفة للقمة الإسلامية الثامنة بطهران	العزة ـ الحوار المساهمة	ممثلية الحركة الإسلامية الجعفرية الباكستانية في سوريا ولبنان	ممثلية الحركة الإسلامية الجعفرية الباكستانية في سوريا ولبنان
٥٦	نداء الوحدة	نداء الثورة الإسلامية ولي أمر المسلمين إلى حجاج بيت الله الحرام	السيد علي الخامنئي	سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت
٥٧	مؤتمر تحديات الوحدة	مجموعة محاضرات	تجمع العلماء المسلمين	دار الوحدة الإسلامية للإعلام والتوثيق
٥٨	الإمام الصادق ووحدة الكلمة		برهان حجازي	مكتب السيد الخامنئي في سوريا ـ إدارة شؤون الثقافة والتبليغ
٥٩	كيف نواصل مشروع حوار	مجموعة المحاضرات حول حوار	مجموعة من الباحثين	المستشارية الثقافية للجمهورية

ت	اسم الكتاب	محتوى الكتاب	المؤلف	مؤسسة النشر
	الحضارات (الجزء الأول)	الحضارات		الإسلامية الإيرانية بدمشق
٦٠	كيف نواصل مشروع حوار الحضارات (الجزء الثاني)	مجموعة المحاضرات حول حوار الحضارات	مجموعة من الباحثين	المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق
٦١	محاضرات في حوار الحضارات	محتوى مجموعة محاضرات حول الحضارات	مجموعة من الباحثين	المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق
٦٢	فخ العولمة	الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية	هانس. بيتر مارتين هارالد شومان	مطابع السياسة/ الكويت
٦٣	المعارج	(مجلة المعارج) ملف خاص بالحوار الإسلامي – الإسلامي	المشرف العام الشيخ حسين أحمد شحادة	المعارج، مجلة شهرية تصدر في لبنان وسوريا
٦٤	الوحدة الإسلامية في فكر الإمام الخميني		جمعية المعارف الإسلامية	جمعية المعارف الإسلامية – بيروت

المحتويات

القسم الأول

المناسبات النبوية

قبس من أخلاق رسول الله ﷺ وتراثه

القسم الثاني

كلمات في الوحدة الإسلامية

* * * *